



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عيد ميلاد
عمر الکرمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

شفاء السقام

في زيارة خير الانام

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله الذي هدانا لهذا
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين الذين هم
الخير الانام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شفاء السقام فى زياره خير الانام

كاتب:

تقى الدين السبكى

نشرت فى الطباعة:

مشعر

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	شفاء السقام فى زيارة خير الانام
١٢	اشارة
١٢	اشارة
١٧	تقديم
٧١	المقدمة
٧٥	الباب الأول فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصاً
٧٥	اشارة
٧٧	الحديث الأول: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»
٧٧	اشارة
٧٨	روايته بتصغير «عبيد الله»
٨٢	متابعات و شواهد
٨٣	من رواه بتكبير «عبدالله»
٨٤	رأى المؤلف بترجيح رواية التصغير
٨٦	الاعتماد على رواية «عبدالله»
٩٠	قوة الحديث بتضافر الإسناد
٩٢	دلالة الحديث
٩٣	الحديث الثانى: «من زار قبرى حلت له شفاعتى»
٩٣	سند الحديث
٩٥	الحديث الثالث: «من جاءنى زائراً لا يعمله حاجة إلزابرتى، كان حقاً على أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»
٩٥	سند الحديث
١٠١	دلالة الحديث
١٠١	الحديث الرابع: «من حجّ فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى»

- ١٠١ اشارة
- ١٠٨ متابعات للحديث
- ١١٠ الحديث الخامس: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»
- ١١٠ اشارة
- ١١٣ وحديث آخر: من رواية ابن عمر رضى الله عنهما:
- ١١٤ الحديث السادس: «من زار قبري» أو «من زارني» «كنت شفيحاً له» أو «شهيداً»
- ١١٦ الحديث السابع: «من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة»
- ١١٨ الحديث الثامن: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»
- ١١٩ الحديث التاسع: «من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى علي في بيت المقدس، لم يسأله الله عزوجل فيما افترض عليه»
- ١٢١ الحديث العاشر: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني وأنا حي»
- ١٢٢ الحديث الحادي عشر: «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً»
- ١٢٤ الحديث الثاني عشر: «ما من أحد من امتي له سعة ثم لم يزرني، فليس له عذر»
- ١٢٤ الحديث الثالث عشر: «من زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيحاً»
- ١٢٦ الحديث الرابع عشر: «من لم يزر قبري فقد جفاني»
- ١٢٧ الحديث الخامس عشر: من أتى المدينة زائراً...»
- ١٢٩ الباب الثاني: في ما ورد من الأخبار والأحاديث دالاً على فضل الزيارة و إن لم يكن فيه لفظ «الزيارة»
- ١٢٩ اشارة
- ١٣٤ أنواع السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٣٧ فصل: في علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن يسلم عليه
- ١٤٤ سماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمصلى عليه عند قبره
- ١٤٩ الباب الثالث: في ما ورد في السفر إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم صريحاً و بيان أن ذلك لم يزل قديماً وحديثاً
- ١٤٩ اشارة
- ١٥٤ إيراد عمر بن عبد العزيز بالسلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم
- ١٥٧ البداية بمكة أو بالمدينة، في سفر الحج؟

- ١٦٠ الفقهاء يقرّون السفر لزيارة القبر الشريف
- ١٦٣ حكاية العتبي عن الأعرابي
- ١٦٥ الباب الرابع: في نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان أنّ ذلك مجمع عليه بين المسلمين
- ١٦٥ اشارة
- ١٦٩ نصوص الحنابلة
- ١٧٦ مناظرة الإمام مالك وأبي جعفر المنصور
- ١٧٩ عمل الصحابة والتابعين
- ١٨٢ استقبال القبر الشريف عند السلام عليه
- ١٨٢ كراهة مالك لفظ: الزيارة
- ١٨٦ عدم كراهة ذلك هو الحق
- ١٨٧ نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت
- ١٩١ حديث: لا تجعلوا بيتي عيداً
- ١٩٣ الباب الخامس: في تقرير كون الزيارة قربة
- ١٩٣ اشارة
- ١٩٥ أما الكتاب العزيز
- ١٩٧ وأما السنة
- ١٩٨ وأما الإجماع
- ٢٠٠ زيارة النساء للقبور
- ٢٠١ الاستدلال على استحباب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقياس
- ٢٠٤ أقسام الزيارة
- ٢٠٥ اجتماع الأغراض الشرعية في زيارة النبي خير البرية
- ٢٠٨ جهة القربة في زيارة القبور
- ٢١٤ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قربة
- ٢٢٣ الباب السادس: في كون السفر إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم قربة

- ٢٢٣ وذلك من وجوه: أحدها: الكتاب العزيز:
- ٢٢٣ الثاني: الستة:
- ٢٢٤ والثالث: من الستة أيضاً:
- ٢٢٥ الرابع: الإجماع:
- ٢٣٤ ونبدأ أولاً بالكلام على كون هذا السفر مأموراً به أمر ندب:
- ٢٣٥ بين المقدمة و الوسيلة
- ٢٣٧ اعتبارات السفر في مسألة الزيارة
- ٢٤٥ الباب السابع: في دفع شبيه الحضم وتتبع كلماته
- ٢٤٥ اشارة
- ٢٤٧ وفيه فصلان: الأول: في شبهه وله ثلاث شبه:
- ٢٤٧ الشبهة الاولى حديث: «لا تشد الرحال ...» ألفاظه ومصادرها
- ٢٤٨ دلالة الأحاديث ومعناها
- ٢٥١ محط البحث عند الفقهاء
- ٢٥٥ عنوان المسألة في كتب الفقه
- ٢٥٨ فتاوى مُحْتَلَقَةٌ مزورة باسم علماء بغداد
- ٢٦٠ ابن تيمية يمنع الزيارة مطلقاً، لا شد الرحل إليها فقط
- ٢٦١ نص فتوى قديمة لابن تيمية
- ٢٦٥ مشروعية الزيارة
- ٢٧١ القبور والشرك
- ٢٧٥ الفصل الثاني: في تتبع كلماته
- ٢٧٦ صورة فتوى ابن تيمية التي استنكرها علماء الملة الإسلامية
- ٢٨٤ الرد على فتوى ابن تيمية
- ٣٠٥ الباب الثامن: في التوسل، والاستغاثة، والتشفع بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم
- ٣٠٥ اشارة

- النوع الأول: أن يتوسل به؛ بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أو ببركته. ٣٠٨
- اشارة----- ٣٠٨
- حديث توسل آدم عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٨
- توسل عيسى عليه السلام بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ٣١٠
- توسل نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم ٣١١
- التعبير عن التوسل والاستغاثة----- ٣١١
- حديث الأعمى المتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم ٣١٤
- التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته----- ٣١٧
- النوع الثانى: التوسل به؛ بمعنى طلب الدعاء منه، وذلك فى أحوال:----- ٣١٩
- حديث الاستسقاء بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته----- ٣١٩
- استسقاء عمر بالعباس عم النبى صلى الله عليه وآله وسلم----- ٣٢٢
- التفرقة بين الألفاظ!----- ٣٢٤
- التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى عرصات القيامة----- ٣٢٥
- التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى البرزخ----- ٣٢٥
- التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بتسبيبه----- ٣٢٧
- لا حرج فى الألفاظ كلها----- ٣٢٨
- الاستغاثة----- ٣٢٩
- الباب التاسع: فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام----- ٣٣٣
- اشارة----- ٣٣٣
- الفصل الأول: فيما ورد فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام----- ٣٣٥
- اشارة----- ٣٣٥
- حياة الشهداء: للروح أو للجسد؟----- ٣٥٢
- الفصل الثالث: فى سائر الموتى فى السماع والكلام والإدراك والحياة وعود الروح إلى الجسد----- ٣٥٥
- أما السماع والكلام:----- ٣٥٥

- ٣٦٩ الفصل الرابع: فى عود الروح الى البدن
- ٣٧٤ الفصل الخامس: إن هذه الأعراض مشروطة بالحياة، فكيف تحصل بعد الموت؟!
- ٣٨٣ الباب العاشر: فى الشفاعة
- ٣٨٣ اشارة
- ٣٨٤ اولها: هى الشفاعة العظمى، و لم ينكرها أحد
- ٣٨٤ الثانية: الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب.
- ٣٨٨ الشفاعة الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه و آله و سلم ومن يشاء الله
- ٣٨٨ الشفاعة الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين
- ٣٩٠ الشفاعة الخامسة: فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها
- ٣٩١ من احاديث الشفاعة
- ٤٠٦ والأحاديث فى الشفاعة كثيرة، ومجموعها يبلغ مبلغ التواتر.
- ٤٠٧ فصل التوسل بالأنبياء
- ٤٠٨ فصل سؤال الأنبياء قبل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم؟
- ٤٠٨ فصل عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر
- ٤٠٩ فصل ترتيب الشفاعات حسب الروايات
- ٤١٣ فصل أهل «لا إله إلا الله»
- ٤١٥ فصل السلف والشفاعة
- ٤١٦ فصل فى المقام المحمود
- ٤١٧ فصل دعوة الرسول هى الشفاعة
- ٤١٩ خاتمة نصوص الصلوات على النبي صلى الله عليه و آله و سلم
- ٤٢٧ بعض ما حفظ عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم:
- ٤٢٩ سؤال المَقْعَد المقْرَب يوم القيامة
- ٤٣١ الفهارس
- ٤٣١ اشارة

- ١- فهرس المصادر والمراجع ٤٣٣
- ٢- فهرس المحتوى ٤٤١
- تعريف مركز ٤٤٧

شفاء السقام فى زيارة خير الانام

اشارة

نام كتاب: شفاء السقام فى زيارة خير الانام

نويسنده: تقى الدين السبكي

موضوع: اعتقادات و پاسخ به شبهات

زبان: عربى

تعداد جلد: ١

ناشر: نشر مشعر

مكان چاپ: تهران

سال چاپ: ١٤١٩ هـ. ق.

نوبت چاپ: ٤

ص: ١

اشارة

ص: ٦

تقديم

المؤلف

- ١- قالوا فيه.
- ٢- مشايخه.
- ٣- تلامذته ورواته.
- ٤- أعماله ووظائفه.
- ٥- ابنه تاج الدين.
- ٦- مؤلفاته، وقائمة بأهمها.
- ٧- ترجمته بقلم الحافظ ابن حجر العسقلاني، وابن كثير الدمشقي.
- ٨- مصادر ترجمته.

ص: ٧

المؤلف:

علی بن عبید الکافی بن علی بن تمام، الأنصارى الخزرى، أبو الحسن، تقي الدين، الشيبكى المصرى الشافعى، المولود بشيبك من أعمال المنوفية (ثالث صفر ٦٨٣) والمتوفى مسموماً، بالقاهرة (رابع جمادى الآخرة ٧٥٦) ودفن بها بصعيد السعداء بباب النصر.

١- قالوا فيه:

شيخ الإسلام «(١)» الإمام، القاضى، العلامة، الفقيه، المحدث الحافظ، فخر العلماء.

كان صادقاً، مثبتهً، خيراً، ديناً، متواضعاً، من أوعية العلم، يدرى الفقه ويقرّره، وعلم الحديث ويحزّره، والاصول ويقرّنها، والعربية ويحقّقها، وصنّف التصانيف المتقنة.

١- أطلقه عليه جماعة ومنهم ولده ونقله عن البرزالي أنه لم يكتب «شيخ الإسلام» إلّاه ولا بن تيمية وابن أبى عمر.

ص: ٨

وقد بقى فى زمانه الملحوظ إليه بالتحقيق والفضل، سمعتُ منه وسمع منى، وحكم بالشام وحُمدت أحكامه، فالله يؤيدُه ويُسدِّده، سمعنا معجمه بالكلاسة [\(١\)](#).

قال فيه شيخه الدمياطى: إمام المحدثين، وقال ابن الرفعة: إمام الفقهاء، فلما بلغ ذلك الباجى فقال: وإمام الاصوليين [\(٢\)](#).

حجة المذاهب، مفتى الفرق، قدوة الحفاظ، آخر المجتهدين، قاضى القضاة، التقى البر، العلى القدر [\(٣\)](#).

الإمام الحافظ المجتهد النظار [\(٤\)](#) العلامة ذى الفنون فخر الحفاظ، صاحب التصانيف، ثقة، جم الفضائل، حسن الديانة، صادق اللهجة، قوى الذكاء، من أوعية العلم، رفيقنا الإمام [\(٥\)](#).

الإمام الحافظ العلامة، قاضى القضاة، بقية المجتهدين، ممن طبقت الممالك ذكره، ولم يخف على أحد خبره.

ممن جمع فنون العلم من الفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والفصاحة والزهد والورع والعبادة الكثيرة والتلاوة والشجاعة والشدة فى دينه [\(٦\)](#).

شيخ الإسلام، وأحد الأئمة المجتهدين الأعلام [\(٧\)](#).

شيخ الإسلام، إمام العصر، وتصانيفه تدل على تبخره فى الحديث [\(٨\)](#).

١- قال ذلك الذهبى فى المعجم المختص، ونقله ولده فى طبقات ١٠ / ١٤٨.

٢- نقله ابن قاضى شعبة ٣ / ٤١، وهو فى طبقات السبكي ١٠ / ١٩٧.

٣- قاله العمري فى مسالك الأبصار نقله ولده فى الطبقات ١٠ / ١٤٨.

٤- الكتانى فى فهرس الفهارس ص ١٠٣٣، وعنه نقلنا ما فى المصادر التالية.

٥- الذهبى فى المعجم المختص، لاحظ ما قاله الكتانى تعليقا عليه فى المصدر السابق.

٦- أبو المحاسن الحسينى الدمشقى، فى ذيل طبقات الحفاظ للذهبي ص ٣٩.

٧- الحافظ ابن ناصر الدمشقى فى طبقات الحفاظ ص ٥٢٢.

٨- السيوطى فى طبقات الحفاظ ص ٥٥.

ص: ٩

الشيخ العالم الكبير، إمام من أئمة الشافعية، وعالم من كبار علماء الديار المصرية، ومن يُعترف له بالرتب العلية، وله عدالة الأصل وأصالة القول، وإصابة النقل، ورزانة العقل، وجزالة القول والفعل، ومثانة الدين والفضل، إلى تحصيل ونفْن وتأصيل في المنقولات والمعقولات وتمكّن نظر راجح وحفظ راسخ، وتقدّم في الحديث والرواية عالٍ شامخ.

كريم: شهد له العيان، وإليه يعزى البيان، ومن بحره يخرج اللؤلؤ والمرجان إلى آداب غضة، وفضائل من فضة [\(١\)](#).

كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم، وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة، وأجلدهم على ذلك.

وكان في غاية الإنصاف والرجوع إلى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد المستفيدين منه مواظباً على وظائف العبادات، مراعيّاً لأرباب الفنون [\(٢\)](#).

تفقّه به جماعة من الأئمة، وانتشر صيته وتوالياه، ولم يخلف بعده مثله [\(٣\)](#).

ومحاسنه ومناقبه أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر [\(٤\)](#).

وقد اعترف بفضل السلفية أتباع ابن تيمية:

فقال ابن كثير: الإمام العلامة ... قاضي دمشق ... برع في الفقه والاصول والعربية وأنواع العلوم ... انتهت إليه رئاسة العلم في وقته ... وله

كلام فيصحّ القراءات أبان فيه عن تحقيق وسعة اطلاع [\(٥\)](#).

١- أبو البقاء القاضي خالد بن أحمد البلوي الأندلسي في رحلته، نقله الكتاني في فهرس الفهارس ص ١٠٣٥، وقال: لقاءه في وسط

أمره ... فانظر ما يقول فيه لو لقيه آخره عمره؟

٢- الاسنوي في الطبقات، لاحظ الدرر الكامنة ٣ / ١٧٠.

٣- الحافظ العراقي كما في الدرر الكامنة ٣ / ١٧٠.

٤- طبقات ابن قاضي شهبه ٣ / ٤١.

٥- البدايه والنهائة ١ / ٥٥١ رقم ٢٢٥١.

ص: ١٠

وقال الزركلى الوهابى: شيخ الإسلام فى عصره، وأحد الحفّاظ المفسّرين المناظرين «(١)».

ولما نقل الكتانى كلام الذهبى فيه، قال: فقف على وصفه له ب «فخر الحفّاظ» وكونه «من أوعية العلم» وناهيك بذلك «(٢)».

٢- مشايخه:

جمعهم أبو الحسين أحمد بن أيك الحسامى الدماطى فى (معجمه) فى عشرين جزءاً ولم يستوعبهم، سمعه عليه الحفّاظ كالمزى والذهبى، وانتقى منه ولده أبو نصر أربعين حديثاً حدث بها وبغيرها من المرويات، فمنهم:

١- والده: تفقه عليه فيصغره.

٢- نجم الدين ابن الرفعة: آخر من اشتغل عليه.

٣- علاء الدين الباجى: أخذ الأصيلين وسائر المعقولات عنه.

٤- سيف الدين البغدادى: أخذ الخلاف والمنطق عنه.

٥- أبو حيان: أخذ النحو عنه.

٦- العراقى علم الدين: أخذ التفسير عنه.

٧- تقي الدين ابن الصائغ: أخذ القراءات عنه.

٨- الدماطى الحافظ شرف الدين: أخذ الحديث عنه، ولازمه كثيراً.

٩- الحافظ إمام الفن سعد الدين الحارثى: أخذ الحديث منه وهو كبير.

١٠- ابن عطاء الله تاج الدين: أخذ التصوّف عنه.

١١- الشيخ عبد الله الغمارى المالكى: أخذ الفرائض عنه.

١- الأعلام ٤ / ٣٠٢.

٢- فهرس الفهارس ص ١٠٢٣.

ص: ١١

- ١٢- ابن مشرف: أخذ عنه بدمشق.
- ١٣- يحيى بن الصواف: أخذ عنه بالاسكندرية.
- ١٤- عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة: أخذ عنه بالاسكندرية.
- ١٥- يحيى بن محمد بن عبد السلام: أخذ عنه بالاسكندرية.
- ١٦- على بن نصر بن الصواف، أخذ عنه بالقاهرة.
- ١٧- على بن عيسى بن القيم: أخذ عنه بالقاهرة.
- ١٨- على بن محمد بن هارون الثعلبي: أخذ عنه بالقاهرة.
- ١٩- الرضى الطبرى: أخذ عنه.
- ٢٠- ابن الموازىنى أبى جعفر: أخذ عنه بدمشق.
- ٢١- الذهبى: قال: كتب عنى وكتبت عنه، وسمعتة وسمع منى.
- ٢٢- الحافظ مسعود الحارثى: حدّث عنه.
- ٢٣- أبو نصر الشيرازى: حدّث عنه.
- ٢٤- ابن بنت الأعر: ذكره ولده، وابن قاضى شهبه.
- ٢٥- شيخ الإسلام تقى الدين ابن دقيق العيد: قال ولده: وقيل: إن والده دخل به إليه وعرض عليه التنبيه ولم يتحقق هو ذلك.
- ٢٦- الحسن بن عبد الكريم سبط زياده، قال ابن كثير: سمع الشاطبيه والرائيه منه أخذ عنه بالقاهرة.
- ٢٧- عبدالمؤمن بن خلف الدماطى الحافظ: أخذ عنه بالقاهرة.
- ٢٨- شهاب بن على المحسنى: أخذ عنه بالقاهرة.
- ٢٩- موسى بن على بن أبى طالب: أخذ عنه بالقاهرة.
- ٣٠- محمد بن عبدالعظيم السقطى: كذلك.
- ٣١- محمد بن المكرم الأنصارى: كذلك.

ص: ١٢

- ٣٢- محمد بن محمد بن عيسى الصوفى: كذلك.
- ٣٣- محمد بن نصير بن أمين الدولة: كذلك.
- ٣٤- يوسف بن أحمد المشهدى: كذلك.
- ٣٥- عمر بن عبدالعزيز الحسين بن رشيق: كذلك.
- ٣٦- شهدة بنت عمر بن العديم: كذلك.
- ٣٧- أبو بكر بن أحمد بن عبدالدائم: أخذ عنه بدمشق.
- ٣٨- أحمد بن موسى الدشتى: كذلك.
- ٣٩- اسحاق بن أبي بكر بن النحاس: كذلك.
- ٤٠- عيسى المطعم: كذلك.
- ٤١- سليمان بن حمزة القاضى: كذلك.
- ٤٢- الرشيد بن أبي القاسم: أجاز له من بغداد.
- ٤٣- إسماعيل بن الطبال: أجاز له من بغداد.
- وغيرهم، خلق، وجمع معجمه الجَم الغفير، والعدد الكثير [\(١\)](#).
- ٣- تلامذته ورواته:
- قال الدمشقى الحسينى فى ذيل طبقات الحفاظ ٣٩: تخرّج به طائفة من العلماء وحمل عنه امم. منهم:
- ١- ولده القاضى أبو نصر، عبد الوهابصاحب (طبقات الشافعية).
- ٢- أبو المعالى ابن رافع.
- ٣- خالد بن أحمد البلدى الأندلسى: صاحب الرحلة: «تاج المفرق فى تحلية علماء المشرق» قال: لقيته بمنزله فى القاهرة، وسمعت عليه، ورسم لى الإجازة

١- لاحظ طبقات السبكي ١٠/١٤٧، دار إحياء التراث العربى.

ص: ١٣

العامه بخطه.

٤- أبو محمد البرزالي، ذكره ابنه في الطبقات.

٥- الحافظ أبو الحجاج المزي.

٦- الحافظ الذهبي. ذكر سماعه عليه ابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية، وقد اعترف الذهبي بكتابته عنه، وسماعه منه.

٧- سراج الدين البلقيني.

٨- محمد بن يعقوب المقدسي، قرأ عليه القراءات.

٩- أحمد بن الغزي الشهير بالشريف الحسيني قرأ عليه القراءات.

١٠- الإسنوي صاحب الطبقات، قال فيه: شيخنا.

١١- خليل بن أبيك الشيخ صلاح الدين الصفدي، قال السبكي: قرأ على الشيخ الإمام جميع كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام» (١).

١٢- أبو البقاء.

١٣- ابن النقيب.

١٤- تقي الدين أبو الفتح.

قال ابن قاضي شهبة: وأولاده، وغيرهم من الأئمة الأعلام.

٤- أعماله ووظائفه:

* تولى مشيخة المعاد بالجامع الطولوني، بمصر.

* تولى قضاء الشام عند شغوره بموت الجلال القزويني في جمادى الآخرة

١- طبقات الشافعية ١٠/ ٥ رقم ١٣٥٢.

ص: ١٤

سنة (٧٣٩) فباشر ذلك على ما يليق به واستمر إلى سنة (٧٥٦).

* قال ولده: سنة تسع وثلاثين وسبعمائة في تاسع عشر جمادى الآخرة منها، طلبه السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون، وذكر له أن قضاء الشام قد شغر، وأراده على ولايته، فأبى، فما زال السلطان، فقبل الولاية: يا لها غلطة، أف لها، وورطةً ليتهاصم ولا فعلها! «(١)» قالوا: فما حفظ عنه في التركات، ولا في الوظائف ما يُعاب عليه، وكان متقشفاً في اموره، متقللاً من الملابس، وكان لا يستكثر على أحد شيئاً.

ولما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم ديناً «(٢)».

* درّس في مدارس الشام بالغازية، والعدائية الكبرى، والأتابكية، والمسرورية، والشامية البرانية - وليها بعد موت ابن النقيب -.

* وولى بعد وفاة الحافظ المزي مشيخة دار الحديث الأشرفية.

* وقد خطب بجامع دمشق مدّة، وقال الذهبي في ذلك شعراً:

ليهن المنبر الاموي لما علاه الحاكم البحر التقى

شيوخ العصر أحفظهم جميعاً وأخطبهم و «أقضاهم على» «(٣)»

وانظر الى قوله: «وأقضاهم على» فيه اقتباس جلي، ولذلك قال العمري في شأنه: سمى على كرم الله وجهه، الذي هو باب العلم، ولا غرو أن كان هذا المدخل إلى ذلك الباب، والمستخرج من دقيق ذلك الفضل هذا اللباب والمستعير من تلك المدينة التي ذلك الباب بابها، والواقف عليها من سمته فذاك بابها وهذا بوابها «(٤)».

١- جاء ذلك في طبقات الشافعية الكبرى ١٠ / ١٦٨.

٢- ذكره ابن قاضي شهبه في طبقاته.

٣- الشعر رواه ولده السبكي في طبقاته ١٠ / ١٦٩ ونقله عنه ابن قاضي شهبه في طبقاته ٣ / ٤٠.

٤- طبقات السبكي ١٠ / ١٤٨.

ص: ١٥

٥- ابنه تاج الدين:

لقد خلف الإمام السبكي أولاداً فضلاء، كلهم قضاء نابهن، إلا أن أنبههم وأشهرهم الإمام ابن السبكي: تاج الدين عبد الوهاب صاحب طبقات الشافعية الكبرى.

ولد (٧٢٨) وختم القرآن صغيراً وطلب العلم وهو ابن عشر سنين بدمشق، وعنى بالحديث، وأجاز له الحجاز، ولازم الذهبي، وسمع الكثير من شيوخ عصره، ومهر في الفنون، وولى قضاء دمشق بعد أبيه، وخرج له مع قصر عمره ما يتعجب منه، قاله ابن حجر في طبقات الحفاظ.

وقال الذهبي في (المعجم المختص): وكتب عنى أجزاء نسخها وأرجو أن يتميز في العلم، درس وأفتى وعنى بهذا الشأن.

وقال البوني في ثبته: الإمام المجمع على جلاله قدره وتمام بدره، بل لو قيل: «لو قدر إمام خامس مع الأئمة الأربعة لكان ابن السبكي». نقل كل هذا المحدث العلامة الكتاني في فهرس الفهارس والأبواب ١٠٢٨ رقم ٥٨٦، وقال: من تأمل ترجمه ابن السبكي هذا، بقلم الحافظ ابن حجر، مع ترجمه أبيه بقلم الحفاظ الأعلام: الذهبي وابن ناصر والحسيني والسيوطي في طبقات الحفاظ، يعلم عظمة الرجلين [السبكي وابنه].

لأن من ذكر - خصوصاً الذهبي وابن ناصر - كانا كالخصمين لهم، لتشيعهما لابن تيمية وحزبه، خصوصاً ابن ناصر: كان يُعادى بعداوته، ويحبّ بحبه!!

ومع ذلك ما وسعهما إلا الاعتراف للأب والابن، بما ذكر!

قال الكتاني: لتعلم، أن الحق أحق بالاتباع.

ص: ١٦

فما يتقوله بعض من لا علم له: «بأن السبكي إنما مجده وقدسه ولده في الطبقات!» هو الدليل بعينه على جهل قائله وكذبه! «(١)» ٦-

مؤلفاته وقائمه بأهمها:

قال الذهبي: صنف التصانيف المتقنه.

وقال السيوطي: صنف أكثر من مائه وخمسين مصنفاً، تدل على تبخره في الحديث.

وقال الحسيني الدمشقي: كتب بخطه المليح الصحيح المتقن شيئاً كثيراً من سائر علوم الإسلام ... وسارت بتصانيفه وفتاويه الركبان. قال ابن حجر: كان لا تقع له مسألة مستغربه أو مشكله إلا ويعمل فيها تصنيفاً يجمع فيه شتاتها، طال أو قصر، وذلك يبين في تصانيفه. وقال الحافظ ابن حجر: قد استوعب ولده عدده تصانيفه في ترجمته التي أفردا وأفرد مسائلها التي انفرد بتصحيحها أو باختيارها في كتابه (ترشيح التوشيح).

وسنذكر نحن بعض ما ذكره له، ولنقدم ما أورده المترجمون من المجاميع المنسوبة إليه:

أ- قال الكتاني: وقد ظفرت في المكتبة الخالدية بيت المقدس لما زرته عام (١٣٢٤) بمجموعة بخط المترجم له الشيخ تقي الدين السبكي، اشتملت على عدة مؤلفات، منها:

١- الأدلة في إثبات الأهلة.

٢- رسالة في مضار القصيدة النوتية المتضمنة الرد على الأشاعرة.

١- فهرس الفهارس والأبواب ص ١٠٢٨ رقم ٥٨٦: ابن السبكي الصغير.

ص: ١٧

وهي (٢٥) ورقة في القالب الكبير، كتبت سنة (٧٤٩).

٣- الاعتبار ببقاء الجنة والنار.

كتبت (٧٤٨) تتضمن تضليل من قال بفناء النار من أهل عصره «(١)».

وغير ذلك، وهي مجموعة قيمة لا ثمن لها، من النفاسة بمكان «(٢)».

ب- وقال الزركلي الوهابي في أعلامه ٣٠٢ / ٤: ورأيت مجموعة أخرى كلها بخطه في الرباط (٣٠٦ أوقاف) تشمل على تسع رسائل له، منها:

١- المحاوره والنقاط في المجاورة والرباط.

٢- مصمى الرماه في وقف حماه.

وقال ولده: حج في سنة (٧١٦) ثم عاد، وألقى عصا السفر واستقر، وانتهت إليه رئاسة المذهب بمصر ... وفي هذه المدّة ردّ على الشيخ ابن تيمية في مسألتى الطلاق والزياره، وألف غالب مؤلفاته المشهورة: كالتفسير، وتكملة شرح المهذب، وشرح المنهاج للنووي، وغير ذلك من مبسوط ومختصر «(٣)».

قائمة بأهم مؤلفاته:

١- النكت عليصحيح البخارى، في مجلد.

قال الكتاني: وقفت عليه بمكتبه مكناسة.

٢- ضياء المصاييح في اختصار مصاييح البغوى.

ذكره الكتاني.

٣- السيف المسلول على من سب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

١- وهو ابن تيمية، راجع دفع الشبه للحصنى ص ١١٦.

٢- فهرس الفهارس ص ١٠٢٦ آخر ترجمة رقم ٥٨٥ وقد ذكر الزركلى الوهابى هذه المجموعة وقال: رأيت مجموعة بخطه في مجلد

ضخم، ولم يحدّد موقعها!

٣- الطبقات ١٠ / ١٦٧.

ص: ١٨

ذكره السبكي، والكتاني، والزركلي: له نسخ في تركيا: في السليمانية ٢٤ (٣١٩) وعاشر أفندي ١٢ (١٦١) وفيض الله ١١٣ (٢١٣٢) ولاله لي ٣٨ (٣٦٥) ويكي جامع ١٢ (٢٠٩).

٤- إبراز الحكم من حديث رفع القلم.

ذكره الكتاني، وذكره ولده السبكي وذكر بعده: الكلام على حديث رفع القلم، وكأنهما واحد. ومنه نسخه في دار الكتب بالقاهرة رقم (١٦١٦) و (١٦٢٥) وله مختصر في الظاهرية رقم ٢٩٤ مجموع (٣٢).

٥- الدر النظيم في تفسير القرآن العظيم.

ذكره السبكي وذكره الزركلي، وقالوا: لم يكمل، وله جهود تفسيرية متفرقة بين آيات خصيص لها أجزاء صغار، سنعددها، وبين آيات متفرقة جمعت في بداية (فتاوى السبكي).

٦- إحياء النفوس فيصنع إلقاء الدروس.

ذكره السبكي ولده، وذكره الزركلي.

٧- الإغريض في الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض.

ذكره السبكي، والزركلي.

٨- المسائل الحلبية في الفقه.

ذكره السبكي، والزركلي.

٩- شفاء السقام في زيارة خير الأنام.

ذكره ولده وهو كتابنا هذا، رداً على ابن تيمية في تحريمه زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويسمى (شن الغارة على مانع الزيارة) وسيأتي الكلام عنه مفصلاً.

١٠- المحاورة والنقاط في المجاورة والرباط.

قال الزركلي: وجدتها في مجموعة بخطه في الرباط (٣٠٦ أوقاف) ضمن تسع

ص: ١٩

رسائل له.

١١- مصمى الرماه فى وقف حماه.

ذكره الزركلى مع المجموعه (٣٠٦ أوقاف- فى الرباط).

١٢- الأدله فى إثبات الأهل.

ذكره الكتانى والزركلى، ضمن مجموعه بخطه، فى المكتبه الخالديه، بالقدس الشريف.

١٣- الاعتبار ببقاء الجنه والنار.

ذكره ولده، وذكره الكتانى والزركلى، ضمن مجموعه الخالديه بالقدس. وهو مطبوع.

١٤- السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل.

رد على القصيده النويه لابن قيم الجوزيه الحنبلى السلفى، الموسومه بالكافيه فى العقائد رداً على الأشاعره، رآها الكتانى والزركلى فى مجموعه الخالديه بالقدس كما مر فى بدايه هذه القائمه، وهو مطبوع مع تكمله مهمه للإمام الكوثرى.

١٥- الابتهاج فى شرح المنهاج فى الفقه الشافعى.

ذكره السبكي والزركلى.

١٦- الفتاوى السبكيه.

ذكره ولده والزركلى، وذكر ابن حجر: أن ولده عبد الوهاب جمع فتاواه ورتبها فى أربع مجلدات، طبع فى مصر فى مجلدين، وأعادته دار المعرفه- بيروت.

١٧- التمهيد فيما يجب فيه التحديد.

ذكره الزركلى وأشار إلى أنه مطبوع، وأنه فى المبيعات والمقاسمات والتمليكات وغيرها.

١٨- تكمله (المجموع فى شرح المهذب للنووى)

ص: ٢٠

من باب الربا إلى التفليس، في خمس مجلدات، ذكره السبكي ولده.

١٩- التحبير المذهب في تحرير المذهب.

وهو شرح مبسوط على (المنهاج). ذكره السبكي، وقال: ابتدأ فيه من كتاب الصلاة، فعمل قطعه نفيسة.

٢٠- الابتهاج في شرح المنهاج للنووي.

قال السبكي: وصل فيه إلى أوائل الطلاق.

ثم كمله ابنه أحمد بهاء الدين، كما في كشف الظنون ١٨٧٣.

٢١- الدرّة المضيئة في الردّ على ابن تيمية.

طبعت في الرسائل السبكية، وفي (التوفيق الرباني).

٢٢- التحقيق في مسألة التعليق.

قال السبكي: وهو الردّ الكبير على ابن تيمية في مسألة الطلاق.

٢٣- رافع الشقاق في مسألة الطلاق.

قال السبكي: وهو الردّ الصغير على ابن تيمية.

وله رد ثالث مختصر باسم النظر المحقق، مطبوع في الفتاوى ٢ / ٣٠٩.

وذكر ولده السبكي المؤلفات التالية له:

٢٤- أحكام «كلّ» وما عليه تدلّ.

٢٥- بيان حكم الربط في اعتراض الشرط على الشرط.

٢٦- الإقناع في الكلام على أنّ «لو» للامتناع.

٢٧- وشئ الحلي في تأكيد النفي بلا.

٢٨- الكلام على حديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله».

٢٩- أجوبة سؤالات حديثية وردت من الديار المصرية حول بعض ما في (تهذيب الكمال) للمزي.

ص: ٢١

وذكره الكتاني.

٣٠- تنزيل السكينة على قناديل المدينة. نشر في فتاوى السبكية ١/ ٢٧٤.

٣١- مسألة فناء الأرواح.

٣٢- مسألة في التقليد في اصول الدين.

٣٣- المفرق في مطلق الماء والماء المطلق.

٣٤- أمثلة المشتق.

وهي ارجوزة في الصرف ذكرها السبكي، وأوردها طابعو طبقات الشافعية في هوامش الصفحات ١٨٦ وما بعدها من الجزء (١٠) منها.

٣٥- القول الصحيح في تعيين الذبيح.

٣٦- القول المحمود في تنزيه داود.

٣٧- ورد العَلَل في فهم العِلل.

٣٨- التهَدَى في معنى التعَدَى، في الصرف.

٣٩- بيان المحتمل في تعديّة «عَمِل» وانظر الرقم (٤٩).

٤٠- نيل العلا بالعطف بلا.

٤١- الألفاظ: هل وضعت بإزاء المعاني الذهنية، أو الخارجية؟

٤٢- أحاديث رفع اليدين، ذكره ولده، والكتاني.

٤٣- الاقتناص في الفرق بين الحصر، والقصر، والاختصاص، في علم البيان.

٤٤- نصيحة القضاة.

٤٥- كتاب بزّ الوالدين.

وقد ذكر ولده من مؤلفاته ما يدخل ضمن التفسير، مثل:

٤٦- التعظيم والمنّة في لتؤمنن به، ولتنصرته الآية ٨١ من سورة آل عمران، وهو مطبوع في فتاوى السبكي ١/ ٤٨.

ص: ٢٢

- ٤٧- الإقناع فى تفسير قوله تعالى: ما للظالمين من حميم ولا شفيح يُطاع الآية ١٨ من سورة غافر، ولاحظ فتاوى السبكي.
- ٤٨- الحلم والأناة فى إعراب قوله: غير ناظرين إناه الآية ٥٣ من سورة الأحزاب، طبع فى فتاوى السبكي ١/ ١٠٥.
- ٤٩- تفسير: يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا الآية ٥١ من سورة المؤمنون.
- ٥٠- الكلام على قوله تعالى: لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن الآية ٢٣٦ من سورة البقرة.
- هذا ما اخترناه من أسماء مؤلفاته التى تبلغ (١٥٠)، وقد أورد ولده السبكي أسماء ما يزيد على (١٢٥) منها فى ترجمته فى طبقات الشافعية ١٠/ ٣٠٧ - ٣١٥ وأورد (١٨) رسالة ذات النصوص الصغار فى الفتاوى السبكية، وجمع بعضها الاستاذ كمال أبو منى فى (الرسائل السبكية) وهو مطبوع.
- ومما طبع أيضاً فى الفتاوى السبكية:
- ٥١- بذل الهمة فى أفراد العمّ وجمع العمّة ١/ ٩٧.
- ٥٢- الفهم السديد فى إنزال الحديد ١/ ١٢٩.
- ٥٣- إشراق المصايح فى صلاة التراويح ١/ ١٦٥.
- ٥٤- الاعتصام بالواحد الأحد من إقامة جمعيتين فى بلد ١/ ١٨١.
- ٥٥- مختصر: فصل المقال فى هدايا العمال ١/ ٢١٣.
- ٥٦- حفظ الصيام من قوت التمام ١/ ٢٣٠.
- ٥٧- قدر الإمكان المختطف فى دلالة «كان إذا اعتكف» ١/ ٢٤٢.
- ٥٨- نثر الجمان فى عقود الرهن والضمان ١/ ٣٠٩.
- ٥٩- متبه الباحث فى دين الوارث ١/ ٣٣٠.

ص: ٢٣

٦٠- الطريقة النافعة في الإجارة والمساقاة والمزارعة.

٦١- مؤلف في مياه دمشق.

٦٢- الغيث المغدق في ميراث ابن المعتق ٢/ ٢٢٤.

٦٣- مؤلف في ترميم الكنائس ٢/ ٣٦٩.

٦٤- الدلالة على عموم الرسالة ٢/ ٥٩٤.

٧- ترجمة المؤلف: بقلم الحافظ ابن حجر العسقلاني في «الدرر الكامنة»

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام بن حامد بن يحيى بن عمر بن عثمان بن علي بن سوار بن سليم السبكي تقي الدين، أبو الحسن الشافعي.

ولد بسببك العيد، أول يوم من صفر سنة (٦٨٣) وتفقه على والده، ودخل القاهرة، واشتغل على ابن الرفعى، وأخذ الأصلين عن الباجي، والخلاف عن السيف البغدادي، والنحو عن أبي حيان، والتفسير عن العلم العراقي، والقراءات عن الثقي الصائغ، والحديث عن الدمياطي، والتصوف عن ابن عطاء الله (١) والفرائض عن الشيخ عبد الله الغماري.

وطلب الحديث بنفسه، ورحل فيه إلى الشام، والإسكندرية والحجاز، فأخذ عن ابن الموازيني، وابن مشرف، وعن يحيى بن الصواف وابن القيم، والرضي الطبري، وآخرين يجمعهم معجمه الذي خرج له أبو الحسين ابن أبيك. وولى بالقاهرة تدريس المنصوري، وجامع الحاكم والكهاري وغيرها.

١- ابن عطاء.

ص: ٢٤

وكان كريم الدين الكبير والجاى الدوادار وجنكلى بن البابا والجاولى وغيرهم من أكابر الدولة الناصرية يعظّمونه ويقضون بشفاعته الأشغال.

ولمّا توفى القاضي جلال الدين القزوينى بدمشق، طلبه الناصر فى جماعة ليختار منهم من يقّرره مكانه، فوقع الاختيار على الشيخ تقى الدين، فوليتها- على ما قرأت بخطه- فى تاسع عشر جمادى الآخرة سنة ٧٣٩، وتوجه إليها مع نائبها تنكز، فباشر القضاء بهمة وصرامة وعفة وديانة.

واضيفت إليه الخطابة بالجامع الاموى فباشرها مدّة فى سنة ٧٤٢، ثم اعيدت لابن الجلال القزوينى.

وولى التدريس بدار الحديث الأشرفية، بعد وفاة المزي، وتدرّس الشامية البرانية بعد موت ابن النقيب فى أوائل سنة ٤٦، وكان طلب فى جمادى الاولى إلى القاهرة بالبريد ليقرر فى قضائها فتوجه إليها وأقام قليلاً ولم يتم الأمر واعيد إلى وظائفه بدمشق، ووقع الطاعون العام فى سنة ٧٤٩ فما حفظ عنه فى التركات ولا فى الوظائف ما يُعاب عليه.

وكان متقشفاً فى اموره متقللاً فى الملابس، حتى كانت ثيابه فى غير الموكب تقوّم بدون الثلاثين درهماً وكان لا يستكثر على أحد شيئاً حتى أنه لما مات وجدوا عليه اثنين وثلاثين ألف درهم ديناً، فالترم ولداه تاج الدين وبهاء الدين بوفائها.

وكان لا يقع له مسألة مستعربة أو مشكلة إلاّ وجعل فيها تصنيفاً يجمع فيه شتاتها طال أو قصر، وذلك يبين فى تصانيفه.

وقد جمع ولده فتاويه ورّبّها فى أربع مجلدات.

قال الصفدى: لم يرد أحد من نواب الشام ولا من غيرهم تعرض له فأفلح، بل يقع له إمّا عزل وإمّا موت، جرّبنا هذا وشاع وذاع حتى

قلت له يوماً فى قضية: يا سيدى دع أمر هذه القرية فإنك قد أتلفت فيها عدداً وملك الأمراء وغيره فى ناحية

ص: ٢٥

وأنت وحدك في ناحية وأخشى أن يترتب على ذلك شر كثير فما كان جوابه إلا أنشد قوله:

وليت الذى بينى وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب

قلت: رأيت بخطه عدّة مقاطيع ينظمها في ذلك كأنه يتوسل بها إلى الله فإذا انقضت حاجته طمس اسم الذى كان دعا عليه.

وقد استوعب ولده عدّة تصانيفه في ترجمته التى أفرداها وأفرد مسائلها التى انفرد بتصحيحها أو باختيارها في كتابه التوشيح (١).

قرأت بخط الشيخ تقي الدين السبكي: كتب إلى أبو الفتح - يعنى قرابته - ورقة بسبب شخص أن أكتب إلى شخص في حاجة له،

وذلك قبل ولاية الشام بسنة فأجبتة: «وقفت على ما أشرت إليه، والذى تقول له صحيح، وهو الذى يتعين على العاقل، ولكنى ما أجد

طباعى تنقاد إلى هذا بل تأبى منه أشد الإباء، والله خلق الخلق على طبائع مختلفة وتكلف ما ليس فى الطبع صعب» إلى أن قال: «وأنا

من عمرى كله لم أجد ما يخرجنى عن هذه الطريقة، فإنى نشأت غير مكلف بشيء من جهة والذى كنت فى الريف قريباً من عشرين

سنة وكان الوالد يتكلف لى ولا أتكلف له ولا أعرف من الناس فيه غير الاشتغال ثم ولى والذى نيابة الحكم بغير سؤال فصرت أتكلم

الكلام بسببه وأما فى حق نفسى فلا أكاد أقدم على سؤال أحد إلا نادراً بطريق التعريض اللطيف فإن حصل المقصود وإلا رجعت على

الفور وفى نفسى ما لا - يعلمه إلا الله، وأما فى حق غيرى من الأجانب فكانوا يلحون إلى فأتكلف فأقضى من حوائجهم ما يقدره الله،

ولم أزل يكن معى عشرة أوراق أو أكثر ولا أتحدث فيها مع المطلوبة منه إلا معرفاً وشغلت بذلك عن مصلحتى

١- ترشيح التوشيح اظن هذا الصواب وقد جعله صاحب كشف الظنون كتابين.

ص: ٢٦

ومصلحة أولادى لأن اجتماعى بهم كان قليلاً يروح فى حوائج الناس ولا ينقضى بها حاجة حتى يزيد نفور نفسى عن الحديث فيها وكان آخر ذلك أن طلبت حاجة تقى الدين الاقنيسى فأجابنى المطلوب منه بجواب لا يرضاه فحلفت لا أسأله حاجة بعدها فمات بعد نحو نصف سنه وحصلت لى الراحة بترك السؤال ولكن استمرّ الوالد فى نيابة المحلة فعرض من الجلال وولده ما يقتضى أن خاطرى يغريه فحصل لى ضجر فقدّر الله وفاة الوالد وماتت الوالدة بعده بأربعين يوماً فعزفت نفسى عن الدنيا، وأنا الآن ابن اثنين وخمسين سنه، وقد تعبت نفسى فى حوائج الناس مدّة، فأريد أن اريح نفسى فيما بقى وأيضاً فلى نحو عشر سنين لا أتحرك تحركه فى الدنيا فأحمدها فأخاف إذا تحدثت لغيرى أن لا ينجح فأندم ويتعب قلبى، فالعزلة أصلح» إلى أن قال: «وليعلم أن الإنسان إنما يفعل ذلك إما لطبع فطرى أو مكتسب، وهما مفقودان عندى، أو لحامل عليه من إيجاب شرعى وليس منصوره المسأله، أو غرض دنيوى وأرجو أن لا يكون عندى، أو اكتساب أجر بأن يكون مندوباً، ومثل هذا: الظاهر أن تركه هو المندوب، ثم لو سلم فالنفس لا تنقاد إليه فى أكثر الأحوال كما يترك الإنسان المندوب لطبع أو ضعف باعث والمندوب أن قل ان يعمل إلى المخالطة على جميعها وذلك بحسب قوة الباعث وضعفه والسلام انتهى ملخصه.

وقرأت بخط الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالرحمن بن الصائغ الحنفى على جزء من تفسير الشيخ تقى الدين ما نصه، يقول «(١)»:

أتيت لنا من الدرّ النظيم سلوكاً للصراط المستقيم

جمعت به العلوم فيالفردي حوى تصنيفه جمع العلوم

وكان ينظم كثيراً وشعره وسط، فمنه ما وصى به ولده محمداً، قال:

أبني لا تهمل نصيحتي التي اوصيك واسمع من مقالى ترشد

احفظ كتاب الله والسنن التيصحت وفقه الشافعي محمد

وتعلم النحو الذي يدنى الفتى من كل فهم فى القرآن مسدّد

واعلم اصول الفقه علماً محكماً يهديك للبحث الصحيح الأيد

واسلك سبيل الشافعي ومالك وأبى حنيفة فى العلوم وأحمد

ومنها قوله أيضاً:

واقطع عن الأسباب قلبك واصطربر واشكر لمن أولاك خيراً واحمد

ومنها قوله أيضاً:

وخذ العلوم بهمةً وتيقظ وقريحه سمحاء ذات توقد

ومنها قوله أيضاً:

واقف الكتاب ولا تمل عنه وقف متأدباً مع كل حبر أوجد

ومنها قوله أيضاً:

وطريقة الشيخ الجنيد وصحبه والسالكين سبيلهم بهم اقتد

واقصد بعلمك وجه ربك خالصاً تظفر سبيل الصالحين وتهتدى

يقول فى آخرها:

هذى وصيتي التي اوصيكها أكرم بها من والد متودد

وعدتها نحو العشرين، هذا مختارها.

وله أيضاً:

إنّ الولاية ليس فيها راحةٌ إلّا ثلاثٌ يبتغيها العاقلُ
حكمٌ بحقٍ أو إزالةٌ باطلٍ أو نفعٌ محتاجٍ سواها باطلٌ
وله أيضاً:

إذا أتتكَ يدٌ من غير ذى مقهٍ «(٢)» وجفوةٌ منصديقٍ كنتَ تأملهُ
خذها من الله تنبيهاً وموعظةً بأنّ ما شاء لا ما شئتَ يفعله

وقد كان نزل عن منصب القضاء لولده تاج الدين بعد أن مرض، فلما استقر تاج الدين وباشر؛ توجه الشيخ تقي الدين إلى القاهرة وأقام بها قليلاً في دار على شطّ النيل وهو موعوك إلى أن مات في ثالث جمادى الآخرة سنة ٧٥٦. فكانت إقامته بالقاهرة نحو العشرين يوماً وكان وصول التقليد لتاج الدين في ثالث عشر شهر ربيع الأول ولبس الخلع في النصف منه وباشر ثم عوفى أبوه وركب وحضر معه بعض الدروس وحكم بحضرتة وسرّ به وتوجه إلى القاهرة في سادس عشرى شهر ربيع الآخر من السنة.

ثم لما مات سعى ولده أن يدفن عند الإمام الشافعى داخل القبّة فامتنع شيخو من إجابته سؤاله فدفنه بسعيد السعداء.

١- في نسخة: ثقة.

٢- في نسخة: ثقة.

ص: ٢٩

قال الاسنوى في (الطبقات) «(١)»: كان أنظر من رأيناه من أهل العلم، ومن أجمعهم للعلوم وأحسنهم كلاماً في الأشياء الدقيقة و أجملهم على ذلك، وكان في غاية الإنصاف والرجوع الى الحق في المباحث ولو على لسان آحاد الطلبة، مواظباً على وظائف العبادات مراعيّاً لأرباب الفنون محافظاً على ترتيب الأيتام في وظائف آبائهم.

وقال شيخنا العراقي: طلب الحديث في سنة ٧٠٣ ثم انتصب للإقراء وتفقه به جماعة من الأئمة، وانتصرصيته وتواليغه، ولم يخلف بعده مثله.

ومن ماجرياته: أنه بحث مع ابن الكناني فنقل عن الشيخ أبي إسحاق شيئاً في الاصول فلما رجع بعث إليه قاصداً يقول له: المسألة التي ذكرها، ما هي في (اللمع)! فكتب إليه:

سمعتُ بإنكار ما قلته عن الشيخ إذ لم يكن في اللمع

ونقلني لذلك من شرحه وخير خصال الفقيه الورع

لو وقفت على شرح اللمع ما أنكرت النقل فانظر فيه فإنه كتاب مفيد.

فلما وقف ابن الكناني على الجواب تألم تألماً كثيراً، وكان أسن من السبكي بكثير، لكن تقدّم السبكي واشتهر، واستمرّ هو على حالة واحدة.

ولذا كان ابن عدلان وابن الانصارى يمتعضان من السبكي لكونهما أسن منه وتقدّم عليهما «(٢)».

ترجمة المؤلف بقلم ابن كثير الدمشقي المؤرخ المفسر

على بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يوسف بن موسى بن تمام، الإمام

١- طبقات الشافعية للاسنوى ص ٧٥ رقم ٦٦٦.

٢- الدرر الكامنة في المائة الثامنة ٣ / ٦٣.

ص: ٣٠

العلامة أبو الحسن السبكي الشافعي قاضي دمشق.

ولد سنة (ثلاث وثمانين وستمائة) وبرع في الفقه والأصول والعربية وأنواع العلوم، وقرأ القراءات على الصائغ، وسمع الشاطبية والرائية من سبط زياده، وقدم دمشق قاضياً سنة (تسع وثلاثين وسبعمائة) قرأ عليه القراءات محمد بن يعقوب المقدسي وأحمد بن الغزي الشهير بالشريف الحسيني، انتهت إليه رئاسة العلم في وقته، وله كلام فيصحح القراءات العشر والرد على من طعن فيها أبان فيه عن تحقيق وحسن اطلاع. توفى سنة (سبع وخمسين وسبعمائة) بمصر «(١)».

٨- مصادر ترجمته:

- ١- الدرر الكامنة في المائة الثامنة لابن حجر ٣/٦٣ وقد أوردناها بتصريف، في ما تقدم.
- ٢- فهرس الفهارس والأبواب للكتانيس ١٠٢٣-١٠٣٧ رقم ٥٨٥.
- ٣- الأعلام للزركلي الوهابي ٣٠٢/٤.
- ٤- البدايه والنهائيه لابن كثير ١٤/٢٥٣ وقد أوردناها في مواضع متفرقة من هذا الجزء بمناسبة مختلفه.
- ٥- طبقات الشافعية، لولده عبد الوهاب تاج الدين ١٠/١٣٩-٢٢٦ وفي طبعه الحسينية ٦/١٤٦ وقد استفدنا منها كثيراً.
- ٦- حسن المحاضرة ١/١٧٧.
- ٧- غاية النهاية ١/٥٥.
- ٨- الدارس في المدارس ١/٤/١٣٤.
- ٩- قضاء دمشق لابن طولونص ١٠١.

١- البدايه والنهائيه ١/٥٥١.

ص: ٣١

- ١٠- البدر الطالع /١ ٤٦٧- ٤١٩.
- ١١- طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٣/ ٣٧- ٤٢ رقم ٦٠٣.
- ١٢- طبقات الشافعية، للاسويص ٧٥ رقم ٦٦٦. وقد ذكرها ابن حجر في الدرر وأثبتها معه.
- ١٣- النجوم الزاهرة ١٠/ ٣١٨.
- ١٤- ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي ٣٥٢.
- ١٥- بغية الوعاة للسيوطي ٣٤٢.
- ١٦- شذرات الذهب لابن العماد ٦/ ١٨٠.
- ١٧- مفتاح السعادة ٢/ ٢٢١.
- ١٨- هدية العارفين ١/ ٧٢٠.
- ١٩- مقدّمة (فتاوى السبكي) طبعه مصر، أعادته دار المعرفة- بيروت.
- ٢٠- بروكلمان ٢/ ٨٦ وذيله ٢/ ١٠٢.
- ٢١- معجم المؤلفين لكحالة ٧/ ١٢٧.
- ٢٢- وقد أفرد ولده عبد الوهاب صاحب الطبقات، ترجمه خاصة لوالده، ونسخه منها باسم (ترجمه تقى الدين السبكي) في دار الكتب المصرية رقم ١٦٣٤ وصورتها في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية رقم (١٤٩٤ تاريخ) كتبت سنة ٧٦٤ وعليها خط المؤلف.
- ٢٣- وخصص تراجم آل السبكي، الاستاذ محمد الصادق حسين في كتاب (البيت السبكي) طبع بدار الكاتب المصري عام ١٩٤٨ م.

ص: ٣٣

الكتاب

- ١- الردّ على ابن تيميّه في منع الزيارة.
- ٢- شفاء السقام في نظر الأعلام.
- ٣- من هو ابن عبد الهاديصاحب الصارم المنكي.
- ٤- أهم ما في كتاب الصارم المنكي.
- ٥- الصارم المنكي في نظر العلماء.
- ٦- قاموس شتائم ابن عبد الهادي.
- ٧- نصيحة للمغترين بالسلفية في عصرنا.
- ٨- محتوى الكتاب ومادّته.
- ٩- عملنا في الكتاب.

ص: ٣٤

صفحة سفيد

ص: ٣٥

١- الرد على ابن تيمية في منع الزيارة:

قال ابن فضل الله العمري، في ترجمته السبكي:

إمام ناضح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنضاله، وجاهد بحداله، ولم يَلطخ بالدماء حد نضاله، حمى جناب النبوة الشريف، وبقيامه في نصره، وتسديد سهامه للذّب عنه من كنانة مصره، فلم يُخطِ على بُعد الديار سهمه الراشق، ولم يُخفِ مسام تلك الدسائس فهمه الناشق... قام حين خُلط على ابن تيمية الأمر، وسوّل له قرينه الخوض في ضحضاح ذلك الجمر، حين سدّ باب الوسيلة... وأنكر شدّ الرحل لمجرّد الزيارة.

إلى أن يقول: كيف يُزار المسجد، ويُجفّص صاحبصلى الله عليه وآله وسلم؟ أو يخفيه الإبهام، أو تُداد عنه وهي تتراشق إليه كالسهام؟

ولولاه عليه الصلاة والسلام، لما عرف تفضيل ذلك المسجد؟ ولا يمم إلى ذلك المحلّ تأميل المغير ولا المنجد!؟

ولولاه لما قدّس الوادي، ولا أسس على التقوى مسجد ذلك النادي!؟

شكر الله له، قام في لزوم ما انعقد عليه الإجماع، وبعد الظهور بمخالفته على

ص: ٣٦

الأطماع.

وردّ القرن وهو ألدّ خصيم، وشدّ عليه وهو يشدّ على غير هزيم، وقابله وهو الشمس تغشى الأبصار، وقاتله - وكم جهد - ما يثبت البطلُ لعلّي وفي يده ذو الفقار.

إلى أن يقول: وانجلت غياهب ذلك العُثْر: تبرق فيهصفحات الحق السوي، والحظّ السعيد النبوي، والنصر المحمدي إلّا أنه بالفتوح العلوي، بجهادٍ أيد صاحب الشريعة وآزره، وردّ على من سدّ باب الذريعة وخذل ناصره «(١)».

وقال ولده في الطبقات: ثم حجّ في سنة ستّ عشرة [وسبعمائة] وزار قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وعاد، وألقى عصا السفر واستقرّ وانتهت إليه رئاسة المذهب بمصر ...

وفي هذه المدّة ردّ على الشيخ أبي العباس ابن تيمية في مسألة الطلاق والزيارة «(٢)».

وذكر في الطبقات: ومما أورده ابن فضل الله [العمري] عنه في التاريخ:

في كلّ وادٍ بليلى والله شغفّ ما إن تزال به من مسّها وصبّ

ففى بنى عامر من حبّها دنفّ ولا بن تيمية من عهدها سعبّ

وكان قد قالهما وقد وجد إكثار ابن تيمية من ذكر ليلي وتمنيها، وأراد بعهد ليلي - ظاهراً - ما هوله، وباطناً يمينها، واليمين: العهد «(٣)».

ونقل ابنه: صحّ من طرق شتى عن الشيخ تقي الدين ابن تيمية: أنه كان لا يعظّم أحداً من أهل العصر كتعظيمه له، وأنه كان كثير الثناء على تصنيفه في الردّ عليه «(٤)».

١- العمري في مسالك الأبصار، لاحظ طبقات السبكي ١٠ / ١٤٩ - ١٥١.

٢- الطبقات للسبكي ١٠ / ١٦٧.

٣- الطبقات للسبكي ١٠ / ١٨٠.

٤- الطبقات للسبكي ١٠ / ١٩٤.

ص: ٣٧

وقد ردّ الإمام السبكي على الفكر التيمي، بكتب:

١- الدرّة المضيئة.

٢- شفاء السقام (وهو كتابنا الذي نتحدث عنه بتفصيل).

٣- السيف الصقيل في الردّ على ابن زفيل - وهو ابن قيم الجوزية مقلد ابن تيمية.

٤- التحقيق في مسألة التعليق، وهو الردّ الكبير على ابن تيمية في مسألة الطلاق.

٥- رافع الشقاق في مسألة الطلاق، وهو الردّ الصغير عليه.

٦- الاعتبار ببقاء الجنّة والنار.

٧- النظر المحقّق في الحلف بالطلاق المعلق، طبع في الفتاوى ٣٠٩ / ٢.

وسياتى التفصيل في ذكر مؤلفاته.

ويظهر من طبقات السبكي أن ابن تيمية كتب كتاباً ردّاً على ما كتبه الشيخ عليه في مسألة الطلاق «(١)» ولكنه لم يطق أن يردّ عليه في

مسألة الزيارة، بل كان يعظّمه - مع ان ابن تيمية كان جسوراً يعتدى على جميع علماء عصره، بل السابقين - إلا أنه كان يقرّ بفضل الإمام

السبكي، ويُعجبه ما كتبه في (شفاء السقام) ردّاً عليه في مسألة الزيارة، مع أنه ردّ بعنف على الإمام الاخواني المالكي، كما ستعرف.

ولاحظ بقيّة الحديث عن موقفه من ابن تيمية في عنوان: «محتوى الكتاب» في هذه المقدمة.

٢- شفاء السقام في نظر الأعلام:

قال الحافظ أبو زرعّة العراقي، وهو بصدد الكلام على المسائل التي انفرد ابن

١- طبقات السبكي ١٠ / ١٩٥.

ص: ٣٨

تيمية بها: وما أشع مسألتى ابن تيمية فى الطلاق والزياره وقد ردّ عليه فيهما معاً:
الشيخ تقى الدين السبكي، وأفرد ذلك بالتصنيف فأجاد وأحسن (١).

وقال: وللشيخ تقى الدين ابن تيمية كلام بشع يتضمّن منع شدّ الرحل للزيارة، وأنه ليس من القرب بل بضدّ ذلك، وردّ عليه الشيخ تقى
الدين السبكي فى «شفاء السقام» فشفي صدور قوم مؤمنين (٢).

وأنشد الصلاح الصفدى- الذى قرأ الشفاء على مؤلفه (٣)- فى مدح الكتاب:

لقول ابن تيمية زخرُفُ أتى فى زيارة خير الأنام

فجاءت نفوس الورى تشتكى إلى خير حبرٍ وأزكى إمام

فصنّف هذا، وداواهم فكان يقيناً «شفاء السقام» (٤)

وقال الإمام ابن حجر المكي فى الفتاوى الحديثية، ما نصّه: ابن تيمية عبداً خذله الله وأضله وأعماه وأصمّه وأذله، وبذلك صرح الأئمة
الذين بينوا فساد أحواله، وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتفق على إمامته وبلاغه رتبة الاجتهاد
أبى الحسن السبكي، وولده التاج (٥).

قال الإمام محمد بخيت المطيعى شيخ الإسلام: ولما تظاهر قوم فى هذا العصر بتقليد ابن تيمية فى عقائده الكاسدة وتعزيد أقواله
الفاسدة... وجدنا كتاب الإمام الجليل والمجتهد الكبير تقى الدين أبى الحسن السبكي آتياً على ما قاله ابن تيمية، مقوضاً لبنائه،

١- الأجوبة المرضية عن الأسئلة المكية ص ٩٦-٩٨.

٢- طرح التثريب ٦/٤٣.

٣- لاحظ طبقات الشافعية للسبكي ١٠.

٤- الوافى بالوفيات ٢١/٢٥٦.

٥- الفتاوى الحديثية، لابن حجر المكي الهيمى صاحب الصواعق.

ص: ٣٩

مزعزعاً لأركانه، ماحياً لآثاره، ماحقاً لأباطيله، مظهرًا لفساده، مبيئاً لعناده» (١).

وقال العلامة المعاصر المحمود السعيد الممدوح:

إن كتاب «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» الذي دبرته يراعه الإمام التقى السبكي: أنفس كتابصنّف في هذا الباب، جمع فيه مؤلفه بين النقل والعقل.

وزاد أبواباً في غاية الأهمية، كالتوسّل، وحياء الأنبياء، والشفاعة، وغير ذلك.

وكان عفاً للسان، قويّ الحجّة، ناصع البرهان:

وقد حقّق الأقوال في مسألة الزيارة وغيرها من مباحث الكتاب تحقيقاً ما عليه مزيد (٢). إلّا أنّ ابن عبد الهادي تصدّى للردّ على هذا

الكتاب ومؤلفه؟! في كتاب باسم «الصارم المنكي»؟

٣- من هو ابن عبد الهادي صاحب الصارم المنكي:

هو، محمد بن أحمد بن عبد الهادي من آل قدامة الحنابلة، الدمشقيين: ولد ٧٠٤ ومات ٧٤٤.

ترجمه القليلون، وبالع في ترجمته الحنابلة والشاميون المتعصبون كابن رجب فقال: «المقرئ الفقيه، المحدث الحافظ، الناقد، النحوي،

المتفنّن...».

وأكثر فيه ابن كثير الشامي في تاريخه سنة ٧٤٤ (١٤/ ٢٤٤) وأطراه وقال:

«... كان مستقيماً على طريقة السلف! واتباع الكتاب والسنة...» يعني طريقة ابن تيمية وحزبه.

وذكره أبو المحاسن والذهبي وابن حجر والسيوطي، وقال: أحد الأذكياء، مهر في الحديث والاصول والعربية.

١- تطهير الفؤاد عن دنس الاعتقاد للمطيعي ص ١٣ ط مصر.

٢- رفع المنارة ص ١٣.

ص: ٤٠

وقال الصفدى: «لو عاش كان آيه، كنت إذا لقيته سألته عن مسائل أدبيّة وفوائد عربيّة، فينحدر كالسيل...». وذكروا له من المؤلّفات:

العقود الدرّيّة فى ترجمه ابن تيميّه، مطبوع.

والصارم المنكى، رآه ابن حجر، وذكر عنه فى لسان الميزان ١ / ٢٠ وفى ط.

الهنديّه ١ / ١٤ قاعدة ابن حبان فى التعديل، وقال: «وقد تصرّف فى عبارة ابن حبان».

واتفقوا على ذكائه ومعرفته بطرق الحديث وحفظه لأسماء الرجال.

واهتمّ سلفيه عصرنا بطبع الصارم، فله طبعه بتحقيق إسماعيل الأنصارى.

وطبعه بمؤسسة الزيان- بيروت عام ١٤١٢ هـ بعمل عقيل اليماني، وهى التى اعتمداها هنا.

٤- أهم ما فى كتاب الصارم المنكى!؟

وبعد ما عرفنا شخصيّة ابن عبد الهادى، فلنحط بأهم ما احتواه كتابه حتى نعرف مدى مقوله سلفيه العصر من أنّه أهم كتاب فى باب الدفاع عن آرائهم حول منع زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم والردّ على شفاء السقام للإمام، فنقول: أهم ما فى عمل ابن عبد الهادى أنه:

أولاً: يُحاول إقناع القراء بأنّ «ابن تيميّه لا يمنع من أصل زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، بل يقول باستحبابها، وبأن قبره أفضل القبور، وإتّما ابن تيميّه يمنع فقط من شدّ الرحال إلى زيارة القبر النبويّ الشريف».

ويؤكّد على: «أنّ نسبة الإمام السبكيّ إلى ابن تيميّه بأنّه يمنع زيارة المصطفى عليه السلام، غير صحيحة».

ص: ٤١

ولذلك يحاول في (الصارم) إيراد عبارات طويلة ومكررة ينقلها عن مؤلفات ابن تيمية، ليثبت هذه المحاولة.
لكننا:

١- نجد نفس تلك العبارات التي نقلها ابن عبد الهادي، مليئةً بجمليصريحه في أن ابن تيمية يعتقد أن: زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير ممكنة، لأنَّ القبر غير ظاهر، ولأنَّ الصحابة لم ينقل عن أحدهم القيام بزيارة القبر، ولأنَّ زيارة القبر ممنوعة منهي عنها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا تجعلوا قبوري عيداً» وحتى شكك في استعمال لفظ الزيارة، وقال مرادهم «السلام». ولأن ذلك من فعل المشركين والنصارى وعبادة للقبر.

وأمثال هذه التعليقات، منثورة في كلماته التي نقلها عبد الهادي نفسه.

ومع ذلك كله: فإنَّ عبد الهادي يدعى - بكل وقاحة - أن ابن تيمية لا يمنع الزيارة؟

واللطيف: أن ابن تيمية حينما يجد في عبارة الفقهاء وإجماعهم على استحباب «زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: المراد زيارة مسجده.

ومع هذا: فإنَّ عبد الهادي يقول: لا يمنع من أصل الزيارة!!

وأما نسبة الإمام السبكي فتوى المنع إلى ابن تيمية:

فهى ليست منفردة ولا محصورة بالإمام، بل كل من تعرّض للمسألة نسب إلى ابن تيمية هذا القول البشع، فانظر:

* إبراز الغنى للإمام أبي الحسنات اللكهنوى.

* رفع المنارة للشيخ محمود ممدوحص ٩٢.

* دفع شبه التشبيه للإمام الحصنى.

ثانياً: يحاول ابن عبد الهادي - تبعاً لابن تيمية نفى كل نصّ يحتوى على لفظ

ص: ٤٢

«الزيارة لقبر النبي» ويُناقش في أسانيد جميع الأحاديث والروايات، حتى يصل إلى النتيجة التي يؤكد عليها ابن تيمية: إنها مكذوبة بل موضوعة.

وهذا الإدعاء، لا بد أن يحكم فيه صيارفة نقد الحديث وجهابذة علم الجرح والتعديل، وقد حكموا بأن في أحاديث الزيارة المقدسة ما هو صحيح وحسن، أيضاً، وإن كان فيها ما قيل فيه إنه من «قسم الضعيف» إلماً أن من «الضعيف» ما يُعمل به، خصوصاً في المسائل والأحكام الفرعية العملية، والتي عمل الزيارة منها بلا ريب، وقد عمل بذلك المحدثون والفقهاء والاصوليون. فما هذه المخالفات لهم منكم؟!!

ثالثاً: يُحاول - تبعاً لابن تيمية - تعميم النهي في حديث: «لا تجعلوا قبري عيداً ولا تتخذوه وثناً...» ليكون شاملاً لما يفعله المسلمون الموحِّدون عند قبره الشريف من السلام والدعاء والتكريم والتعظيم، ناسباً جميع أفعال المؤمنين عند القبر إلى الشرك وعبادة القبر، وما إلى ذلك من الألفاظ المهولة!

ومن الواضح لدى كل مسلم يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ممتلىء بالإيمان بالله ورسوله، والحبِّ لهما، ولا يدعو إلى المجيء إلى ذلك القبر إللمحض التوحيد والإيمان، وامتلائه بالعقيدة الراسخة.

ورابعاً: حديث «لا تشد الرحال إلإلى ثلاثة...» وهو عمدة ابن تيمية وحزبه في منع الحجاج القاصدين بعد أداء حجهم إلى زيارة قبر نبيهم، وإزعاجهم في مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعند المقصورة الشريفة بالضرب واللعن والتشريك والتكفير والدفش، والتهديد.

بدعوى: أن الحديث يدل على حرمة قصد زيارة القبر لمن يسكن بعيداً عنه من البلاد النائية.

وقد انتهالت الاعتراضات الإسلامية من المذاهب الفقهيّة، وعلى مستويات

ص: ٤٣

أهل العلم والفكر من المسلمين على هذه الفتوى البشعة «منع السفر إلى مرقد الرسول» منذ طلوع نباتها الخبيث من رأس الشيطان في القرن الثامن أعنى شيخ حرّان، الممتلىء بمعاداة هذه الشعائر الإسلامية التي تدلّ على عظمة الرسول ومقامه في قلوب المؤمنين برسالته.

وكثر المؤلفات في عصر مبتدع تلك الفتوى ابن تيمية وإلى يومنا هذا، في الردّ عليها وتفنيدها وتزييفها، وقد بلغت المئات، وجمعناها في كتاب (معجم المؤلفات الإسلامية في الردّ على بدع ودعاوى السلفية والوهابية).

وكتاب «شفاء السقام» للإمام التقى السبكي، هو من أهم وأقدم ما ردّ عليه في عصره.

وقد عجز ابن تيمية من الإجابة عمّا فيه، بل كان يعظم الإمام السبكي ويُعجبه كلامه في «شفاء السقام».

وابن عبد الهادي جرو ابن تيمية، حاول - عبثاً - في الصارم المنكي - من مواجهته الحجج والأدلة العلمية الواردة في شفاء السقام، لكنّه أخفق! ولم يأت بطائل، بل قد أصبح ما ألفه وكتبه في (الصارم المنكي) محلّاً لنقد العلماء، وتصدّوا له بالردّ والتنكيل، كما ستقرأ في الفقرة التالية.

٥- «الصارم المنكي» في نظر العلماء:

قال العلامة الكتاني في ترجمة ابن تيمية، وقوله بالمنع من زيارة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للمسافر إليها: انتدب للكلام معه فيها جماعة من الأئمة الأعلام، فوّقوا إليه بها السهام: كالشيخ تقى الدين السبكي، والكمال ابن الزمكاني، وناهيك بهما؟ وتصدّى للرد على السبكي: ابن عبد الهادي الحنبلي ولكنّه: ينقل الجرح

ص: ٤٤

ويغفل عن التعديل، وسلك سبيل العُنف، والتشديد؟!

وقد ردّ عليه، وانتصر للسبكي، جماعةً «(١)».

وقال العلامة المحدث السيد عبد العزيز ابن الصديق الغماري:

ابن عبد الهادي: سلك في الكتاب (/ الصارم) مسلك الإفراط الخارج عن قواعد أهل الحديث، فيجبُ الحذر منه «(٢)».

زيادةً على سوء الأدب في التعبير مع التقى السبكي، الحافظ، الفاقه، وإتيانه في حقّه بما لا يليق بأهل العلم سلوكه.

يُضاف إلى ذلك ما أتى به من القول الفاسد والرأى الباطل، والخروج عن سبيل السلف في ذلك! وإن زعم أنه ينصر عقيدتهم؟!
ويكفيك من ذلك: أنه ذكر الخلاف في مسألة النزول «هل يخلو العرش من الرحمن»! عند نزوله في ثلث الليل؟ أو لا؟ «(٣)» وهذا

مما لا ينبغي «(٤)» أن يذكره في كتاب، إلباليد لا يفقه، ولا يدرى ما يخرج من رأسه!

وأيّن يوجد عن السلف هذا التشبيه؟ حتى يُبنى عليه الخلاف في «خلوّ العرش» أو عدم خلوه؟

وهذا مما ينتقده أهل العلم على كثير من بُلدء أهل الحديث، كما هو معلوم «(٥)».

١- فهرس الفهارس ص ٢٧٧.

٢- لكنه لم يرد في كتب حذر منها العلماء للسلفي المغمور! بل هو مما يرغب فيه السلفية؟!

٣- انظر هذه السخافة في الصارم المنكي ص ٢٣٠ وقبلها وبعدها ما لا يقل سخافةً.

٤- بل: لا يجوز، ويحرم البتّة، والاستثناء التالي منقطع، فإن هذا لا ينبغي أن يدعى كتاباً، وهو بهذه الدرجة من السقوط! كما هو أكثر مؤلفات السلفية المعاصرين.

٥- راجع: التهاني في التعقب على الصغاني، لابن الصديق ص ٤٢.

ص: ٤٥

وقال العلامة المعاصر المحدث الشيخ محمود سعيد ممدوح: بعد النظر في «الصارم المنكى» رأيت الهول فيه، فتراه:

- ١- يتعنت أشد التعنت في ردّ الأحاديث.
 - ٢- تطويله للكلام يخرج عن المقصود إلى اللغو والحشو مع التكرار المملّ.
 - ٣- يذكر أبحاثاً خارجة عن المقصود.
 - ٤- يُطيل الكتاب جداً، ولو اختصر بحذف الخارج، لجاؤ في جزء صغير.
 - ٥- أما تهجمه على الإمام المجتهد التقى السبكي، فحدث ولا حرج!؟ «(١)» ٦- وأحياناً يأتي بتعليقات للأحاديث، خارجة على قواعد الحديث.
 - ٧- وقد أكثر في كتابه من الدعاوى على التقى السبكي، من غير برهان، وعند المحاققة نجد الحق مع الإمام المجتهد الشبكي «(٢)».
 - ٨- يجزم الواقف عليه بأن عبد الهادي قد ظلمه بصارمه ولم يُجِبْ على كثير من مباحثه «(٣)».
- وقال المعلق على ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥٢ عند ذكر الصارم المنكى لابن عبد الهادي: ولقد تهوّر فيه لابن تيميّة في شدّوده، فوقع في أغلاط من حيث الكلام على الأحاديث والاستنباط منها.
- «ولم تدخل الهوى شيئاً إلّا أفسدته».

- ١- إقرأ نماذج من شتائه في الفقرة التالية: قاموس شتائم ابن عبد الهادي!
- ٢- لاحظ: رفع المنارة في تخريج أحاديث التوسل والزيارة ص ١٠-١١، وهو كتاب نفيس في موضوعه، واعتنى بالرد على الصارم المنكى، وحثاله حشوية العصر: بكر أبو زيد، وعثيمين، وأضرابهما من أجراء الوهابية، وأجرائهم.
- ٣- رفع المنارة ص ١٣.

ص: ٤٦

الردود على الصارم المنكى:

قال العلامة الكتاني:

وقد رد عليه، وانتصر للشبكي جماعة، منهم:

١- الإمام عالم الحجاز في القرن الحادى عشر، الشمس، محمد بن على بن علان، الصديقى، المكى، له: المبرد المبكى فى ردّ الصارم المنكى.

٢- ومن أهل عصرنا: البرهان إبراهيم بن عثمان السمنودى المصرى سمّاه:

نصرة الإمام الشبكي بردّ الصارم المنكى.

٣- وكذا الحافظ ابن حجر، له: الإنارة بطرق حديث الزيارة «(١)».

وقال الكتاني أيضاً، فى ترجمه أبى الحسنات عبد الحى اللكنهوى الأنصارى الهندى: خاتمه علماء الهند، وأكثرهم تأليفاً، وأتمهم تحريراً وإطلافاً وإنصافاً، ولد (١٢٦٤ هـ) وكلامه كله جواهر ودرر، ومات (١٣٠٤ هـ).

وله فى مسألة زيارة القبر النبوى، شدّ الرحال له، عدّه مصنّفات، منها:

٤- الكلام المبرم فى نقض القول المحكم.

٥- الكلام المبرور فى ردّ القول المنصور.

٦- السعى المشكور فى ردّ المذهب المأثور.

قال رحمه الله: ألفتها رداً لرسائل مَنْ حجّ ولم يزر قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحرم زيارة قبره المعهود فى العصور الإسلامية. وكتبه هذه الثلاثة هى كالدرد على (الصارم المنكى) لابن عبد الهادى الحنبلى الذى قال عنه: راجعته فوجدته منقلباً على نحر شيخه. ودعوى أنه لم يقدر أحدٌ من المخالفين على معارضته! صادرةٌ عن الغفلة! فقد

١- فهرس الفهارس ص ٢٧٧.

ص: ٤٧

ردّه على أحسن وجه ابن علّان، ورددت كثيراً من مواضعه في (السعي المشكور) «(١)».

٧- وفي عصرنا الحاضر (١٤١٨ هـ) ردّ عليه الاستاذ المحدث الواعى الشيخ محمود سعيد ممدوح، أفضل ردّ وأحسنه فى كتابه القيم «رفع المنارة فى تخريج أحاديث التوسّل والزيارة» وقد نقلنا عنه فى تعاليفنا، وهو مطبوع طبعه ثانية فى دار الإمام الترمذى- القاهرة ١٤١٨ هـ.

٨- ورددنا عليه ردّاً مركزاً مفحماً فى رسالة «زيارة القبر النبويّ المعظم» وقفنا الله لإصدارها.

٦- قاموس شتائم ابن عبد الهادى:

المتتبع فى (الصارم المنكى) لا يجد فيه بعد المناقشات السندیة المطوّلة، غير المنقول عن ابن تيمية فى (الجواب الباهر) و (الرد على الأحنائي) كلاماً من ابن عبد الهادى، غير ما أضافه من الشتائم والسباب.

ولقد تعود المدعون للسلفية على التلفظ بألفاظ نابية ضدّ معارضيهم فهم لا يتورعون من كلّ ما هو قذفٌ وسبٌ وشتمٌ، يربؤ المسلم بنفسه أن يتفوّه به، ويتعاطاه السلفية! ويدعون مع ذلك أتباع السنّة، لكن يخالفونها حيث يجدونها تصرّح: «لا تكونوا سبّابين».

وقد أفرط ابن عبد الهادى الحنبلى التيمى - من أتباع ابن تيمية - فى مواجهة الإمام الورع التقى السبكيّ، بكلّ ما جرى على فمه وخرج من رأسه، يُحاول بذلك إرضاء نفسه، لئلا يجدها قاصرة من مواجهة حجج الإمام ومحكم أدلته:

١- فهرس الفهارس ص ٧٣٠.

ص: ٤٨

ونحن نورد هنا قائمة ببعض ما أورده في الصارم المنكى، كى يتضح ذلك لكل مسلم ورع، ويعرف بذاءة منطق هؤلاء المتمسلفين المدعين لاتباع الكتاب والسنة «(١)»:

ونترك القراء ليقارنوا بين هذا وبينما قرأوه فيصدر هذه المقدمة مما قاله العلماء فى الإمام السبكى:

قال ابن عبد الهادى (الصارم ١٣) لكون مؤلف الكتاب: رجلاً، ممارياً، معجباً برأيه، متبعاً لهواه، ذاهباً فى كثير مما يعتقده إلى الأقوال الشاذة، والآراء الساقطة، صائراً فى أشياء مما يعتقده إلى الشبه المخيلة والحجج الداخلة وربما خرق الإجماع فى مواضع لم يسبق إليها ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها!

يقول (ص ١٤) ما حكاه من الافتراء العظيم والإفك المبين والكذب الصراح!

ويقول (الصارم ١٥): لكنه يُطْفَف ويدهان ويقول بلسانه ما ليس فى قلبه ...

اشتمل عليه [الكتاب] من الظلم والعدوان والخطأ والخبث والتخليط والغلو والتشيع والتلبس.

ويقول (ص ٢١) متضمن للتحامل والهوى وسوء الأدب والكلام بلا علم.

وقال (الصارم ص ٤٤): هذا المعترض المخذول.

وقال (الصارم ص ٦٥) ارتكب امراً يدل على جهله، أو على أنه رجل متبع لهواه.

وقال (الصارم ص ٦٦): كلام المعترض مشتمل على الوهم والإبهام والخبث

١- لاحظ كتاب قاموس شتائم الألبانى تأليف العلامة الورع السيد حسن السقاف والألبانى واحد من دُعاة السفليّة البديئة فى عصرنا، ويبدو من اتحاد سيرته مع إمامه ابن تيمية وابن عبد الهادى أنهم خلقوا من طينة خبيثة واحدة، نعوذ بالله منها.

ص: ٤٩

والتخليط- والتليس ... فهو جاهل مخطيء بالإجماع أو معاندصاحب هوى متبع لهواه، مقصوده الترويح والتليس وخط الحق بالباطل. ويقول (ص ٧١): على ما فى كلامه من الكذب وسوء الأدب ... من الجور والعدوان والظلم .. مما وقع فيه من التخليط والتليس. (الصارم ٨٧): كلام المعترض «مزوق غير محقق ولا- مصدق، بل فيه من الوهم والإبهام والتليس والخبط والتخليط ودفع الحق وقبول الباطل».

(الصارم ص ٢٨٥) جرأة المعترض وإقدامه على تكذيب ما لم يُحط بعلمه بغير برهان، بل بمجرد الهوى والتخزص، وليس هذا ببدع منه، فإنه قد عرف منه مثل ذلك فى غير موضع ... بل حمله فرط غلوّه ومتابعته هواه على نسبة أمور عظيمة لا احبّ ذكرها وهكذا عادته ودأبه يكذب النصوص الثابتة أو يعرض عنها، ويقبل الأشياء الواهية التى لم تثبت والامور المجملة الخفية ويتمسك بها بكلتا يديه.

ويقول (ص ٢٩٥) صدرت منه عن الفهم الفاسد والهوى المتبع.

ويقول (٣٣٤) ما تضمنه من الغلوّ والجهل والتكفير بمجرد الهوى وقلة العلم أفلا يستحى من هذا مبلغ علم أن يرمى أتباع الرسول؟

ويقول (ص ٣٣٤) هذا المعترض وأشباهه من عبّاد القبور!؟

ويقول (ص ٣٤١) فى هذا الكلام من التليس والتمويه والغلو والتخليط والقول بغير علم!

واعلم أنّ هذا المعترض من أكثر الناس تليساً وخطأً للحق بالباطل!

إلى غير ذلك ممّا كاله ابن عبد الهادى وسوّدصحائف أعماله من الشتائم!! على الإمام السبكي الذى وصفوه بأنه «شيخ الإسلام» من

أوعيه العلم، كانصادقاً متبناً خيراً ديناً متواضعاً- وهذا كلّ من كلام الذهبى- التقى البرّ العلىّ القدر، جمّ

ص: ٥٠

الفضائل، حسن الديانة، صادق اللهجة، جمع الزهد والورع والعبادة الكثيرة، ... والشدة في دينه، له عدالة الأصل وأصالة القول ... ومكانة الدين والفضل! أهكذا تسبه، وتتجاوز على مقامه! يا بن عبد الهادي!

٧- نصيحة للمغترين بالسلفية في عصرنا:

وبعد معرفتنا بالعيان عظمة الإمام السبكي، وموقعه المقبول لدى طوائف الأمة من علمائها خاصية، ومؤرخيها عاقية، حتى أعداءه وخصومه الحنابلة والتميمية، لم يجرؤوا أن ينسبوا - ضده - بينت شفة! وبعد معرفتنا بما أقدم عليه ابن عبد الهادي الحنبلي، في غمط حق السبكي مما أدى إلى تدمر العلماء والفضلاء، وجميع القراء المنصفين، وذمهم لطريقته المتمتته، والجافية، والخاطئة، فردوه وانتقدوه، وقد بتر الله عمره، لما تجاسر على شيخ الإسلام السبكي وإمام عصره!

نرى من الواضح بطلان ما عليه سلفية العصر، من أجراء الوهابية واجرائهم، من الاغترار بما لفته ابن عبد الهادي في (الصارم المنكى) فنجدهم يرفعون عقيرتهم بما فيه، ويفتخرون به، كالعنين يفتخر بهن أبيه! ولكن نحن ندعو العقلاء، إلى الاعتبار من تاريخ ابن عبد الهادي وما خلفه بهذا الكتاب (/الصارم) لنفسه من العار والمذمة والشنار. كما بتر الله عمره، لما تجاسر على الحق وعلماء عصره، وخالف المسلمين كافة، بتوجيه الإهانة إلى زائري مرقد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم!

ندعوهم أن يعتبروا بذلك، وأن يتركوا الجدل بالباطل، والتمادي في الغي، باتباع الحزب السلفي الجاهل. وأن يعودوا إلى صف الأمة الإسلامية، ويتأملوا - لا بعين السخط - كلمات

ص: ٥١

علماء الامة الأفاضل .

وأن يُقارنوا بأنفسهم- لا يارشاد المطاوعه، ولا المتمدن كثرين السلفيه- بين الأقوال، كما جاء في كتابي شفاء السقام، والصارم!

وأن يلتزموا الورع والتقوى، في تصرفاتهم وأحكامهم على الكتب وعلى الناس!

فإن وراءهم عقبه كؤوداً، وسوف يُسألون عما كانوا يفعلون، ويعتقدون.

وفي البرزخ سوف يواجهون منكرًا ونكيرًا، ويحاسبون!

فلتركوا كل فعل وكلمة تؤدي إلى التفرقة والاختلاف بين المسلمين، وتشيت كلمة امه محمدصلي الله عليه وآله وسلم الموحدين!

ولا يصدوا الناس عن زيارة قبر النبي المعظم، ولا يهينوا المؤمنين، باتهامهم بالشرك والبدعه والشتائم!

فإن الله لهم بالمرصاد، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون!

٨- محتوى الكتاب ومادته:

رتب المؤلف كتابه على عشرة أبواب:

احتوى «الباب الأول» على «الأحاديث الواردة في الزيارة» وفيها لفظ من مادة الزيارة: زار، زائر، زيارتي، فرار، زارني، يزرنني، يزرن.

وعنون لخمس عشرة حديثاً، بنصوص مختلفة، لكنها كلها تحتوي على الحث على زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يدل على

زيارة القبر النبوي المعظم بالخصوص، بعد وفاته، أو بالعموم، أو بالإطلاق.

وقد بحث في كل حديث عن مصادره وسنده وضبط نصه، وتوثيق رجاله، بكل دقة.

ص: ٥٢

حتى أنه يُسند إلى المؤلفين بطرق السماع أو القرائة المباشرة على مشايخه، وإلى النسخ، ويذكر بلاغات القراءة والتحديث، كل ذلك للتأكد من الضبط والتوثيق.

وهذه الطريقة التي كانت معتمدة لدى القدماء، وقلَّ مَنْ استخدمها في زمان الإمام السبكي.

والهدف من ذلك التأكد منصحة النسخ وضبطها، لتكون النصوص قابلة للاعتماد في الاستدلال، بشكل لا يتطرق إليه الريب، بخلاف المعتمدين على النسخ الرائية المبتدلة التي يتلافها الوراقون، فإن اعتمادها من شأن الصحفيين غير الموثوقين.

وبالرغم من جلاله عمل الإمام السبكي هذا، فإنه لم يرق ابن عبد الهادي الحنبلي في الصارم (ص ١٦ و ٤٠) فراح يهرج عليه بقوله: أطال بذكر الأسانيد وتكرارها منه إلى مؤلفي الكتب كالطبراني والدارقطني وغيرهما، وحشد فيه بتعداد الطرق إليهم والرواية بالإجازات المركب بعضها على بعض... وذكر طباق السماع وأسماء السامعين، ونحو ذلك مما يكبر حجم الكتاب، وليس إلى ذكره كبير حاجة.

نقول: وهكذا تنقلب الأسانيد، عند الحنبلي إلى «حشد ليس إليه كبير حاجة»؟ مع أنها أعمدة الحديث، والدين؟

ولكنه الهوى يحسن للسلفية القبيح! ويقبح الحسن المليح!؟

وهذا الجهد العلمي، لا يهتم الصحفيين الذين يهتمون بما يوافق أهواءهم، أما تصحيح النسخ وضبطها وهي من أهم الامور عند العلماء، لرفع ما يقع فيها من التصحيف والتحريف والسهو والغلط، فلا يهتم به إلا الجهابذة الأتقياء المتقنون.

ثم إن المؤلف - وعلى أساس مما وصلته بالطرق العلمية من النسخ المتقنة - يتطرق إلى دلالات الأحاديث، بشكل علمي منطقي رائع.

وقد أبدى إعجاب العلماء في دقته في النقل من المصادر والكتب، وهو ما

ص: ٥٣

لاحظناه عند تخريجنا لمنقولاته، فوجدنا الأمانة التامة، والمحافظة على اختلافات الألفاظ حتى في الكلمة الواحدة. وأما في علم الرجال، وفقه الحديث، وفنون العلم الأخرى فهو علامة يُقَدَّر بصير.

وفي «الباب الثاني» أورد الأحاديث الدالة على المراد، من دون احتوائها على لفظٍ من مادة «زار».

فذكر ما فيه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذا «الصلاة عليه».

وذكر فصلاً في علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن يصلى عليه، وسماعه سلام مَنْ يسلم عليه من قرب، وإبلاغ الملائكة إليه سلام البعيد.

وفي دلالة كل ذلك على المراد يورد المناقشات والاحتمالات، ويبحث بحريّة من دون تعنت.

وعقد «الباب الثالث» لذكر «ما ورد في السفر إلى زيارته صريحاً وبيان أن ذلك لم يزل قديماً وحديثاً».

فأثبت فيه قيام الصحابة والتابعين، ومَنْ بعدهم، بالسفر وشد الرحل إلى قبر الرسول الأعظم من دون تحرّج، بل بكل رغبة وشوق.

راداً بذلك على مزعومة ابن تيمية بعدم قيام الصحابة والتابعين ومَنْ يسميهم السلف، بذلك.

وفي «الباب الرابع»: ذكر تقرير الفقهاء للسفر إلى زيارة القبر الشريف.

ناقلًا عن فقهاء جميع المذاهب الأربعة هذا الحكم، وما ذكره في كتب مناسك الحج من استحباب الزيارة وحكاية الإجماع على ذلك.

وفي هذا الباب ذكر حديث العُتبي، وحكاية مالك مع المنصور العباسي، مما هو مشهور ومذكور في المؤلفات.

ص: ٥٤

ثم أورد أقاويل المانعين وما استندوا إليه:

من كراهه مالك للفظ «زيارة القبر وزيارة النبي» ونسبه المنع إلى أهل البيت، وحديث «لا تجعلوا قبري عيداً...». وردّ عليها ردّاً قوياً مفحماً.

وفي «الباب الخامس» قرر كون زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قربة.

واستدلّ على ذلك بالكتاب والسنة والإجماع والقياس.

وذكر أنواع الزيارة وأحكامها، وزيارة النساء للقبور، وأخيراً ذكر اجتماع الأغراض الشرعية في زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم ذكر جهة القرية في زيارة القبور، وانتهى إلى أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قربة، لحتّ الشرع عليها وترغيبه فيها.

وعقد «الباب السادس» في «كون السفر إلى الزيارة قربة» من وجوه:

الكتاب، والسنة والإجماع، وأن وسيلة القرية قربة.

وفي الوجه الأخير فصل البحث عن أن قواعد الشرع معتبرة بالمقاصد، واستدلّ على ذلك بأبواب كثيرة من الفقه.

ثم ذكر الحكم في المقدمة، والفرق بينها وبين الوسيلة، واعتبارات السفر في مسألة الزيارة.

وعقد «الباب السابع» لذكر شبه الخصم وتتبع كلماته ودفع ما فيها من الأوهام، في فصلين:

الأول في ذكر شبهه ودفعها، وهي:

الاستدلال بحديث «لا تشد الرحال» فذكر ألفاظه ومصادره ثم ذكر دلالاته ومعناه، ثم ذكر محطّ البحث عند الفقهاء في شدّ الرحال إلى

المساجد، وعنوان المسألة في كتب الفقه.

ص: ٥٥

وأورد ذكر فتاوى مُخْتَلَفَةً منسوبةً إلى علماء بغداد أنهم ائدوا فتوى ابن تيمية بمنع شد الرحال إلى الزيارة الشريفة. ثم إن المؤلف نقل نص فتوى لابن تيمية جاء فيها التصريح بمنع أصل الزيارة للقبر النبوي الشريف، ولو بغير شد رحل ولا سفر. وأجاب عما فيها من الشبه:

والشبهة الثانية: عدم مشروعية أصل الزيارة، وأنها من البدع إلى آخر ما ذكره ابن تيمية من عدم فعل الصحابة والتابعين لها. فردّ عليها المؤلف بورود التشريع للزيارة بالنص الصحيح، وعدم وجود دليل عند ابن تيمية لما نفاه من فعل الصحابة والتابعين. والشبهة الثالثة: ربطه بين الزيارة والشرك.

فقد فضّل المؤلف في ردّ هذا التخييل، وأن الزيارة لا- ترتبط بالشرك، ولا- يقصد بها سوى التبرّك والتعظيم، والشرك لا يكون إلّا بالعبادة واتخاذ النّد والوثن، وليس شيء من هذا متصوّراً في زيارة القبر النبوي. وأما الفصل الثاني فعقده لتتبع كلماته.

فنقل أولاً نصّ الفتيا الرسمية التي كتبها ابن تيمية، ووصلت إلى قضاء المذاهب الأربعة في مصر، فحاكموه على أساسها وسجنوه من أجلها، وكتب القضاء أحكامهم عليها.

ثم بدأ بالردّ عليها فقرّة، فقرّة، بما لم يبق لها قيمة علمية.

ثم عقد الباب الثامن في التوسل والاستغاثة والتشفّع بالنيصلى الله عليه وآله وسلم.

ذكر جواز التوسل بالنبى، وأنه على ثلاثة أنواع:

قبل خلقه، كتوسل آدم وعيسى عليهما السلام به.

والتوسل به بعد خلقه، وذكر حديث الأعمى المتوسل بهصلى الله عليه وآله وسلم.

ص: ٥٦

والتوسّل به بعد موته، كما في حديث عثمان بن حنيف.

ثم حديث الاستسقاء بمعنى طلب الدعاء منه.

والتوسّل بعد موته بالشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكر الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعقد الباب التاسع، لذكر حياة الأنبياء عليهم السلام بعد موتهم وفي قبورهم، في فصول:

الفصل الأوّل: في ما ورد في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الثاني: في حياة الشهداء.

الفصل الثالث: في سماع سائر الموتى لسلام الأحياء وكلامهم وإدراكهم وحياتهم وعود الروح إلى الجسد في القبر.

الفصل الرابع: الفرق بين الشهداء وغيرهم، في هذه المسألة.

الفصل الخامس: كيفية حصول السماع، للميت؟

و «الباب العاشر» خصّصه لمسألة «الشفاعة».

وذكر أنّ وجه تعرّضه لها هو قولها صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل حديث ذكر في الكتاب: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وقد أشبع الكلام حولها، فذكر مصادرها وأحاديثها، وفضّل في ما تدلّ عليه من أنواعها وعددها، وذكر شرح الحديث الطويل في

التجاء الناس - يوم القيامة - إلى الأنبياء وتوسّلهم بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وعصمة الأنبياء وترتيب الشفاعات، والمقام

المحمود، كلّ ذلك في فصول.

وختم الكتاب بجمع النصوص المحتوية على الألفاظ المأثورة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأورد (٦٥) نصّاً.

والحقّ أنّ الإمام السبكيّ لم يعرض لبحثٍ فيخرج منه إلّا أشبعه بالدقّة

ص: ٥٧

والتحقيق، وكما قال الحافظ ابن حجر: «لا تقع له مسألة مشكله أو مستغربه إلّا ويجمع شتاتها» بأفضل ما يتوقع! ويغنى القارئ له عمّا سواه.

٩- عملنا في الكتاب:

(١) التحقيق:

قمنا بجمع نسخ الكتاب المطبوعة «(١)»، وهي:

١- طبعة مصر الاولى عام (١٣١٨ هـ) بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحميّة، بالقسم الأدبي.

طبعت بمعرفة الشيخ فرج الله التركي الكردستاني وشركائه. في مجلد يحتوى على:

١- كتاب شفاء السقام في زيارة خير الأنام (كتابنا هذا).

- ويليه كتاب: نفحات القرب والاتصال، بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى، والكرامات بعد الانتقال. لشيخ الإسلام شهاب الدين أحمد الحسيني الحموي.

- ويليه أيضاً: رسالة في إثبات كرامات الأولياء للعلامة السجاعي.

- ومعها جواب سؤال عن كرامات الأولياء، للعلامة الشوبري.

- وفي مقدمة الكتاب تأليف (تطهير الفؤاد عن دنس الاعتقاد) للعلامة محمد بخيت المطيعي.

٢- وطبعة الهند عام ١٤٠٣ هـ الطبعة الثالثة، تحت إدارة السيد شرف الدين أحمد مدير دائرة المعارف العثمانية وسكرتيرها قاضي المحكمة العليا سابقاً.

١- لقد اطلعنا على وجود نسخ مخطوطة للكتاب، لكننا لم نتمكن من الوقوف عليها، منها نسخة يكي جامع ١٤ ٢٦٤ بخط المصنّف، وطوبقبو سراي ٢ / ٢٣٢ - ٢٩٦٣ - ٣٢٤ ألف - ١٦٤ و / ٧٧٥ هـ، كلاهما في تركيا لاحظ الفهرس الشامل ص ١٠٣٢ رقم ٦٥٤.

ص: ٥٨

بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدرآباد الدكن - الهند.

(٢) فقمنا بمقارنته النسختين، وانتخاب الصحيح في المتن، والإشارة إلى المخالفة في الهامش.

ثم التقويم والتقطيع والتنقيط، حسب أحدث الأساليب العلمية المتداولة.

(٣) وقمنا بالتخريج الواسع للأحاديث والأقوال حسب المصادر والمراجع المذكورة في الأصل، والتمتيرة الحصول لنا، ولو بواسطة الكتب الأخرى.

(٤) لقد راجعنا ما أورده ابن عبد الهادي في (الصارم المنكى) حرفياً من عبارة كتابنا هذا، ومتابعه ما أورده عليه باسم الرد، وإرائه ما زيّفه من النقل، وما حرّفه من الكلم، بما يعدّ محاكمة عملية له، ومقارنته بين الكتابين.

وسيقف المطالع على تحريفات فظيعة قام بها ابن عبد الهادي يَرْبُوُّ العالم الورع المتقى لله، بنفسه أن يقوم بها.

(٥) أضفنا على جملة الصلاة والسلام على النبي الأ-عظم كلمة (وآله) أتباعاً لسنّته في تعليم الصلاة عليه كما تدل عليه النصوص المنقولة في خاتمة الكتاب، وابتعاداً عن الصلاة البتراء المنهي عنها في بعض الأحاديث.

(٦) وأخيراً وضعنا العناوين المناسبة لمواضيع الكتاب وبحوثه، بين المعقوفات، إضافة على ما كتبه المؤلف للأبواب والفصول، لتمكين القراء من معرفة ما يحتويه الكتاب، وسهولة الوصول إلى ما فيه.

(٧) نظمنا الفهارس الضرورية للتسهيل على القارئ.

ونحمد الله تبارك وتعالى على التوفيق لإنجاز هذا العمل، ونسأله الرضا عنا بفضلته وإحسانه، وأن يتحفنا بالقبول بمنه وإفضاله، إنّه ذو الجلال والإكرام.

ص: ٥٩

المقدمة

الحمد لله الذي منّ علينا برسوله، وهدانا به إلى سواء سبيله، وأمرنا بتعظيمه وتكريمه وتبجيله، وفرض على كل مؤمن أن يكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وخليله، وجعل أتباعه سبباً لمحبة الله وتفضيله، ونصب طاعته عاصمةً من كيد الشيطان وتضليله، ويغنى عن جملة القول وتفصيله، رفع ذكره وما أثنى عليه في محكم الكتاب وتنزيله، صلى الله عليه وسلم صلاةً دائمةً بدوام طلوع النجم وافوله.

أمّا بعد، فهذا كتاب سمّيته «شفاء السقام في زيارة خير الأنام» ورتبته على عشرة أبواب:

الأول: في الأحاديث الواردة في الزيارة.

الثاني: في الأحاديث الدالة على ذلك وإن لم يكن فيها لفظ «الزيارة».

الثالث: فيما ورد في السفر إليها.

الرابع: في نصوص العلماء على استحبابها.

الخامس: في تقرير كونها قرينة.

السادس: في كون السفر إليها قرينة.

ص: ٦٠

السابع: في دفع شبه الخصم وتتبع كلماته.

الثامن: في التوسل والاستغاثة.

التاسع: في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

العاشر: في الشفاعة؛ لتعلقها بقوله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وضمنت هذا الكتاب الرد على من زعم: أن أحاديث الزيارة كلها موضوعة؟! «(١)» وأن السفر إليها بدعة غير مشروعة؟!!

وهذه المقالة أظهر فساداً من أن يرد العلماء عليها، ولكني جعلت هذا الكتاب مستقلاً في الزيارة وما يتعلق بها، مشتقاً من ذلك على

جملة يعز جمعها

١- أول من ابتدع هذا القول، واجترأ على الحكم بالوضع على أحاديث الزيارة، هو أحمد بن عبدالحليم المعروف بابن تيمية الحراني،

وسياتى نقل كلامه ص ١٠٩، ولاحظ: العقود الدرية ص ٣٣٦، ومجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧ / ١٨٩ قال بحروفه: «وما ذكره من

الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله فكلمها ضعيفة، باتفاق أهل العلم بالحديث!! بل هي موضوعة!!!

لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها!!! انتهى كلامه.

وكلها دعاوى باطلة وكذب على أهل الحديث والأئمة وأهل السنن، كما سيوضح لك في هذا الكتاب، فراجع ص ٧٩- ٨٠، وراجع

الباب ٧ منه خاصة.

وكذلك عمل جروه ابن عبد الهادي فقال: وجميع الأحاديث التي ذكرها ... في هذا الباب ليس فيها حديث صحيح بل كلها ضعيفة

واهية، وقد بلغ الضعف ببعضها!!! إلى أن حكم عليه الأئمة الحفاظ بالوضع! كما أشار إليه شيخ الإسلام! الصارم المنكي ص ٢١.

وقد بدا تحريفه في كلمة بعضها مع أن شيخ إسلامه ابن تيمية أظهر الحكم فيها كلها بقوله: «بل هي موضوعة!!!».

وقد غفل ابن عبد الهادي عن هذه الحيلة، وعاد، وصرح كشيخه- بأنها كلها موضوعة في الصارم ص ١١٤ فظهر بذلك دجله وسوء

صنيعه!

وكتب السيد

ص: ٦١

على طالبها.

وكنت سميت هذا الكتاب «شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة» ثم اخترت التسمية المتقدمة. واستعنت بالله تعالى، وتوكلت عليه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

ص: ٦٢

صفحة سفيد

ص: ٦٣

الباب الأول فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصّاً

إشارة

الحديث الأول: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى»**إشارة**

رواه الدارقطنى والبيهقى وغيرهما:

أخبرنا الحافظ أبو محمّد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسن بن شرف بن الخضر بن موسى التونى الديرمياطى رحمه الله تعالى، بجميع «سنن الدارقطنى» سماعاً، قال: أنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقى، أنا ناصر بن محمّد بن أبى الفتح أبو برح القطان، أنا أبو الفتح إسماعيل بن الإخشيد السراج، أنا أبو طاهر محمّد بن أحمد بن محمّد بن عبد الرحيم، أنا أبو الحسن على ابن عمر بن أحمد بن مهدي الحافظ الدارقطنى رحمه الله، قال: حدّثنا القاضى المحاملى، ثنا عبيد بن محمّد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر (١)،

١- قال الدولابى فى الكنى ٢/ ٦٤ فى ترجمة عبد الله العمري: حدّثنا على بن معبد بن نوح حدّثنا موسى بن هلال قال حدّثنا عبد الله بن عمر أبو عبد الرحمن أخو عبيد الله عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من زار قبرى وجبت له شفاعتى، قال: وما بين قبرى ومنبرى ترعه من ترع الجنة-.
عن المولى محمد حسن الزمان الحيدرآبادى.

ص: ٦٦

عن نافع، عن ابن عمر رضی اللہ عنہما قال: قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ و آلہ و سلم: «من زار قبری وجبت له شفاعتی» (١).

روايته بتصغير «عبيد الله»

[هكذا في عدّة نسخ معتمدة من «سنن الدارقطني»: «عبيدالله» مصغراً، منها نسخة كتبها عنه أحمد بن محمد بن الحارث الأصفهاني، وعليها طباق كثيرة على ابن عبدالرحيم فمن بعده إلى شيخنا.

وكذلك رواه الدارقطني في غير السنن، واتفقت روايته على ذلك في السنن وفي غيره من طريق ابن عبدالرحيم، كما ذكرناه.

ومن طريق محمد بن عبدالملك بن بشران، ومن طريق أبي النعمان تراب بن عبيد أيضاً:

فأما رواية ابن بشران: فأخبرنا بها عثمان بن محمد في كتابه إلى من مكّه

١- سنن الدارقطني ٢/ ٢٧٨ ح ١٩٤ كتاب الحج وفيه: عبيد الله بن محمد الوراق، ولاحظ شعب الايمان للبيهقي ٣/ ٤٩٠ والدولابي في الكنى ٢/ ٦٤ والخطيب في تلخيص المتشابه ١/ ٥٨١ وغيرهم.

وأورده العقيلي في الضعفاء ٤/ ١٧٠ في ترجمة موسى بن هلال، وانظر الكامل لابن عدي ٦/ ٢٣٥٠.

وقال ابن حجر في تلخيص الحبير ٧/ ٤١٧ حديث «من زار قبري فله الجنة» رواه الدارقطني بلفظ «من زار قبري وجبت له شفاعتي»

ورواه ابن خزيمة في صحيحه وقال: إن صح الخبر فإنّ في القلب من إسناده! ثم رجح أنّه عن رواية عبداللّه العمري المكبر الضعيف، لا المصغّر الثقة، وصرّح بأنّ الثقة لا يروى هذا الخبر المنكر!

وقال العقيلي: لا يصح حديث موسى ولا يتابع عليه، ولا يصح في هذا الباب شيء!!

قال ابن حجر: وفي قوله «لا يتابع عليه» نظر، فقد رواه الطبراني ... إلى آخر كلام ابن حجر في تلخيص الحبير، فراجع.

ص: ٦٧

شرفها الله تعالى قال: أخبرنا الحافظ أبو الحسين يحيى بن علي القرشي بمصر، وأبو اليمن بن عساكر بمكة بقراءتي عليهما، قالاً: أنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الشافعي العدل - وهو جد أبي اليمن، بدمشق - قال أبو الحسين: بقراءتي عليه، وقال أبو اليمن: قراءة عليه - قال: أنا عمي أبو الحسين هبة الله بن الحسن بن هبة الله الفقيه الأصولي الحافظ، أنا أبو طاهر عبدالرحمان بن أحمد بن عبدالقادر ابن محمد بن يوسف، أنا أبو بكر محمد بن عبدالملك بن بشران، أنا أبو الحسن علي ابن عمر بن مهدي الدارقطني الحافظ، ثنا القاضي المحاملي، ثنا عبيدالله بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيدالله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

هكذا أورده أبو اليمن بن أبي الحسن زيد بن الحسن في كتاب «إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر» (١) في زيارة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو عندي عليه خط مصنفه، وقراءة أبي عمرو عثمان بن محمد التوزري لجميعه عليه. وكذلك أورده الحافظ أبو الحسين القرشي في كتاب «الدلائل المتينة» (٢) في فضائل المدينة وقد قرأه عليه التوزري أيضاً، وسمعه أيضاً جماعة من شيوخنا على مصنفه المذكور رحمه الله تعالى.

وأما رواية أبي النعمان تراب بن عبيد: فذكرها القاضي أبو الحسن علي بن الحسن الخلعى في فوائده، وهي عشرون جزءاً، قرأت منها بغير الإسكندرية سنة أربع وسبعمائة على الشيخ الفاضل المقرئ أبي الحسن (٣)؛ يحيى بن أبي الفضل أحمد بن عبدالعزيز بن عبد الله بن عبد الباقي بن الصواف: الجزء الأول، والثاني،

١- في ه: المسافر.

٢- في ه: الميئة.

٣- في ه: الحسين.

ص: ٦٨

وبعض الثالث.

وحدثني بهذا القدر كلمة كلمه، فإنه كان قد عمّر وعمى وثقل سمعه، فصرت أقرأ عليه لفظه ويعيدها؛ لأتحقق سماعه، وناولني جميع الأجزاء الستة الاولى، والسادس عشر، والسابع عشر، والتاسع عشر، بسماعه لذلك من ابن عماد سنة عشرين وستمائة. وقرأت منها بدمشق على المسند أبي عبدالله محمّد بن أبي العزّ بن مشرف بن بيان [\(١\)](#) الأنصاريّ القدر الذي يرويه منها باتصال السماع، وهو من أول الجزء الثامن إلى آخرها، وذلك ثلاثة عشر جزءاً بسماعه من أبيصادق الحسن بن يحيى ابنصباح المخزوميّ المصريّ: أخبرنا ابن رفاعه.

والحديث المذكور في السابع من الفوائد المذكورة.

وأنا به شيخنا ابن الصوّاف المتقدّم ذكره، والشريف أبو الحسن عليّ بن أحمد ابن عبدالمحسن القرافيّ [\(٢\)](#) في كتابيهما إلى من الثغر، قال: أنا أبو عبدالله محمّد بن عماد ابن محمّد الحرّانيّ - قال ابن الصوّاف: بقراءة والدي عليه وأنا أسمع سنة عشرين، وقال القرافيّ: بقراءة والدي عليه وأنا أسمع عنه ثلاثين وستمائة - قال: أنبأنا أبو محمّد عبدالله بن رفاعه بن عدين [\(٣\)](#) السعديّ الفرضيّ. (ح) وكتب إلى عثمان بن محمّد بن مكيّة شرفها الله تعالى: أنه قرأ على الحافظ أبي الحسين يحيى بن عليّ القرشيّ في تصنيفه المسمّى «الدلائل المتينة» [\(٤\)](#) في فضائل المدينة» قال: أنا القاضي أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن عبدالله بن محمّد الشافعيّ

١- في ه: بنان.

٢- في ه: الغرافيّ، ويأتي في ص ٢٦: العراقيّ.

٣- في ه: غدين.

٤- في ه: المبيّنة.

ص: ٦٩

بقراءتي عليه بمصر، وأبو عبدالله محمد بن أبي المعالي الحراني بالإسكندرية قال:

أنا أبو محمد عبدالله بن أبي الخير الشافعي الفرضي، أنا القاضي أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين بن محمد الشافعي المعروف بـ «الخلعي» أنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد، ثنا أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، ثنا أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل، قال: ثنا عبيد بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله ابن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وممن رواها من طريق الخلعي الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه «(١)» في باب «أن من زار قبره صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كان كمن زار حضرته في حال حياته»:

أخبرنا بذلك عبد المؤمن بن خلف وعلي بن محمد وغيرهما مشافهة، عن القاضي أبي نصر محمد بن هبة الله الشيرازي قال: أنا الحافظ أبو القاسم ابن عساكر قال: أنا خالي أبو المعالي محمد بن يحيى القرشي القاضي بدمشق، أنا أبو الحسن الخلعي، أنا تراب بن عمر بن عبيد، ثنا أبو الحسن الدارقطني، ثنا أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل، ثنا عبيد بن محمد الوراق، ثنا موسى بن هلال العبدى، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

فقد اتفقت الروايات عن الدارقطني عن المحاملي على: (عبيد الله) مصغراً.

وكذلك رواه غير الدارقطني عن غير المحاملي عن عبيد بن محمد:

أنا بذلك عبد المؤمن بن خلف وغيره إذناً، عن أبي نصر الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا أبو القاسم الشحامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو عبدالله الحافظ، أنا

١- تاريخ دمشق لابن عساكر

لاحظ مختصر ابن منظور ٢/ ٤٠٦.

ص: ٧٠

أبو الفضل محمّد بن إبراهيم، ثنا محمّد بن زنجويه العشيّريّ، ثنا عبيد بن محمّد بن القاسم بن أبي مريم الوراق - وكان نيسابوريّ الأصل سكن بغداد - ثنا موسى بن هلال العبديّ، عن عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

فقد ثبت عن عبيد بن محمّد روايته على التصغير، وعبيد بن محمّد ثقة، قاله الخطيب رحمه الله تعالى «(١)».

متابعات و شواهد

[ورواه عن موسى بن هلال عن عبيد بن محمّد جماعة:

منهم: جعفر بن محمّد البزوريّ

قال العقيليّ في كتابه: ثنا محمّد بن عبد الله الحضرميّ، ثنا جعفر بن محمّد البزوريّ، ثنا موسى بن هلال البصريّ، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: «من زار قبري فقد وجبت له شفاعتي».

هكذا رأته في نسخة عبيد الله «(٢)».

ومنهم: محمّد بن إسماعيل بن سمرّة الأحمسيّ واختلف عليه

فروى عنه مصغراً: كما رواه غيره، أخبرنا بذلك عبد المؤمن وغيره إذناً، عن أبي نصر، أنا عليّ بن الحسن الحافظ، أنا إسماعيل بن

محمّد بن الفضل الحافظ، أنا أحمد بن عليّ بن خلف، أنا أبو القاسم بن حبيب، حدّثنا أبو بكر أحمد بن نصر بن نصير «(٣)» بن بكار

البخاريّ، أنا أبو عبد الرحمان عبد الله بن عبيد الله، ثنا محمّد بن

١- تاريخ بغداد ٩٧/١١ رقم ٥٧٨٩.

٢- الضعفاء الكبير للعقيليّ ١٧٠/٤ ترجمة موسى بن هلال، وفيه عبد الله.

٣- في ه: نصر.

ص: ٧١

إسماعيل الأحمسي، عن موسى بن هلال، عن عبيدالله.

من رواه بتكبير «عبدالله»

[وروى عنه مكبراً: أنا بذلك أقسيان (١)] بن محفوظ بن محمود بن هلال بقراءته عليه سنة ست وسبعمائه، أنا أبو سعيد قايماز بن عبدالله المعظمي، أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، أنا أبو سعيد أحمد بن الحسن بن أحمد بن علي بن الخصيب الخناسري، أنا أبو بكر أحمد بن الفضل بن محمد المقرئ إمام الجامع بأصبهان، ثنا أبو بكر محمد بن الحسن بن يوسف بن يعقوب الإمام، ثنا عبيدالله بن محمد بن عبدالكريم الرازي، ثنا محمد بن إسماعيل بن سمره الأحمسي، ثنا موسى بن هلال العبدي، عن عبدالله بن عمر.

هكذا نقلته من خط الحافظ أبي محمد عبدالعزيز المنذرى رحمه الله، وهكذا قاله أبو أحمد بن عدى فى كتاب «الكامل» (٢):

كما أنبأنا عبد المؤمن وآخرون، عن أبي الحسن بن المقير، عن أبي الكرم بن الشهرزورى، أنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي.
(ح) وأنا عبد المؤمن وغيره أيضاً، عن ابن مميل، أنا علي بن الحسن الدمشقي، أنا أبو القاسم الشحامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا أبو سعيد الماليني.

(ح) قال الدمشقي: أنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنا إسماعيل بن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف قالوا: أنا أبو أحمد بن عدى الحافظ، حدثنا محمد بن موسى الحلواني.

(ح) قال الدمشقي: وأخبرنا علي بن إبراهيم الخطيب، أنا رشأ بن

١- علق فى ه: التصحيح مما سيأتى، وفى المطبوع السابق: ابن محيل، وهو خطأ.

٢- الكامل فى الضعفاء لابن عدى ٦/ ٢٣٥٠ ترجمة موسى بن هلال.

ص: ٧٢

لطيف (١)»، أنا الحسن بن إسماعيل، ثنا أحمد بن مروان، ثنا محمد بن عبدالعزيز الدينوري.
 قالوا: ثنا محمد بن إسماعيل بن سمره، ثنا موسى بن هلال، ثنا عبدالله بن عمر.
 وكذلك كتب إلي عثمان بن محمد من مكة شرفها الله تعالى: أنه قرأ على الحافظ يحيى بن علي: أنا الحافظ علي بن المفضل قراءة
 عليه غير مرة، والقاضي أبو القاسم حمزة بن علي بن عثمان المخزومي قالوا: أنا الحافظ أبو طاهر السلفي.
 (ح) وأنبأنا جماعة عن جماعة عنه، أنا أبو إبراهيم الخليل بن عبد الجبار، أنا سليم بن أيوب، أنا أحمد بن عبدالله المعدل بالري، أنا
 عبدالرحمان بن أبي حاتم الرازي، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا موسى بن هلال، عن عبدالله بن عمر.
 ومريض الحافظ يحيى بن علي القرشي هذه الرواية، وذكر أن الصواب «عبيدالله» بالتصغير.
 ورأيت في «تاريخ ابن عساكر» (٢) بخط أبي عبدالله البرزالي: المحفوظ عن ابن سمره «عبيدالله».
 قال أبو أحمد بن عدى في كتاب «الكامل» فيما أنبأنا جماعة بالإسناد المتقدم إليه: عبدالله أصح (٣).
 وفيما قاله نظر.

رأى المؤلف بترجيح رواية التصغير

[والذي نرجح أن يكون «عبيدالله» لتظافر روايات عبيد بن محمد كلها،

١- في ه: لطيف.

٢- تاريخ ابن عساكر

٣- الكامل لابن عدى ١/٦ / ٢٣٥٠ ترجمة موسى بن هلال.

ص: ٧٣

وبعض روايات ابن سمره، ولما سنذكره من متابعه مسلمة الجهني لموسى بن هلال، كما سيأتي في الحديث الثالث. ويحتمل أن يكون الحديث عن عبيد الله وعبد الله جميعاً، ويكون موسى سمعه منهما، وتارة حدث به عن هذا، وتارة عن هذا. وممن رواه عن موسى عن عبد الله: الفضل بن سهل؛ فيما أنا أبو محمد الدمياطي وغيره إذناً عن أبي نصر: أنا ابن عساكر أنا أبو سعيد (١) أحمد بن محمد البغدادي، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن محمد، أنا أبو سعيد الصيرفي، أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد الصفار، ثنا أبو بكر بن أبي الدنيا، ثنا الفضل بن سهل، ثنا موسى ابن هلال، ثنا عبد الله بن عمر. وهكذا قاله أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب «أخبار المدينة» قال: ثنا رجل من طلبه العلم، ثنا الفضل بن سهل... فذكره.

قال حفيد صاحب الكتاب الحسن بن محمد بن يحيى في موضع آخر منه: يعني أبا بكر.

وكذلك رواه ابن الجوزي في «مثير العزم» (٢) الساكن (٣) ونقلته من خطه قال: أنبأنا الحريري، أنا الخياط، أنا ابن دُرست، ثنا ابنصفوان، ثنا أبو بكر القرشي؛ وهو ابن أبي الدنيا... فذكره. وهذه الطريق إنصحت، تحمل على أن الحديث عنهما، كما قدمناه، فإنه لا تنافي في ذلك.

١- في ه: سعد.

٢- كذا في كتابنا، وسيتكرر ذكر هذا الكتاب بهذا الاسم، وهو المذكور في مؤلفات ابن الجوزي، وقد ذكره الحصني في دفع شبه التشبيه ص ١٤٣ و ١٧٠ و ١٨٣ و ١٨٧ و ١٩٣ باسم «مثير الغرام الساكن» فلاحظ.

٣- مثير العزم الساكن، لابن الجوزي.

الاعتماد على رواية «عبدالله»

[(١)]

على أنّ عبدالله المكبر روى له مسلم مقروناً بغيره، وقال أحمد رحمه الله: صالح. وقال أبو حاتم: رأيت أحمد بن حنبل يحسن الثناء عليه «(٢)». وقال يحيى بن معين: ليس به بأس، يكتب حديثه، وقال: إنه في نافع: صالح «(٣)».

وقال ابن عدى: لا بأس به صدوق «(٤)».

وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه الصلاح حتى غلب عن ضبط الأخبار

١- يلاحظ أن ابن عبد الهادي في رده على المؤلف في سند هذا الحديث ضعفه، نظراً إلى ما قاله الجارحون، ولم يُعِر اهتماماً لما ذكره هؤلاء الأعلام: أحمد، وابن معين، وابن حبان وحتى ابن عدى! قال الاستاد العلامة محمود سعيد ممدوح في رفع المنارة ص ٧٩. لاحظ ص ٣١٤: بعد النظر في الصارم المنكى رأيت الهؤل، فتراه يتعنّت أشدّ التعنّت في ردّ الأحاديث عند كلامه على الرجل، ويطوّل الكلام جدّاً، ناقلاً ما يراه يؤيّد رأيه- وهو الجرح!- ولا يذكر من التعديل إلّأما يوافق!! كما فعل مع عبدالله بن عمر العمري، وقال ممدوح: فالعمري حسن الحديث كما قال غير واحدٍ من الأئمة وهذا ابن عبد الهادي الذي أقام الدنيا ولم يقعدّها! وحشد الأقوال في تضعيف عبدالله قد استدل بحديثه في تنقيح التحقيق ١/ ١٢٢!

ثم انطلق العلامة الممدوح في دفع ما وجه إلى الراوي في رفع المنارة ٣٨٠-٣١٨ فجراه الله خيراً.

بينما الإمام السبكي: ذكر الجرح- رغم شهرته- وذكر وجهه، إلى جنب الاعتماد ووجهه مفضلاً.

ومع هذا فإن ابن عبد الهادي يتّهم الإمام السبكي بالتغافل عن الجرح! واللّه يتولّى الصالحين. وكتب السيد

٢- الجرح والتعديل للرازي

٣- الكامل ١٤٥٩ / ٤ نقله عن ابن معين.

٤- الكامل ١٤٦١ / ٤ ترجمة عبد الله بن عمر بن حفص العمري.

ص: ٧٥

وجودة الحفظ للآثار، تقع المناكير في روايته، فلما فحش خطؤه استحقَّ الترك «(١)». وهذا الكلام من ابن حبان يعرفك أنه لم يتكلم فيه لجرح في نفسه، وإنما هو لكثرة غلظه. وأما حكمه باستحقاقه الترك، فمخالف لإخراج مسلم رحمه الله تعالى له في المتابعات. وليس هذا الحديث في مظنة أن يحصل فيه التباس على عبدالله؛ لا في سنده، ولا في متنه، فإنه في نافع [صالح] كما سبق، وخصيص به، ومتن الحديث في غاية القصر والوضوح، فاحتمال خطئه فيه بعيد، والرواة جميعهم إلى موسى بن هلال ثقات لا ريبه فيهم، وموسى بن هلال قال ابن عدى: أرجو أنه لا بأس به «(٢)».

وأما قول أبي حاتم الرازي فيه: «إنه مجهول» فلا يضره؛ فإنه إما أن يريد جهالة العين، أو جهالة الوصف: فإن أراد جهالة العين - وهو غالب اصطلاح أهل هذا الشأن في هذا الإطلاق - فذلك مرتفع عنه؛ لأنه قد روى عنه أحمد بن حنبل، ومحمد بن جابر المحاربي، ومحمد بن إسماعيل الأحمسي، وأبو أمية محمد بن إبراهيم الطرسوسي، وعبيد بن محمد الوراق، والفضل بن سهل، وجعفر بن محمد البزوري، وبرواية اثنين تنفي جهالة العين، فكيف برواية سبعة؟! وإن أراد جهالة الوصف فرواية أحمد عنه ترفع من شأنه، لا سيما مع ما قاله ابن عدى فيه. وممن ذكره في مشايخ أحمد رحمه الله تعالى أبو الفرج ابن الجوزي، وأبو إسحاق الصريفي، وأحمد رحمه الله لم يكن يروى إلا عن ثقة.

١- كتاب المجروحين لابن حبان.

٢- الكامل ١٦ / ٢٣٥٠.

ص: ٧٦

وقد صرح الخصم بذلك في الكتاب الذي صنّفه في (الردّ على البكري) بعد عشر كراريس منه، قال: إنّ القائلين بالجرح والتعديل من علماء الحديث نوعان:

منهم من لم يرو إلعن ثقة عنده، كمالك، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمان بن مهدي، وأحمد بن حنبل، وكذلك البخاري وأمثاله [\(١\)](#).

وقد كفانا الخصم بهذا الكلام مؤنة تبيين أن أحمد لا يروي إلعن ثقة، وحينئذ لا يبقى له مطعن فيه.

وأما قول العقيلي: إنه لا يتابع عليه، وقول البيهقي: سواء قال: عبيدالله، أم عبدالله، فهو منكر عن نافع عن ابن عمر، لم يأت به غيره. فهذا وما في معناه يدلّك على أنه لا علة لهذا الحديث عندهم إلّا تفرد موسى به، وأنهم لم يحتملوه له؛ لخفاء حاله، وإلّا، فكم من ثقة يتفرد بأشياء ويُقبل منه!؟

وأما بعد قول ابن عدّي فيه ما قال، ووجود متابع، فإنّه يتعيّن قبوله، وعدم رده.

ولذلك - والله أعلم - ذكره عبدالحقّ رحمه الله [\(٢\)](#) في «الأحكام الوسطى» و«الصغرى» وسكت عنه.

وقد قال في خطبة «الأحكام الصغرى»: إنه تخيرها صحيحة الإسناد، معروفة عند النقاد، قد نقلها الأثبات، وتداولها الثقات.

وقال في خطبة «الوسطى» وهي المشهورة اليوم ب«الكبرى»: إن سكوتة عن الحديث دليل على صحته فيما يعلم، وإنه لم يتعرض لإخراج الحديث المعتلّ كلّ،

١- الرد على البكري، لابن تيمية، لم نعر عليه في ما طبع لابن تيمية من مجموع الفتاوى وغيره، لكن ذكر اسمه في عداد مجموع مؤلفاته ص ٦١ رقم ٢ وقال المؤلف: قطعه منه، ومصدره: برلين الغربية رقم ٣٩٦٨ وقال يعرف بالاستغاثة.

٢- هو عبد الحقّ الاشيلي، لاحظ رفع المنارة ص ٢٨٠

ص: ٧٧

وأخرج منه يسيراً ممّا عمل به أو بأكثره عند بعض الناس، واعتمد ووزع إليه الحفّاظ عند الحاجة إليه، وإنّه إنّما يعلّل من الحديث ما كان فيه أمر أو نهى، أو يتعلّق به حكم، وأمّا ما سوى ذلك فربّما فى بعضها سمح، وليس منها شيء عن متفق على تركه.

وسبقه الحافظ أبو عليّ بن السكن إلى تصحيح الحديث الثالث، كما سنذكره، وهو متضمّن لمعنى هذا الحديث.

وقول ابن القطان: إنّ قول ابن عديّ صدر عن تصفّح روايات موسى بن هلال، لا عن مباشرة أحواله.

لا يضرّ أيضاً؛ لأنّ كثيراً من جرح المحدثين وتوثيقهم على هذا النحو، بل هو أولى من ثبوت العدالة المجرّدة من غير نظر فى حديثه، وقد وجدنا لرواية موسى بن هلال متابعة وشواهد من وجوه سنذكرها.

وبذلك تبين: أنّ أقلّ درجات هذا الحديث أن يكون حسناً إن نوزع فى دعوى صحّته، فإنّ الحسن قسمان:

أحدهما: ما فى إسناده مستور لم تتحقّق أهليّته، وليس مغفلاً كثير الخطأ، ولا ظهر منه سبب مفسّق، ومتن الحديث مع ذلك روى مثله أو نحوه من وجه آخر.

وأقلّ درجات موسى بن هلال رحمه الله تعالى أن يكون بهذه الصفة، وحديثه بهذه المثابة.

والقسم الثانى للحسن: أن يكون راويه مشهوراً بالصدق والأمانة، لم يبلغ درجة رجال الصحيح؛ لقصوره فى الحفظ، وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يُعدّ ما ينفرد به حديثه منكرًا، وهذا قد يقتضى إطلاق اسم «الحسن» على بعض ما سنذكره من الأحاديث أيضاً.

وليس لقائل أن يقول: إن هذا يقتضى سلب اسم «الحسن» عن الحديث الذى

ص: ٧٨

نحن فيه.

فإن ما ذكرناه ليس اختلافاً في حدّ الحسن، بل هو تقسيم له، والحديث الحسنصادق على كلّ من النوعين.

قوة الحديث بتضافر الإسناد

ثم إن الأحاديث التي جمعناها في الزيارة، بضعة عشر حديثاً ممّا فيه لفظ «الزيارة» غير ما يستدلّ به لها من أحاديث آخر، وتضافر الأحاديث يزيدنها قوة؛ حتى أن الحسن قد يترقى بذلك إلى درجة الصحيح. والضعيف قسمان:

قسم يكون ضعف راويه ناشئاً من كونه متّهماً بالكذب ونحوه، فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا الجنس لا يزيدنها قوة. وقسم يكون ضعف راويه ناشئاً من ضعف الحفظ، مع كونه من أهل الصدق والديانة، فإذا رأينا ما رواه قد جاء من وجه آخر، عرفنا أنه ممّا قد حقّقه، ولم يختلّ فيه ضبطه له، هكذا قاله ابن الصلاح رحمه الله وغيره (١).

فاجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يزيدنها قوة، وقد يترقى بذلك إلى درجة الحسن أو الصحيح. ولهذا لما تكلم النووي رحمه الله في أنّ ميقات ذات عرق، هل هو منصوص عليه، أو مجتهد فيه؟ صحّح أنّه منصوص عليه، وذكر عن جمهور أصحابنا تصحيحه للأحاديث الواردة فيه، وإن كانت أسانيد مفرداتها ضعيفة، فمجموعها يقوى بعضها بعضاً، ويصير الحديث حسناً، ويحتجّ به، هكذا ذكره في «شرح المهذب» في

١- علوم الحديث لابن الصلاح ص ٣٤ في التنبيه الثاني من النوع الثاني وهو الحسن.

ص: ٧٩

كتاب الحجج (١).

فهذه مباحث في إسناد هذا الحديث:

أولها: تحقيق كونه من روايته «عبيد الله» المصغر، وترجيح ذلك على ما رواه عن «عبد الله» المكبر. وثانيها: القول بأنه عنهما جميعاً.

وثالثهما: على تقدير التنزل وتسليم أنه عن عبد الله المكبر وحده، فإنه داخل في قسم الحسن؛ لما ذكرناه.

ورابعها: على تقدير أن يكون ضعيفاً من هذا الطريق وحده - وحاشا لله - فإن اجتماع الأحاديث الضعيفة من هذا النوع يقويها، ويوصلها إلى رتبة الحسن.

وبهذا بل بأقل منه، يتبين افتراء من ادعى أن جميع الأحاديث الواردة في الزيارة موضوعة.

فسبحان الله!! أما استحي من الله ومن رسوله في هذه المقالة التي لم يسبقه إليها عالم ولا جاهل؟ لا من أهل الحديث، ولا من غيرهم؟

ولا ذكر أحد موسى بن هلال ولا غيره من رواة حديثه هذا بالوضع، ولا اتهمه به فيما علمنا!

فكيف يستجيز مسلم أن يطلق على كل الأحاديث التي هو واحد منها: «أنها موضوعة» ولم ينقل إليه ذلك عن عالم قبله، ولا ظهر على هذا الحديث شيء من الأسباب المقتضية للمحدثين للحكم بالوضع.

ولا حكم متنه مما يخالف الشريعة.

فمن أي وجه يحكم بالوضع عليه لو كان ضعيفاً؟! فكيف وهو حسن

ص: ٨٠

أوصحيح؟!

ولنقتصر على هذا القدر مما يتعلّق بسند هذا الحديث الأول.

دلالة الحديث

وأما متنه فقولُه: «وجبت» معناه حَقَّتْ وثبتت ولزمت، وأَنَّهُ لا بَدَّ منها؛ لوعده صلى الله عليه وآله وسلم تفضُّلاً منه. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «له» إمَّا أن يكون المراد له بخصوصه؛ بمعنى أن الزائرين يخصّون بشفاعته لا تحصل لغيرهم عموماً، ولا خصوصاً.

وإمَّا أن يكون المراد أَنَّهُم يفردون بشفاعته ممَّا تحصل لغيرهم، ويكون إفرادهم لذلك تشریفاً وتنويهاً بهم بسبب الزيارة. وإمَّا أن يكون المراد أَنَّهُ بركة الزيارة، يجب دخوله في عموم من تناله الشفاعه، وفائدة ذلك البشرى بأنّه يموت مسلماً. وعلى هذا التقدير الثالث يجب إجراء اللفظ على عمومه؛ لأننا لو أضمرنا فيه شرط الوفاء على الإسلام، لم يكن لذكر الزيارة معنى؛ لأنّ الإسلام وحده كافٍ في نيل هذه الشفاعه.

وعلى التقديرين الأوّلين يصحّ هذا الإضمار.

فالحاصل: أن أثر الزيارة إمَّا الوفاء على الإسلام مطلقاً لكلّ زائر، وكفى بها نعمه، وأمَّا شفاعه خاصه بالزائر أخصّ من الشفاعه العامه للمسلمين.

وقوله: «شفاعتي» في الإضافة إليه تشریف لها؛ فإنّ الملائكة والأنبياء والمؤمنين يشفعون، والزائر لقبره صلى الله عليه وآله وسلم له نسبة خاصه منه، فيشفع فيه هو بنفسه، والشفاعه تعظم بعظم الشافع، فكما أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من غيره، كذلك شفاعته أفضل من شفاعة غيره.

ص: ٨١

ويحتاج هنا إلى ذكر الشفاعة الاخروية، ولكنّي أؤخّر الكلام فيها «(١)»؛ لئلا يملّ الناظر قبل كمال مقصوده من الزيارة.

الحديث الثاني: «من زار قبري حلّت له شفاعتي»

سند الحديث

رواه الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده «(٢)»، قال:

حدّثنا قتيبة، ثنا عبد الله بن إبراهيم، ثنا عبدالرحمان بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر رضی الله عنهما، عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري حلّت له شفاعتي».

وهذا هو الحديث الأول بعينه، ولذلك عزاه عبدالحقّ رحمه الله إلى الدارقطنيّ والبزار جميعاً، إلّا أنّ في الحديث الأول: «وجبت» وفي هذا: «حلّت» فلذلك أفردته.

وقد نقلته من نسخة معتمدة سمعتها الحافظ القاضي أبو عليّ الحسين بن محمّد الصدفيّ على الشيخ الفقيه صاحب الأحكام؛ أبو محمّد عبد الله بن محمّد بن إسماعيل ابن فوزتش في سنه ثمانين وأربعمائة بسرقسطه، وعليها خطّ أبي محمّد عبد الله بن فوزتش بسماع الصدفيّ عليه، وأنّه حدّثه بها عن الشيخ أبي عمر أحمد بن محمّد

١- عقد المؤلّف الباب العاشر من هذا الكتاب، لذكر الشفاعة مفصّلاً لورودها في هذا الحديث، فراجع.

٢- مسند البزار لاحظ كشف الأستار للهيثمي ٥٧ / ٢ و سنن الدارقطني ٢ / ٢٧٨.

قال السيوطي في الدرّ المنتور ١ / ٢٣٧ ط اولي:

وأخرج الحكيم الترمذي، والبزار، وابن خزيمة، وابن عدى والدارقطني، والبيهقي، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زار قبري وجبت له شفاعتي».

وانظر مجمع الزوائد ٢ / ٤.

ص: ٨٢

المقرىء الظلمنكى إجازة: أنا أبو عبدالله محمّد بن أحمد بن يحيى بن معرّج [\(١\)](#)، ثنا أبو الحسين محمّد بن أيّوب بن حبيب بن يحيى الرقى الصموت، ثنا أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار.

وعلى هذه النسخة: أنّها قوبلت بأصل القاضى أبى عبدالله بن معرّج الذى فيه سماعه على الرقى محمّد بن أيّوب، وأكثر أصل ابن معرّج بخط الرقى.

وقد حدّث القاضى أبو على الصدفى بهذه النسخة مرّات، وعليها الطباق عليه، وممن قرأها على الصدفى محمّد بن خلف بن سليمان بن فتحون فى سنة ثلاث وخمسائة.

وقد حدّث بهذه النسخة أيضاً الفقيه العالم المتقن أبو محمّد بن حوط الله، قرأها عليه محمّد بن محمّد بن سماعه فى سنة ست وستمائه بمرسيه.

وفورّتش بضمّ الفاء بعدها واو ساكنه، ثمّ راء ساكنه، ثمّ تاء مثناة من فوق، ثمّ شين معجمة.

وقتيبه شيخ البزار هو ابن المرزبان، روى عنه أحاديث غير هذا.

وعبدالله بن إبراهيم هو الغفارى يقال: إنّه من ولد أبى ذر رضى الله عنه روى له أبو داود والترمذى، قال أبو داود: منكر الحديث. وقال ابن عدى: عامّة ما يرويه لا يتابعه عليه الثقات [\(٢\)](#).

وقال البزار عقب ذكره هذا الحديث: عبدالله بن إبراهيم حدّث بأحاديث لم يتابع عليها، وإنّما يكتب من حديثه ما لا يحفظ إلّاعنه. وعبدالرحمان بن زيد بن أسلم روى له الترمذى وابن ماجه، وضعفه

١- كذا فى المطبوعتين هنا وما يلى، لكن أثبتها فى الصارم ص ٤٠: مفرج.

٢- الكامل ١٥٠٨ / ٤ ترجمه عبدالله بن ابراهيم، وانظر المجروحين لابن حبان ٣٦ / ٢.

ص: ٨٣

جماعة (١)، وقال ابن عدى: إنه له أحاديث حسان، وإنه ممن احتمله الناس وصدقه بعضهم، وإنه ممن يكتب حديثه (٢).
وصحح الحاكم رحمه الله تعالى حديثاً من جهته سنذكره فى التوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم (٣).
وإذ كان المقصود من هذا الحديث تقوية الأول به وشهادته له، لم يضر ما قيل فى هذين الرجلين؛ إذ ليس راجعاً إلى تهمة كذب، ولا فسق، ومثل هذا يحتمل فى المتابعات والشواهد (٤).

الحديث الثالث: «من جاءنى زائراً لا يعمله حاجة إلابارتى، كان حقاً على أن أكون له شفيحاً يوم القيامة».

سند الحديث

رواه الطبرانى فى معجمه الكبير (٥)، والدارقطنى فى أماليه (٦)، وأبو بكر ابن

١- الكامل ١٥٨٥ / ٤.

٢- الكامل ١٥٨٥ / ٤ ترجمة عبد الرحمن بن زيد.

٣- راجع ص ٢٩٤-٢٩٥، فى الباب الثامن.

٤- وبهذا تبرأ الإمام السبكى من الحكم على هذا الحديث بالصحة، فهو لا يريد ذلك، ولذا ذكر كلام من ضعفه برمته، فقول ابن عبد الهادى فى ردّه: «ان المستدل بالحديث عليه أن يبين صحته» الصارم ص ٤٢ هراء وخروج عن قواعد البحث، فالسبكى لا يريد أن يستدل بهذا ولا حكم بصحته، بل جعله شاهداً ومتابعاً، والمتابع لا يشترط فيها الصحة، وهذا واضح للمبتدى بعلم الحديث!! وكتب السيد

٥- المعجم الكبير للطبرانى ١٢ / ٢٩١ رقم ١٣١٤٩.

وقال المعلق ورواه فى الأوسط ١٥٧ ولاحظ مجمع الهيتمى ٢ / ٤.

٦- أمالى الدارقطنى.

ص: ٨٤

المقرىء فى معجمه، وصححه سعيد بن السكن (١).

وهو من رواية مسلمة الجهنى عن عبيدالله العمري، ففبه متابعه لموسى بن هلال فى شفخه، وبيان لأنه لم يتفرد بالحديث، وكان ينبغى لأجل ذلك أن نذكره مع الأول، لكن لما تضمن زيادة معنى أفردناه.

وقد ورد فى بعض الروايات: «لا يعملها» وفى بعضها: «لا ينزعه».

واختلف على مسلمة فى عبيدالله وعبدالله، كما اختلف على موسى بن هلال، فرواه عبدالله بن محمد العبادى البصرى عن مسلمة، عن عبيدالله مصغراً، عن نافع.

والعبادى بضم العين المهملة، وفتح الباء المخففة المنقوطة بواحدة، وفى آخره الدال، نسبة إلى عباد بن ضبيعه بن قيس بن ثعلبة بن عكابه بنصعب بن على بن بكر.

قال أبو سعد ابن السمعانى: والمشهور بالنسبة إليهم: عبدالله بن محمد العبادى، يروى عن الحسن بن حبيب بن ندبة، حدث عنه عبادان وغيره (٢).

وقال الصورى: بتشديد الباء. قال ابن ماكولا: ما نعرفه إلا مخففاً.

أخبرنا أبو الفضل إسحاق بن أبى بكر بن إبراهيم ابن النحاس الأسدى بقراءة علىه بجامع دمشق فى عاشر صفر سنة ثمان وسبعمائة، قلت له: أخبرك الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبدالله المشقى قراءة عليه وأنت تسمع، أنا أبو عبدالله بن أبى زيد بن حميد (٣) بن نصر الكرانى، أنا أبو منصور محمود بن إسماعيل بن محمد الصيرفى، أنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن فاذشاه،

١- لاحظ رفع المنارة ص ٣٠١.

٢- الأنساب للسمعانى العبادى ص ٣٨٠ طبعة مرجليوت.

٣- فى ه: حمد.

ص: ٨٥

أنا أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الطبراني، ثنا عبدان بن أحمد، ثنا عبد الله بن محمد العبدي البصري، ثنا مسلمة بن سالم الجهني، حدثني عبد الله بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جاءني زائراً لا يعمله حاجة إلا يارتى، كان حقاً علي أن أكون له شفيصاً يوم القيامة» (١).
وأخبرنا به أيضاً علي بن أحمد العراقي (٢) في كتابه: أنا ابن عماد، أنا ابن رفاعه، أنا الخلعى (ح).
وكتب إلى عثمان بن محمّد: أنه قرأ على الحافظ يحيى بن علي القرشي: أنا عبد الله بن محمّد وابن عماد قالوا: أنا ابن رفاعه، أنا الخلعى، أنا أبو النعمان تراب بن عمر بن عبيد بن محمّد بن عباس العسقلاني، ثنا أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد ابن مهدي الدرقي البغدادي إملاءً بمصر، ثنا يحيى بن محمّد بنصاعد، ثنا أبو محمّد عبد الله بن محمّد العبدي من بني عبّاد بن ربيعة في بني مرة بالبصرة سنة

١- تلخيص الحبير ٧/ ٤١٧ عن الطبراني، وقال: وجزم الضياء في الأحكام وقبلة البيهقي بأن عبد الله بن عمر المذكور هو المكبر، ورواه الخطيب في الرواه عن مالك في ترجمة النعمان بن شبل، وقال: إنّه تفرد به عن مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ «من حج ولم يزرني فقد جفاني». ذكره ابن عدي وابن حبان في ترجمة النعمان.
ورواه البيهقي عن حديث أبي داود الطيالسي عن سوار بن ميمون، وفي الباب عن أنس: أخرجها ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» مرفوعاً «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيصاً وشهيداً يوم القيامة».
وقال ابن حجر: طرق هذا الحديث كلها ضعيفة، لكن صححه من حديث ابن عمر أبو علي بن السكن في إيراده إياه في أثناء السنن الصحاح له وعبد الحق في الأحكام في سكوتة عنه، والشيخ تقي الدين السبكي وهو المؤلف من المتأخرين باعتبار مجموع الطرق.
٢- في ه: الغرافي.

ص: ٨٦

خمسين ومائتين، حدّثنا مسلمة بن سالم الجهني إمام مسجد بني حرام ومؤدّبهم، ثنا عبيد (١) «اللّه بن عمر، عن نافع، عن سالم، عن أبيه قال: قال رسول اللّهلصلى الله عليه وآله وسلم:

«من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلزابرتي، كان حقاً على أن أكون له شفيصاً يوم القيامة».

وأخبرنا أيضاً عبدالمؤمن وغيره إذناً عن أبي نصر، أنبأنا ابن عساكر، أنا خالي أبو المعالي محمّد بن يحيى بن عليّ، أنا عليّ بن الحسن بن الحسين الخلعيّ...

فذكره بإسناده ومتمته.

وفي هذين الطريقتين - أعني طريق عبدان، وطريق يحيى بن محمّد بنصاعد -: «نافع، عن سالم».

ورواه غيرهما فقال فيه: عن نافع وسالم، كذلك قرىء على أبي الفضل إسحاق بن أبي بكر بن إبراهيم بن هبة اللّه بن طارق بن سالم

بن النّحاس الأسديّ الحنفيّ في معجم ابن المقرئ وأنا أسمع بدمشق، أنّ الحافظ أبا الحجّاج يوسف بن خليل الدمشقيّ أخبره قراءة

عليه وهو يسمع بحلب، أنا أبو مسلم المؤيد بن عبدالرحيم بن أحمد ابن الإخوة، وزوجته عين الشمس بنت أبي سعيد بن الحسن قالوا:

أنا أبو الفرح سعيد بن أبي الرجاء الصيرفيّ - قال المؤيد: سماعاً، وقالت زوجته: إجازةً - قال: أنا الشيخان أبو طاهر أحمد بن محمود

الثقفيّ، وأبو الفتح منصور بن الحسين بن عليّ بن القاسم، قالوا: أنا أبو بكر محمّد بن إبراهيم ابن عليّ ابن عاصم بن المقرئ.

(ح) وأخبرنا عبدالمؤمن بن خلف وغيره إذناً، عن أبي نصر، أنا عليّ بن الحسن بن هبة اللّه، أخبرناه أبو الفرح سعيد بن أبي الرجاء

الأصبهاني، أنا منصور

ص: ٨٧

ابن الحسين وأبو طاهر بن محمود، قالوا: أنا أبو بكر ابن المقرئ، ثنا محمّد بن أحمد ابن محمّد الشطويّ ببغداد، ثنا عبد الله بن يزيد الخنمي، ثنا عبد الله بن محمّد، حدّثني مسلمة بن سالم الجهنيّ إمام مسجد بني حرام ومؤدّبهم بالبصرة قال: حدّثني عبيد الله بن عمر العمريّ، عن نافع وسالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: «من جاءني زائراً لا ينزعه إلزيارتي، كان حقاً على الله عزوجل أن أكون له شفيحاً يوم القيامة».

وفي رواية ابن عساكر «حقّ» بالرفع.

وهذه الطرق كلّها متفقّة عن عبد الله بن محمد العبّاديّ، عن مسلمة، عن «عبيد الله» مصغراً.

ورواه مسلم بن حاتم الأنصاريّ، عن مسلمة، عن «عبد الله»

أخبرنا بذلك ابن خلف وغيره إذناً، عن ابن هبة الله، أنا الدمشقيّ، أنا أبو عليّ الحدّاد في كتابه، ثمّ حدّثني عبدالرحيم بن عليّ أبو مسعود عنه، أنا أبو نعيم الحافظ، حدّثنا أبو محمّد بن حيّان، ثنا محمّد بن أحمد بن سليمان الهرويّ، ثنا مسلم ابن حاتم الأنصاريّ، ثنا مسلمة بن سالم الجهنيّ، حدّثني عبد الله - يعنى العمريّ - حدّثني نافع، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلزيارتي، كان حقاً على أن أكون له شفيحاً يوم القيامة».

هذه طرق هذا الحديث.

وقد ذكره الإمام الحافظ أبو عليّ سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغداديّ المصريّ البزار [توفّي بمصر ٣٥٣] في كتابه المسمّى

ب «السنن الصحاح المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم» وهو كتاب محذوف الأسانيد، قال في خطبته:

أمّا بعد، فإنّك سألتني أن أجمع لك ماصحّ عندي من السنن المأثورة التي نقلها الأئمّة من أهل البلدان، الذين لا يطعن عليهم طاعن فيما نقلوه، فتدبّرت ما سألتني

ص: ٨٨

عنه، فوجدت جماعة من الأئمة قد تكلفوا ما سألتنى من ذلك، وقد وعيت جميع ما ذكروه، وحفظت عنهم أكثر ما نقلوه، واقتديت بهم، وأجبتك إلى ما سألتنى من ذلك، وجعلته أبواباً فى جميع ما يحتاج إليه من أحكام المسلمين.

فأول من نصب نفسه لطلب صحيح الآثار البخارى، وتابعه مسلم، وأبو داود، والنسائى، وقد تصفحت ما ذكروه، وتدبرت ما نقلوه، فوجدتهم مجتهدين فيما طلبوه، فما ذكرته فى كتابى هذا مجملاً فهو ممّا أجمعوا عليه، وما ذكرته بعد ذلك ممّا يختاره أحد من الأئمة الذين سميتهم، فقد بينت حجته فى قبول ما ذكره، ونسبته إلى اختياره دون غيره، وما ذكرته ممّا يتفرد به أحد من أهل النقل للحديث فقد بينت علته، ودللت على انفراده دون غيره، وبالله التوفيق.

قال فى هذا الكتاب فى آخر كتاب الحج: «باب ثواب من زار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من جاءنى زائراً لم تنزعه حاجة إلابارتى، كان حقاً على أن أكون له شفيصاً يوم القيامة».

ولم يذكر ابن السكن فى هذا الباب غير هذا، وذلك منه حكم بأنه مجمع عليه؛ بمقتضى الشرط الذى شرطه فى الخطبة (١).

١- لقد تغافل ابن عبد الهادى فى رده، عن تصحيح ابن السكن للحديث وراح على عادة السلفية المترمّتين، يلوك بذكر الجروح فى الرواة، وغاية ما طرحه: أن هناك حديثاً واحداً، رواه شيخان: أحدهما فيه زيارة القبر من دون «تعمله» والآخر فيه «تعمله» بلا ذكر القبر، فمع ضعف الرواة لا يمكن الاعتماد عليه! لاحظ الصارم ٥٠.

أقول: مع اعترافه بوحدة الحديث، لا وجه لإغفاله تصحيح حافظ جليل مثل ابن السكن ولا الإعراض عن الطرق الكثيرة المذكورة هنا، وفى الحديث الأول المتحد معه فى الرواة.

وأما الدلالة: فمقتضى الجمع بين الداليتين، هو أن يكون مدلولهما الأعمال إلى زيارة القبر الشريف، وهو الذى فهمه العلماء المحققون، فأثبتوا هذه الأحاديث فى أبواب زيارة القبر، والسفر إليها.

وأما التفرقة بينها بجعل بعضها لمطلق الزيارة بلا قبر، وبعضها للقبر بلا أعمال، فهو عمل البلداء ممن لا يعرفون الحديث ولا فقهه! ثم إن من خبط ابن عبد الهادى وتمويهه تعرّضه لأحاديث اخرى عن ابن عمر فى سكنى المدينة والموت بها.

فهل ثبوت هذه الأحاديث مهما صحّت وكثرت، فيها أدنى دلالة على نفي أحاديث الزيارة؟! حتى يطول فيها بلا طائل، مع أن لها دلالة من طرف آخر، على خلاف غرضه، حيث أن فيها الترغيب فى سكنى المدينة، ولا ريب أنه يستحبّ لساكنها زيارة القبر، فتكون بالتالى دالة على الترغيب فى الزيارة، ولو مع واسطة السكنى فى المدينة، كما سيأتى ذيل الحديث الخامس فى كتابنا هذا. والتميمية لا يوافقون على ذلك، فليدقق.

ص: ٨٩

وابن السكن هذا إمام حافظ ثقة، كثير الحديث، واسع الرحلة، سمع بالعراق والشام ومصر وخراسان وما وراء النهر من خلائق، وهو بغدادى سكن مصر، ومات بها فى النصف من المحرم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة.

دلالة الحديث

وتبويب ابن السكن يدل على أنه فهم منه أن المراد بعد الموت، أو أن ما بعد الموت داخل فى العموم، وهو صحيح [\(١\)](#).

الحديث الرابع: «من حجّ فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى»

إشارة

رواه الدارقطنى فى سننه وغيرها، ورواه غيره أيضاً:

١- قال العلامة ممدوح: عندما رتب ابن حزم كتب السنّة، جعل صحيح ابن السكن ثالث الكتب، بعد الصحيحين، راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ١١٥٣/٣. كما فى رفع المنارة ص ٣٠١ هـ ١ وقال فى المتن: الحافظ بن السكن صحح هذا الطريق بمفرده، فما بالك؟ وهذا الطريق متابع لموسى بن هلال البصرى؟! فهو مقبول، حسب القواعد.

ص: ٩٠

أخبرنا عبدالمؤمن بن خلف الحافظ، أنا يوسف بن خليل الحافظ، أنا ناصر ابن محمد أبو برح، أنا إسماعيل بن الفضل بن الإخشيد، أنا أبو طاهر بن عبدالرحيم، أنا علي بن عمر الحافظ الدارقطني قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، ثنا أبو الربيع الزهراني. (ح) وقرأت علي أبي محمد إسحاق بن يحيى بن إسحاق بن إبراهيم الأمدى - واللفظ له -: أخبرك يوسف بن خليل الحافظ، أنا محمد بن أبي زيد الكرائي، أنا محمود الصيرفي، أنا ابن فاذشاه، أنبأنا الطبراني، ثنا الحسين بن إسحاق التستري، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا حفص بن أبي داود، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» (١).

وكتب إلي عثمان بن محمد، من مكة: أنه قرأ علي الحافظ أبي الحسين بمصر قال: أنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن الشافعي، أنا أبو طاهر عبدالرحمان بن أحمد بن عبدالقادر بن يوسف البغدادي، أنا أبو بكر محمد بن عبدالملك بن بشران، أنا أبو الحسن الدارقطني، حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز، ثنا أبو الربيع، ثنا حفص بن أبي داود، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي». وأخبرناه عبدالمؤمن وغيره إذناً عن الشيرازي، أنا الحافظ الدمشقي، أنا أبو عبدالله الخلال، أنا إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر ابن المقرئ، أنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أبو الربيع، ثنا حفص بن أبي داود، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن

١- سنن الدارقطني ٣/ ٣٧٨ ح ١٩٣، كتاب الحج، وانظر المعجم الكبير للطبراني ١٢/ ٤٠٦ ح ١٣٤٩٧.

ص: ٩١

عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حجّ فزارني بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي» (١).
وكذلك رواه أبو أحمد بن عدى في «الكامل»: أخبرنا أبو محمد التونى - هو الحافظ الدمياطى - وآخرون إذناً، عن أبي الحسن النجار،
عن أبي الكرم المبارك ابن الحسن الشهرزورى، أنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلى، أنا حمزة بن يوسف السهمى، أنا أبو أحمد
عبدالله بن عدى الجرجانى، أنا الحسن بن سفيان، ثنا على ابن حجر.
وثنا عبدالله بن محمد البغوى، ثنا أبو الربيع الزهرانى.
قال على: ثنا حفص بن سليمان، وقال أبو الربيع: ثنا حفص بن أبى داود.
وقال: عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حجّ فزار قبرى بعد
موتى كان كمن زارني في حياتى وصحبنى». واللفظ لابن سفيان (٢).
وذكر أبو بكر البيهقى في السنن رواية ابن عدى هذه من الطريقين، عن أبى سعد المالينى، عن ابن عدى.
وذكر ابن عدى ذلك فى ترجمته حفص بن سليمان الأسدى الغاضرى القارىء، وذلك حكم منه بأنه حفص بن أبى داود المذكور فى
الإسناد، وقال - أعنى ابن عدى -: إن أبا الربيع الزهرانى يسميه حفص بن أبى داود؛ لضعفه، وهو حفص بن سليمان.

١- مسند أبى يعلى الموصلى.

انظر المطالب العالىة ١ / ٣٧٢.

٢- الكامل لابن عدى ٣ / ٧٨٩ - ٧٩٠ ترجمته حفص بن سليمان، ورواه فى الترغيب والترهيب ١ / ٤٤٧ والفاكهى فى أخبار مكة ١ / ٤٣٧.

ص: ٩٢

وقال البيهقي: تفرد به حفص، وهو ضعيف [\(١\)](#).

وكذلك الحافظ ابن عساكر، ورواه مسمي: أخبرنا الدمياطي إذنا، أنبأنا ابن هبة الله الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا الخلال، أنا إبراهيم بن منصور السلمي، أنا أبو بكر ابن المقرئ، أنا أبو سعيد المفضل بن محمد بن إبراهيم الجندی، ثنا مسلمة - وهو ابن شبيب - ثنا عبدالرزاق، ثنا أبو عمر حفص بن سليمان.

(ح) قال ابن عساكر: وأنا أبو القاسم ابن السمرقندي، أنا أبو القاسم إسماعيل ابن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف السهمي. قال: أنا أبو أحمد بن عدي، أنا الحسن بن سفيان، ثنا علي بن حجر.

(ح) قال ابن عساكر: وأنا أبو القاسم الشحامي، أنا أبو بكر البيهقي، أنا علي بن أحمد بن عبدان، ثنا أحمد بن عبيد، حدثني محمد بن إسحاق الصفار، ثنا ابن بكار، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج فزار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي».

زاد السهمي: «وصحبي» [\(٢\)](#).

ورواه البيهقي في السنن بدون هذه الزيادة، عن عبدالله بن يوسف، أنا محمد بن نافع الخزاعي، ثنا المفضل الجندی - فذكره سنداً ومتناً، كما ذكره ابن عساكر من طريق ابن المقرئ [\(٣\)](#).

وكتب إلى عثمان بن محمد التوزري من مكة شرفها الله تعالى: أنه قرأ علي أبي

١- السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٤٦ باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله من كتاب الحج، وانظر شعب الإيمان له.

٢- تاريخ دمشق لابن عساكر، لاحظ مختصره لابن منظور ٢/ ٤٠٦.

٣- السنن للبيهقي ٥/ ٢٤٦.

ص: ٩٣

اليمن ابن عساكر بها قال: أنا الحسن بن محمّد، أنا عليّ بن الحسن، أنا أبو القاسم إسماعيل بن محمّد، نا أحمد بن عبدالغفار بن أشته، أنا أبو سعيد النقاش، أنا أبو بكر محمّد بن عبدالله بن إبراهيم الجوزجانيّ، ثنا الحسن بن الطيّب البلخيّ، ثنا عليّ بن حجر، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي».

وقال ابن النجار الحافظ البغداديّ في كتاب «الدرّة الثمينه في أخبار المدينة» (١): «أنا عبد الرحمان بن عليّ، أنا أبو الفضل الحافظ، عن أبي عليّ الفقيه، أنا أبو القاسم الأزهرىّ، أنا القاسم بن الحسن، ثنا الحسن بن الطيّب، ثنا عليّ بن حجر، ثنا حفص بن سليمان، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حجّ فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي وصحبي».

قال أبو اليمن ابن عساكر رحمه الله بالإسناد المتقدّم إليه: وقد روى هذا الحديث الحسن بن الطيّب عن عليّ بن حجر، فزاد فيه زيادة منكرة، قال فيه: «من حجّ فزار قبري بعد موتي، كان كمن زارني في حياتي وصحبي» تفرد بقوله «وصحبي» الحسن بن الطيّب، وفيه نظر.

قلت: وقد ذكرنا هذه الزيادة من طريق الحسن بن سفيان، فلا تفرد فيها.

وعبدالرحمان الذي روى عنه ابن النجار هو ابن الجوزيّ رحمه الله وقد رأيتّه بخطّه في كتابه «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» بالإسناد المذكور (٢).

وقد روى هذا الحديث من وجه آخر عن حفص بن سليمان، عن كثير بن

١- الدرّة الثمينه لابن النجار ص ٣٩٧ الباب ١٦ فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- مثير العزم الساكن لابن الجوزي، ولاحظ كثر العمال ١٥ / ٦٥١ ح ٢٥٨٢.

ص: ٩٤

شنظير، عن ليث بن أبي سليم:

أخبرنا بذلك الحافظ أبو محمّد الدميّطى إجازة، أنبأنا أبو نصر مكاتبه، أنا ابن عساكر سماعاً، أنا الشحامى، أنا الجزرودى، أنا ابن حمدان، أنا أبو يعلى الموصلى، ثنا يحيى بن أيوب، ثنا حسّان بن إبراهيم، ثنا حفص بن سليمان، عن كثير بن شنظير، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم: «من حجّ فزارنى بعد وفاتى عند قبرى، فكأنما زارنى فى حياتى».

وأشار ابن عساكر إلى أن الصواب الأوّل «(١)».

أمّا كون حفص بن سليمان القارىء الغاضرى، هو حفص بن أبي داود، فكذلك قال البخارى، وابن أبي حاتم، وابن عدى، وابن حبان، وغيرهم.

وأما كونه هو الراوى لهذا الحديث، فكذلك قاله ابن عدى، وابن عساكر، وأشار إليه البيهقى، وهو السابق إلى الذهن.

لكن ابن حبان فى كتاب «الثقات» ذكر ما يقتضى التوقّف فى ذلك، فإنّه قال:

حفص بن سليمان البصرى المنقرى يروى عن الحسن، مات سنة ثلاثين ومائة، وليس هذا بحفص بن سليمان البرّاز أبى عمر القارىء، ذاك ضعيف، وهذا ثبت.

ثمّ قال فى الطبقة التى بعد هذه: حفص بن أبي داود يروى عن الهيثم بن حبيب، عن عون بن أبي جحيفة، روى عنه أبو ربيع الزهرانى «(٢)».

هذا كلام ابن حبان، ومقتضاه أنّ حفص بن أبي داود المذكور فى الطبقة الأخيرة ثقة، وأنّه غير القارىء الضعيف المذكور فى الطبقة التى قبله على سبيل التمييز بينه وبين المنقرى البصرى، ولعلّ أبا الربيع الزهرانى روى عنهما جميعاً؛ أعنى حفص بن سليمان المنقرى، وحفص بن أبي داود، وإن اختلفت طبقتهما.

١- تاريخ دمشق لابن عساكر.

٢- الثقات لابن حبان ١٩٥/٦، ولاحظ التاريخ الكبير للبخارى ١/٢/٣٦٠.

ص: ٩٥

وقد ذكر ابن حبان حفص بن سليمان المقرئ في كتاب المجروحين، وذكر ضعفه وقال: إنه ابن أبي داود (١).
ويبعد القول بأنه اشتبه عليه وجعلهما اثنين: أحدهما ثقة، والآخر ضعيف، على أن هذا الاستبعاد مقابل بأن ابن عدى ذكر في ترجمته حفص القارىء حديثاً من رواية أبي الربيع الزهراني، عن حفص بن أبي داود، عن الهيثم بن حبيب، عن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه قال: مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ يَصَلِّي قَدْ سَدَلَ ثَوْبَهُ، فَعَطَفَهُ عَلَيْهِ (٢).
ويبعد أيضاً أن يكونا اثنين، ويشبهه على ابن عدى فيجعلهما واحداً.
والموضع موضع نظر، فإنصح مقتضى كلام ابن حبان زال الضعف فيه، ولا ينافي هذا كونه جاء مسمى في رواية هذا الحديث؛ لجواز أن يكون قد وافق حفصاً القارىء في اسم أبيه وكنيته.
وإن كان هو القارىء كما حكم به ابن عدى وغيره، وهو ابن امرأة عاصم، فقد أكثر الناس الكلام فيه، وبالغوا في تضعيفه، حتى قيل عن عبدالرحمان بن يوسف بن خراش: إنه كذاب متروك يضع الحديث.
وعندي أن هذا القول سرف، فإن هذا الرجل إمام قراءة، وكيف يعتقد أنه يقدم على وضع الحديث والكذب، ويتفق الناس على الأخذ بقراءته؟! (٣)

١- المجروحين لابن حبان ٢/ ٢٥٠ ولاحظ ١/ ٢٥٥.

٢- الكامل لابن عدى ٢/ ٧٨٩ ترجمه حفص بن سليمان.

٣- وهكذا تجدهم، لا يحفظون حُرْمَةَ القرآن، فيتهمون أكبر قرائه بمثل هذا، من دون أن يتنبهوا إلى ماذا يجزّ عملهم؟! فهذا حفص هو صاحب القراءة المتداولة بين المسلمين المعروفة بقراءة حفص عن عاصم ولكن كلال- الرجلين مجروحان عند هؤلاء، لأنهما من الشيعة، والحمد لله.

وقد حاول الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٦٠ في ترجمه عاصم، أن يعتذر عن هذا العمل الشنيع، بقوله: ما زال في كل وقت يكون العالم إماماً في كل فنّ مقصّراً في فنون، وكذلك كان حفص بن سليمان ثبّاتاً في القراءة، واهياً في الحديث، وكان الأعمش بخلافه كان ثبّاتاً في الحديث ليّناً في الحروف. انتهى.

أقول: وهذا العذر أقبح من الفعل، لأنّ الوهي في حفص لو كان بمثل الكذب والوضع في الحديث، فإنّه يسلب الثقة عن نقله، ومهما كان المنقول أهم وأعظم، لزم كون ناقله أوثق، فاعتماد الناس على حفص في القراءة دليل واضح على ثقته بأنتم شكل، كما صرح المؤلف رحمه الله. وكتب السيد

ص: ٩٦

وإنما غايته أنه ليس من أهل الحديث، فلذلك وقعت المنكرات والغلط الكثير في روايته. وقد قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سألته - يعني أباه - عن حفص بن سليمان المنقرى، فقال: هو صالح. وروى عثمان بن أحمد الدقاق عن حنبل بن إسحاق، قال: قال أبو عبد الله: وما كان بحفص بن سليمان المنقرى بأس. وحسبك بهذين القولين من أحمد رحمه الله وهما مقدّمان على من روى عن أحمد خلاف ذلك فيه.

متابعات للحديث

ولو ثبت ضعفه - كما هو المشهور - فإنه لم يتفرّد بهذا الحديث.

وقول البيهقي رحمه الله تعالى: إنه تفرّد به، [فهو] بحسب ما اطلع عليه.

وقد جاء في معجمي الطبراني الكبير والأوسط متابعته: أخبرنا به في «المعجم الكبير» أبو محمد إسحاق بن يحيى الأمدى بقراءتي عليه بسفح قاسيون في

ص: ٩٧

يوم السبت رابع عشر صفر سنة ثمان وسبع مائة، قلت له: أخبرك الحافظ أبو الحجاج قراءة عليه وأنت تسمع، أنا ابن أبي زيد الكراني، أنا محمود الصيرفي، أنا ابن فاذشاه، أنا الطبراني رحمه الله ثنا أحمد بن رشدين، ثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري، ثنا الليث ابن بنت الليث بن أبي سليم قال: حدثتني جدتي عائشة بنت يونس امرأة الليث، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبري بعد موتي كان كمن زارني في حياتي» (١). وأخبرناه أيضاً عبد المؤمن وغيره إذناً، عن ابن مميل، أنا الحافظ علي بن الحسن، أنا أبو الفتح أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد الحداد في كتابه، أنا عبد الرحمان بن محمد بن حفص الهمداني، ثنا سليمان بن أيوب، وهو الطبراني، فذكره. وقد روى بعضهم هذا الحديث فقال فيه: «جعفر بن سليمان الضبعي» كذلك وقع في جزء أبي بكر محمد بن السري، أخبرنا به عبد المؤمن الحافظ إذناً، عن يوسف بن خليل الحافظ، أنا أبو الفتح نصر بن أبي الفرج بن علي الحصري، أنا أبو محمد محمد بن أحمد بن عبد الكريم التميمي، أنا أبو نصر محمد بن محمد بن علي الزينبي.

-
- ١- المعجم الكبير للطبراني ١٢/٤٠٦ رقم ١٣٤٩٦، وقال المعلق: رواه في الأوسط ١/٢٠١ رقم ١٥٧، ولاحظ مجمع الزوائد ٤/٢. وروى الطبراني بعده: «من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي».
- المعجم الكبير ١٢/٤٠٦-٤٠٧ رقم ١٣٤٩٧، وخرجه المعلق عن الأوسط ١٥٧ وابن عدي والدارقطني في سننه ٢/٢٧٨ والبيهقي في سننه ٥/٢٤٦ والسلفي في الثاني عشر من المشيخة البغدادية ٥٤/٢.

ص: ٩٨

(ح) وأنبأنا عبدالمؤمن أيضاً قال: أنبأنا أبو نصر، أنا ابن عساكر، أنا أبو الفرج عبدالخالق بن أحمد بن عبدالقادر بن محمد بن يوسف، أنا الزينبي.

(ح) وأنبأنا عالياً أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن سالم السلمى المرداسى ابن الموازنى «(١)» مكاتبه ومشافهه قال: أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله ابن محفوظ بنصبرى، أنا عبدالخالق بن يوسف وأبو المظفر بن الترنكى «(٢)» كلاهما عن الزينبي.

(ح) ووجدته بخط إسماعيل ابن الأنماطى: أنا محمد بن علوان، أنا سعيد بن محمد، ثنا أبو سعد ابن السمعانى إملاء بهراه، أنا المظفر بن أحمد ومحمد بن القاسم قالوا: أنا الزينبي، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن خلف بن زبور الكاغذى، أنا أبو بكر محمد بن السرى بن عثمان التمار، ثنا نصر بن شعيب مولى العبديين، ثنا أبى، ثنا جعفر بن سليمان الضبعى، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج بعد وفاتى وزار قبرى كان كمن زارنى فى حياتى».

قال ابن عساكر: كذا قال: «جعفر بن سليمان الضبعى» وهو وهم، وإنما هو حفص بن سليمان أبو عمر الأسدى الغاضرى القارىء «(٣)».

الحديث الخامس: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني»

إشارة

رواه ابن عدى فى «الكامل» وغيره «(٤)».

أخبرناه إذناً ومشافهه عبدالمؤمن وآخرون، عن أبى الحسن ابن المقير

١- فى ه: الموازنى.

٢- فى ه: التريكى.

٣- تاريخ ابن عساكر.

٤- الكامل لابن عدى ٧ / ٢٤٨٠ ترجمة النعمان بن شبل.

ص: ٩٩

البغدادي، عن أبي الكرم ابن الشهرزوري، أنا إسماعيل بن مسعدة الإسماعيلي، أنا حمزة بن يوسف السهمي، أنا أبو أحمد بن عدى، ثنا علي بن إسحاق، ثنا محمد بن محمد بن النعمان، حدثني جدى قال: حدثني مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني».

وذكر ابن عدى أحاديث النعمان ثم قال: هذه الأحاديث عن نافع، عن ابن عمر، يحدث بها النعمان بن شبل عن مالك، ولا أعلم رواه عن مالك غير النعمان بن شبل، ولم أر في أحاديثه حديثاً غريباً قد جاوز الحد فأذكره. وروى فيصدر ترجمته عن عمران بن موسى الزجاجي: أنه ثقة، وعن موسى بن هارون: أنه متهم. وهذه التهمة غير مفسرة فالحكم بالتوثيق مقدم عليها.

وذكر أبو الحسن الدارقطني رحمه الله هذا الحديث في أحاديث مالك بن أنس الغرائب التي ليست في «الموطأ» وهو كتاب ضخمة (١).

قال: ثنا أبو عبد الله الأيلي وعبد الباقي قالوا: ثنا محمد بن محمد بن النعمان بن شبل، ثنا جدى، ثنا مالك، عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني». قال الدارقطني: تفرد به هذا الشيخ، وهو منكر. هذه عبارة الدارقطني، والظاهر أن هذا الإنكار منه بحسب تفرد به وعدم

١- غرائب مالك التي ليست في الموطأ، للدارقطني.

قال ابن حجر في تلخيص الحبير ٧/ ٤١٧: رواه الخطيب في الرواة عن مالك في ترجمة ابن النعمان بن شبل، وقال: بأنه تفرد به عن مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ: «من حج ولم يزرني فقد جفاني».

ولاحظ تاريخ جرجان للسهمي ص ٢١٧.

ص: ١٠٠

احتماله بالنسبة إلى الإسناد المذكور، ولا يلزم من ذلك أن يكون المتن فى نفسه منكرًا، ولا موضوعًا. وقد ذكره ابن الجوزى فى «الموضوعات» (١) وهو سرف منه، ويكفى فى الردّ عليه ما قاله ابن عدى. وقال ابن الجوزى: عن الدارقطنى أن الحمل فيه على محمد بن محمد بن النعمان، لا على جدّه. وكلام الدارقطنى الذى ذكرناه محتمل لذلك، ولأن يكون المراد تفرد النعمان، كما قاله ابن عدى. وأمّا قول ابن حبان: إن النعمان يأتى عن الثقات بالطامات (٢)، فهو مثل كلام الدارقطنى، إلّا أنه بالغ فى الإنكار، وقد روى ابن حبان فى كتاب «المجروحين» عن أحمد بن عبيد، عن محمد بن محمد. وقول ابن الجوزى فى كتاب الضعفاء: «إن الدارقطنى طعن فى محمد بن محمد ابن النعمان» (٣)، فالذى حكيناه من كلام الدارقطنى رحمه الله هو الإنكار، لا التضعيف. فتحصل من هذا إبطال الحكم عليه بالوضع، لكنّه غريب، كما قال الدارقطنى، وهو لأجل كلام ابن عديّ صالح لأن يعتضد به غيره. وهذا الحديث كان ينبغى تقديمه بعد الأوّل؛ لكونه من طريق نافع، ولكنّا أخرناه لأجل ما وقع فيه من الكلام. ومما يجب أن يتتبه له: أن حكم المحدثين بالإنكار والاستغراب، قد يكون بحسب تلك الطريق، فلا يلزم من ذلك ردّ متن الحديث، بخلاف إطلاق الفقيه «أنّ

١- الموضوعات لابن الجوزى ٢/ ٢١٧.

٢- المجروحين لابن حبان ٣/ ٧٣ ترجمة النعمان.

٣- الضعفاء لابن الجوزى ٣/ ٩٧ رقم ٣١٨٣.

ص: ۱۰۱

الحديث موضوع» فإنه حكم على المتن من حيث الجملة، فلا جرم قبلنا كلام الدارقطني، ورددنا كلام ابن الجوزي، واللّه أعلم.

وحديث آخر: من رواية ابن عمر رضی اللہ عنہما:

ذكره الدارقطني في «العلل» في مسند ابن عمر في حديث: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليفعل» (١).

قال: ثنا جعفر بن محمد الواسطي، ثنا موسى بن هارون، ثنا محمد بن الحسن الختلي، ثنا عبدالرحمان بن المبارك، ثنا عون بن موسى، عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر رضی اللہ عنہما قال: قال رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارني إلى المدينة كنت له شفيحاً وشهيداً».

قيل للختلي: إنما هو سفيان بن موسى!

قال: اجعلوه عن ابن موسى.

قال موسى بن هارون: ورواه إبراهيم بن الحجاج، عن وهب، عن أيوب، عن نافع مرسلًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا أدري أسمع من إبراهيم بن الحجاج أو لا؟

وإنما لم افرد هذا الحديث بترجمته؛ لأنّ نسخة «العلل» للدارقطني التي نقلت منها سقيمة (٢).

١- العلل للدارقطني ومسند أحمد ٢/ ٧٤.

٢- انظر إلى مدى احتياط الإمام السبكي في نقله للحديث، وتمييزه بين الصائب والسقيم، وعدم وضعهما في محل واحد للاستدلال؟ وهذا غاية الورع والضبط والدقة.

وكل هذا لم يرق في عين ابن عبد الهادي فاعترض عليه بقوله: يعتل بأنّ النسخة التي نقل منها سقيمة؟! الصارم ٩٥.

ولم يعرف المنكوب! أنّ الإنسان لم يكلف إلّٰما في وسعه، والواجب عليه التنبيه على خطأ النسخة ليخرج من عهده.

ولمّا كان الإمام السبكي يؤكّد على قراءات النسخ ويوصل طرقه إلى النسخ الصحيحة المسموعة التي عليها بلاغات القراءة والسمع والطباق، نرى ابن عبد الهادي يضحّ - أيضاً - من ذلك، ويعتبره تطويلاً لا حاجة إليه!!

فلا يرضى جناب ابن عبد الهادي الحنبلي، بالتصريح بالتصحيح، ولا بالتنبيه على السقم!؟

فباللّه عليك - أيها القارئ الكريم - أيّ الطريقتين أهدى، وأقرب رشداً؟ طريقة الإمام السبكي، أو طريقة الحنبلي؟ وكتب السيّد

الحديث السادس: «من زار قبري» أو «من زارني» «كنت شفيحاً له» أو «شهيحاً»

رواه أبو داود الطيالسي في مسنده «(١)»، وقد سمعت المسند المذكور كله متفرقاً على أصحاب ابن الخليل: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن بدران بن أبان الدشتي بقراءة عليه بالشام سنة سبع وسبعمئة قال: أنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبدالله الدمشقي بحلب سنة ثلاث وأربعين وستمئة قال: أنا القاضي أبو المكارم أحمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالرحمان بن محمد بن قيس اللبان قراءة عليه وأنا أسمع غير مرة بأصبهان في سنة إحدى وتسعين وخمسائة، قيل له: أخبركم أبو علي الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد المقرئ قراءة عليه وأنت تسمع في محرّم سنة اثنتي عشرة وخمسائة فأقرّ به، قال: أنا الإمام أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إسحاق الحافظ قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو محمّد عبدالله بن جعفر بن أحمد بن فارس، ثنا أبو بشر يونس بن حبيب، ثنا أبو داود الطيالسي، ثنا سوار بن ميمون أبو الجراح العبدّي

١- مسند أبي داود الطيالسي ١/ ١٢ وفيه: نوار بن ميمون. وانظر منحة المعبود ١/ ٢٢٨.

ص: ١٠٣

قال: حدّثني رجل من آل عمر، عن عمر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من زار قبري» - أو قال: «من زارني» - «كنت له شفيعاً» - أو «شهيذاً» - ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله عزّوجلّ في الآمين يوم القيامة».

وذكر البيهقيّ هذا الحديث في «السنن الكبير» (١) من جهة الطيالسيّ رحمه الله.

وذكره الحافظ ابن عساكر من جهته (٢): «أنبأنا عبدالمؤمن وغيره، عن ابن الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا أبو عليّ الحدّاد إجازة، ثم أنا ابن السمرقندي، أنا يوسف بن الحسن التفكريّ قالاً: أنا أبو نعيم ثنا ابن فارس.

(ح) وبه إلى ابن عساكر قال: وأخبرنا الشحاميّ، أنا أبو بكر البيهقيّ، أنا ابن فورك، أنا ابن فارس، فذكره.

وسوار بن ميمون روى عنه شعبه؛ لما سنذكره في الحديث السابع، ورواية شعبه عنه دليل على ثقته عنده، فلم يبق في الإسناد من ينظر فيه إلّا الرجل الذي من آل عمر، والأمر فيه قريب، لا سيّما في هذه الطبقة التي هي طبقة التابعين (٣).

وأما قول البيهقيّ: هذا إسناد مجهول.

فإن كان سببه جهالة الرجل الذي من آل عمر فصحيح، وقد بيّنا قرب الأمر فيه.

١- السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٤٥ باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ولاحظ شعب الإيمان ٣/ ٤٨٨.

٢- تاريخ ابن عساكر.

٣- هذا هو المعروف بحديث حاطب الذي قال عنه الذهبيّ أنّه أجود أحاديث الزيارة إسناداً، وأقرّه السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤١٣ والسيوطي في الدرر المنتثرة ص ١٧٣ قال ممدوح: فهؤلاء ثلاثة من الحفاظ اتفقوا على مقولته تدحض المخالف. لاحظ رفع المنارة ص ٣٣٣.

ص: ١٠٤

وإن كان سببه عدم علمه بحال سوار بن ميمون، فقد ذكرنا رواية شعبة عنه، وهي كافية. وقد روى البيهقي أيضاً رواية شعبة عنه في غير السنن، كما سذكه في الحديث السابع. وذكر البيهقي في موضع آخر: أنه اختلف فقيل: سوار بن ميمون، وقيل: ميمون بن سوار، من رواية وكيع عنه.

الحديث السابع: «من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة»

رواه أبو جعفر العقيلي (١) وغيره من رواية سوار بن ميمون المتقدم على وجه آخر غير ما سبق: أخبرنا الحافظ أبو محمّد إدناً، أنا ابن الشيرازي في كتابه، أنا ابن عساكر سماعاً، أنا الشحامي، أنا البيهقي، أنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني علي بن عمر الحافظ، ثنا أحمد بن محمّد الحافظ، حدّثني داود بن يحيى. (ح) قال ابن عساكر: وأنا أبو البركات ابن الأنماطي، أنا أبو بكر الشامي، أنا أبو الحسن، أنا أبو الحسن العتيقي، أنا ابن الدخيل، ثنا أبو جعفر محمّد بن عمرو العقيلي، ثنا محمّد بن موسى، قال: ثنا أحمد بن الحسن الترمذي، ثنا عبد الملك بن إبراهيم الجدي، ثنا شعبة، عن سوار بن ميمون، عن.. «(٢)». وفي حديث الشحامي: ثنا هارون بن قزعة، عن رجل من آل الخطّاب، عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زارني متعمداً كان في جوارى يوم القيامة». زاد الشحامي:

١- الضعفاء الكبير للعقيلي ٤ / ٣٦١ رقم ١٩٧٣.

ولاحظ شعب الإيمان للبيهقي ٣ / ٤٨٩ وانظر رفع المنارة ص ٣٣٥.

٢- في هامش الهنديّة: كذا في الأصل.

ص: ١٠٥

«ومن سكن المدينة وصبر على بلائها، كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

وقالا: «ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله في الآمين». وقال الشحامى: «من الآمين يوم القيامة».

وهارون بن قزعة: ذكره ابن حبان في «الثقات» (١) والعقيلي لما ذكره في كتابه (٢) لم يذكر فيه أكثر من قول البخارى: إنه لا يتابع عليه، فلم يبق فيه إلّا الرجل المبهم، وإرساله.

وقوله فيه: «من آل الخطّاب»، كذا وقع في هذه الرواية، وهو يوافق قوله في رواية الطيالسى: من آل عمر، وقد أسنده الطيالسى عن عمر، كما سبق.

لكنى أخشى أن يكون «الخطّاب» تصحيفاً من «حاطب» فإنّ البخارى لما ذكره في التاريخ قال: هارون أبو قزعة، عن رجل من ولد حاطب، عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم:

«من مات في أحد الحرمين...» روى عنه ميمون بن سوار، لا يتابع عليه.

وقال ابن حبان: إنّ هارون بن قزعة يروى عن رجل من ولد حاطب المراسيل.

وعلى كلا التقديرين فهو مرسل جيد.

وأما قول الأزدي: إنّ هارون متروك الحديث؛ لا يحتجّ به.

فلعلّ مستنده فيه ما ذكره البخارى والعقيلي، وبالغ في إطلاق هذه العبارة؛ لأنها إنّما تطلق حيث يظهر من حال الرجل ما يستحقّ به الترك.

وقد عرفت أنّ ابن حبان ذكره في الثقات، وابن حبان أعلم من الأزدي وأثبت.

وقد روى عن هارون بن قزعة أيضاً مسنداً بلفظ آخر، وهو:

١- الثقات لابن حبان ٧ / ٥٨٠ ترجمه هارون.

٢- الضعفاء للعقيلي ٤ / ٣٦١ رقم ١٩٧٣.

الحديث الثامن: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى»

(١)

رواه الدارقطنى وغيره، أخبرناه الحافظ أبو محمّد الدمياطى سماعاً عليه فى كتاب «السنن» للدارقطنى قال: أنا الحافظ أبو الحجاج يوسف بن خليل، أنا أبو برح، أنا ابن (٢) الإخشيد، أنا ابن عبدالرحيم، أنا الدارقطنى، ثنا أبو عبيد والقاضى أبو عبدالله وابن مخلد قالوا: ثنا محمّد بن الوليد البصرى، ثنا وكيع، ثنا خالد بن أبى خالد وأبوعون، عن الشعبى والأسود بن ميمون (٣)، عن هارون بن قزعة، عن رجل من آل حاطب، عن حاطب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة».

هكذا هو فى «سنن الدارقطنى» (٤).

وأبناؤه أيضاً عبدالمؤمن، أبناؤه الشيرازى، أنا ابن عساكر، أنا فراتكين التركى، أنا الجوهري، أنا على بن محمّد بن لؤلؤ، أنا زكريا الساجى.

(ح) قال ابن عساكر: وأنا أحمد بن محمّد البغدادى، أنا ابن شكرويه ومحمّد

١- فى تلخيص الحبير ٧/ ٤١٥ رواه الدارقطنى، وفى طريق آخر بلفظ «وفاتى» بدل «موتى» ورواه أبو يعلى فى مسنده، وابن عدى فى كامله، ورواه الطبرانى فى الأوسط، ورواه العقيلى عن حديث ابن عباس.

وقال الممدوح: وأخرجه البيهقى والمحاملى والساجى كما فى الميزان، وعلقه ابن عبد البرّ فى الاستذكار، ورواه البخارى فى تاريخه بلفظ: «من مات ...» لاحظ رفع المنارة ص ٣٣٠.

٢- الكلمة ابن لا توجد فى الطبعة المصرية والصحيح إثباتها لاحظ ص ٩٠ وغيرها.

٣- علق فى المصرية: كذا وقع فى الأصل هنا، وفيما يأتى، وانظر هل هو المتقدّم أو غيره.

٤- سنن الدارقطنى ٢/ ١٩٣ وفى طبعة ٢/ ٢٧٨ كتاب الحج، وفيه: هارون أبى قزعة، وانظر شعب الإيمان للبيهقى ٣/ ٤٨٨.

ص: ١٠٧

ابن أحمد الشمار «(١)» قال: أنبأنا إبراهيم بن عبد الله، أنا المحاملي قال: ثنا محمد بن الوليد البصري، ثنا وكيع، ثنا خالد بن أبي خالد وابن عون، عن الشعبي والأسود ابن ميمون، عن هارون بن قزعة، به.

وأنبأناه عبد المؤمن أيضاً، أنبأنا أبو نصر، أنا ابن عساكر، أنا علي بن إبراهيم الحسيني، أنا رشأ بن نظيف المقرئ، أنا الحسن بن إسماعيل الفرات، ثنا أحمد بن مروان المالكي، ثنا زكريا بن عبدالرحمان البصري، ثنا محمد بن الوليد، ثنا وكيع بن الجراح، عن خالد وابن عون، عن هارون بن قزعة مولى حاطب، عن حاطب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بُعث يوم القيامة من الآمين» «(٢)».

كذا وقع في رواية أحمد بن مروان المالكي، وهو صاحب المجالسة، عن هارون، عن حاطب، والذين رووا عن رجل عن حاطب - كما تقدم - أولى بأن يكون الصواب معهم.

الحديث التاسع: «من حج حجة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى على في بيت المقدس، لم يسأله الله عزوجل فيما افترض عليه»

رواه الحافظ أبو الفتح الأزدي في الجزء الثاني من «فوائده» «(٣)»:

أخبرنا به أبو النجم شهاب بن علي المحسن قراءة عليه وأنا أسمع، بالقرافة الصغرى في سنة سبع وسبعمائه، وأبو الفتح بن إبراهيم بقراءة عليه سنة ثلاث

١- في ه: السمسار.

٢- تاريخ ابن عساكر، لاحظ مختصر ابن منظور ٢/ ٤٠٦.

٣- لاحظ لسان الميزان ٢/ ٤ ترجمه الأزدي، قال وهو الثامن من فوائده.

ص: ١٠٨

وعشرين، قال: أنا أبو محمّد عبد الوهّاب بن ظافر بن عليّ بن فتوح الأزدّي المعروف ب «ابن رواج» قال الأوّل: سماعاً، وقال الثاني: إجازة، قال: أنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن أحمد بن محمّد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفه الأصبهانيّ قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بن يوسف ببغداد، ثنا أبو إسحاق بن إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكيّ، أنا أبو الفتح محمّد بن الحسين بن أحمد الأزدّي الحافظ، ثنا النعمان بن هارون بن أبي الدلهات، ثنا أبو سهل بدر بن عبد الله المصيبيّ، ثنا الحسن بن عثمان الرماديّ «(١)»، ثنا عمّار بن محمّد، حدّثني خالي سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن عمر «(٢)» رضی الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حجّ حجّة الإسلام، وزار قبري، وغزا غزوة، وصلى على في بيت المقدس، لم يسأله الله عزوجل فيما افترض عليه».

عمار بن محمّد ابن اخت سفيان الثوري: روى له مسلم.

والحسن بن عثمان الرماديّ: قال الخطيب «(٣)»: كان أحد العلماء الأفاضل، من أهل المعرفة والثقة والأمانة، ولي قضاء الشرقية في خلافة المتوكّل، وروى عنه طلحة بن محمّد بن جعفر، وذكره غير الخطيب أيضاً، وكان صالحاً ديناً فهماً، قد عمل الكتب، كانت له معرفة بأيام الناس، وله تاريخ حسن، وكان كريماً واسعاً مفضلاً. وأبو سهل بدر بن عبد الله المصيبيّ: ما علمت من حاله شيئاً.

١- في تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٦: الزياي.

٢- هكذا ورد في الكتاب: «ابن عمر» وقال ممدوح: والصواب: ابن مسعود، كما في لسان الميزان ٢/ ٤ والقول البديع للسخاوي ص ١٣٥ وتنزيه الشريعة ٢/ ١٧٥ تبعاً لذيّل اللالئ المصنوعة للسيوطي.

أقول: وعبارة الصارم «عن عبد الله» فلاحظ.

٣- تاريخ بغداد ٧/ ٣٥٦ ترجمة الزياي.

ص: ١٠٩

والنعمان بن هارون بن أبى الدلهات: حدّث ببغداد عن جماعة كثيرين، وروى عنه محمّد بن المظفر، وعلى بن عمر السكرى، قال الخطيب: وما علمت من حاله إلّا خيراً.

وصاحب الجزء ابو الفتح محمّد بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن عبد الله بن بريده ^(١) بن النعمان الأزدي الموصلي: من أهل العلم والفضل، كان حافظاً، صنّف كتاباً فى علوم الحديث، ذكره الخطيب فى «التاريخ» ^(٢) وابن السمعاني فى «الأنساب» أثنى عليه محمّد بن جعفر بن علان، وذكره بالحفظ وحسن المعرفة بالحديث. وقال أبو النجيب الأرموى: رأيت أهل الموصل يوهنونه جدّاً، ولا يعدّونه شيئاً، وسئل البرقاني عنه فأشار إلى أنّه كان ضعيفاً، وذكر غيره كلاماً أشدّ من هذا ^(٣).

الحديث العاشر: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حيّ»

رواه أبو الفتح سعيد بن محمّد بن إسماعيل اليعقوبى فى «جزء له فيه فوائد» مشتملة على بعض شمائل سيّدنا رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم وآثاره، وما ورد فى فضل زيارته، ودرجة زوّاره. وهذا الجزء رواية المحدّث إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الأنصارى المالكي المشهور بـ «ابن الأنماطى» ونقلت من خطّه قال: أنا أبو محمّد عبد الله بن علوان بن هبة الله بن ريحان الحوطى التكريتى الصوفى

١- فى ه: يزيد.

٢- تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣ رقم ٧٢٤ والأنساب للسمعاني ١/ ١٢٠ الأزدي.

٣- لاحظ كلام البرقاني فى تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣ رقم ٧٢٤ ترجمة الأزدي.

ص: ١١٠

قراءة عليه وأنا أسمع، بالحرم الشريف على دكة الصوفية بجانب باب بنى شيبه تجاه الكعبة المعظمة زادها الله شرفاً، قال: ثنا أبو الفتوح
 «(١)» سعيد بن محمد بن إسماعيل اليعقوبى فى ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة قال: ثنا الإمام ابن السمعانى، ثنا أبو سعيد
 أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن الحافظ إملاء فى الروضة بين قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره فى الزورة الثانية، أنا أبو
 الحسين أحمد بن عبدالرحمان الذكوانى، أنا أحمد بن موسى بن مردويه الحافظ، ثنا الحسن بن محمد السوسى، ثنا أحمد بن سهل بن
 أيوب، ثنا خالد بن يزيد، ثنا عبدالله بن عمر العمري قال:

سمعت سعيد المقبري يقول: سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارنى بعد موتى
 فكأنما زارنى وأنا حي، ومن زارنى كنت له شهيداً وشفيحاً يوم القيامة».

خالد بن يزيد: إن كان هو العمري، فقد قال ابن حبان: إنه منكر الحديث «(٢)».

وأحمد بن سهل بن أيوب: أهوازي، قال الصريفي: مات بالأهواز يوم التروية سنة إحدى وتسعين ومائتين.

الحديث الحادى عشر: «من زارنى بالمدينه محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً»

وفى روايه: «من زارنى محتسباً إلى المدينه كان فى جوارى يوم القيامة».

أنبأنا الدمياطى وابن هارون وغيرهما قالوا: أنبأنا محمد بن هبة الله قال: أنا علي بن الحسن الحافظ سماعاً، أنا زاهر، أنا البيهقي، أنا أبو
 سعيد بن أبي عمرو.

١- فى ه: الفتح.

٢- كتاب المجروحين لابن حبان ١/ ٢٨٤.

ص: ١١١

(ح) قال الحافظ: وأنا أبو سعد ابن البغدادي، أنا أبو نصر محمد بن أحمد بن سيبويه «(١)» أنا أبو سعيد الصيرفي، أنا محمد بن عبد الله الصفار، ثنا ابن أبي الدنيا، حدثني سعيد بن عثمان الجرجاني، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك، أخبرني أبو المثنى سليمان بن يزيد الكعبي «(٢)»، وفي حديث زاهر: العتكى.

(ح) قال الحافظ: وأنا ابن السمرقندي، أنا ابن مسعدة، أنا حمزة، ثنا أبو بكر ابن محمد بن أحمد بن إسماعيل بجرجان، ثنا أبو عوانة موسى بن يوسف القطان، ثنا عباد بن موسى الختلي، ثنا ابن أبي فديك، عن سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس ابن مالك رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيحاً وشهيداً». وفي حديث عبادة: «كنت له شهيداً» أو «شفيحاً». وقال: «يوم القيامة» «(٣)».

وذكره ابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» «(٤)» ومن خطه نقلت بسنده إلى ابن أبي الدنيا بإسناده المذكور.

وبالإسناد إلى البيهقي: أنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا علي بن عيسى، ثنا أحمد بن عبدوس بن حمدويه الصفار النيسابوري، ثنا أيوب بن الحسن، ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي فديك بالمدينة، ثنا سليمان بن يزيد الكعبي، عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات فى أحد الحرمين بعث من الأمنين يوم

١- فى ه: شويه.

٢- فى ه: العكى.

٣- قال ممدوح: أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان ٣/ ٤٨٨، والسهمى فى تاريخ جرجان ص ٤٣٤ وابن أبي الدنيا فى القبور. وانظر المداوى لعل المناوى ٦/ ٢٣٢٥ لأحمد بن الصديق الغمارى. رفع المنارة ص ٣٢٤-٣٢٦.

٤- مثير العزم الساكن لابن الجوزى.

ص: ١١٢

القيامة، ومن زارنى محتسباً إلى المدينة كان فى جوارى يوم القيامة».

هذه الأسانيد الثلاثة دارت على محمد بن إسماعيل بن أبى فديك، و هو مجمع عليه.

وسليمان بن يزيد: ذكره ابن حبان فى الثقات «(١)»، وقال أبو حاتم الرازى: إنه منكر الحديث، ليس بقوى «(٢)».

الحديث الثاني عشر: «ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنى، فليس له عذر»

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار فى كتاب «الدرّة الثمينه فى فضائل المدينة»: أنبأنا أبو محمد بن عليّ، أنا أبو يعلى الأزديّ، أنا أبو إسحاق البجليّ، أنا سعيد بن أبى سعيد النيسابورىّ، أنبأنا إبراهيم بن محمد المؤدّب، أنا إبراهيم بن محمد، ثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن مقاتل، ثنا جعفر بن هارون، ثنا سمعان بن المهديّ، عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «من زارنى ميتاً فكأنما زارنى حياً، ومن زار قبرى وجبت له شفاعتى يوم القيامة، وما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر».

الحديث الثالث عشر: «من زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيحاً».

ذكره الحافظ أبو جعفر العقيليّ فى كتاب الضعفاء فى ترجمة «فضالة بن سعيد ابن زميل المازنى» «(٣)»، قال: ثنا سعيد بن محمد الحضرميّ، ثنا فضالة بن سعيد بن

١- الثقات لابن حبان ٣٩٥/٦.

٢- الجرح والتعديل للرازى.

٣- الضعفاء للعقيلي ٤٥٧/٣ وفيه: ان ابن زميل بلفظ: «كنت له شهيداً».

ص: ١١٣

زميل المازني، ثنا محمد بن يحيى المازني، عن ابن جرير، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيحاً».

وذكره الحافظ ابن عساكر (١) من جهته أيضاً: أنبأنا به أبو محمد الدماطي، عن ابن هبة الله بسماعه منه، أنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، أنا أبو بكر محمد بن المظفر الشامي، أنا أبو الحسن أحمد بن محمد العتيقي، أنا يعقوب بن يوسف بن أحمد الصيدلاني، ثنا أبو جعفر محمد بن عمرو العقيلي...

فذكره بإسناده، إلا أنه قال: «من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي» والباقي سواء.

ووقع في روايته أيضاً: شعيب بن محمد الحضرمي، ولعله تصحيف.

وفضاله بن سعيد: قال العقيلي في ترجمته: حديثه غير محفوظ، لا يعرف إلا به، هكذا رأته في كتاب العقيلي، وذكر الحافظ ابن عساكر عنه أنه قال: لا يتابع على حديثه من جهة ثبت، ولا يعرف إلا به.

ومحمد بن يحيى المازني: ذكره ابن عدى في «الكامل» (٢) وقال: إن أحاديثه مظلمة منكروة.

ولم يذكر ابن عدى هذا الحديث في أحاديثه، ولم يذكر فيه، ولا العقيلي في فضاله شيئاً من الجرح سوى التفرد والنعارة.

١- تاريخ دمشق لابن عساكر.

٢- الكامل لابن عدى ١/٦ ٢٢٣٨.

الحديث الرابع عشر: «من لم يزِر قبرى فقد جفانى»

قال أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر الحسينى (١) في كتاب «أخبار المدينة»: ثنا محمد بن إسماعيل، حدّثنى أبو أحمد الهمدانى، ثنا النعمان بن شبل، ثنا محمد بن الفضل - مدينى - سنة ستّ وسبعين، عن جابر، عن محمد بن علىّ، عن علىّ رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن لم يزرنى فقد جفانى». وقال الحافظ أبو عبد الله ابن النجار فى «الدرّة الثمينه» (٢): روى عن علىّ رضى الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من لم يزِر قبرى فقد جفانى».

وقال أبو سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم النيسابورى الخركوشى الواعظ فى كتاب «شرف المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم»: روى عن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال نبيّ الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبرى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى، ومن لم يزِر قبرى فقد جفانى» (٣).

وهذا الكتاب فى ثمان مجلدات، ومصنّفه عبد الملك النيسابورى، صنّف فى علوم الشريعة كتباً، توفى سنة ستّ وأربعمائة بنيسابور، وقبره بها مشهور يزار ويتبرك به، وشيخه فى الفقه أبو الحسن الماسرجسى.

وقد روى حديث علىّ رضى الله عنه من طرق اخرى ليس فيها تصريح بالرفع، ذكرها ابن عساكر (٤):

١- فى ه: المصطفى. وعلق فيها: هو يحيى بن الحسن بن جعفر الحنّيه بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام السّجاد زين العابدين، المتوفى سنة ٢٧٧ هـ الأعلام للزركلى ١٧٠ / ٩.

٢- الدرّة الثمينه لابن النجار ص ٣٩٧ ب ١٦.

٣- شرف المصطفى للخركوشى ص ٤٢١ و ٤٦٦ كما فى بعض التخرجات.

٤- تاريخ دمشق لابن عساكر، لاحظ مختصر ابن منظور ٤٠٦ / ٢.

ص: ١١٥

أنبأنا عبدالمؤمن وآخرون، عن ابن الشيرازي، أنا ابن عساكر، أنا أبو العزّ أحمد بن عبيدالله، أنا أبو محمد الجوهري، أنا عليّ بن محمد بن أحمد بن نصير بن عرفه، ثنا محمد بن إبراهيم الصلحي، ثنا منصور بن قدامة الواسطي، ثنا المضيئ بن أبي الجارود، ثنا عبدالمملك بن هارون بن عنتره، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ ابن أبي طالب قال: «من سأل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدرجة الوسيلة حلّت له شفاعتي يوم القيامة، ومن زار قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم». عبدالمملك بن هارون بن عنتره: فيه كلام كثير، رماه يحيى بن معين وابن حبان، وقال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: ضعيف الحديث.

الحديث الخامس عشر: من أتى المدينة زائراً...».

قال يحيى الحسيني في «أخبار المدينة» في باب ما جاء في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي السلام عليه: ثنا محمد بن يعقوب، ثنا عبد الله بن وهب، عن رجل، عن بكر ابن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أتى المدينة زائراً لى وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً» (١). وقد وردت أحاديث اخر في ذلك فيها: «من لم يمكنه زيارتي فليزر قبر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام». وسأذكر ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام عن زيارة سائر الأنبياء والصالحين (٢).

١- لاحظ وفاء الوفاء للسمهودي ١٣٤٨ / ٤ والدرّة الثمينه ص ٣٩٧ ورفع المنارة للممدوح المحمود ص ٣٢٧ - ٣٢٩.

٢- لاحظ ما يلي ٥- ١٩٦ و لاحظ الباب التاسع.

ص: ١١٦

صفحة سفيد

ص: ١١٧

الباب الثاني: في ما ورد من الأخبار والأحداث دالاً على فضل الزيارة و إن لم يكن فيه لفظ «الزيارة»

إشارة

ص: ١١٨

صفحة سفيد

ص: ١١٩

رَوَيْنَا فِي «سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ السَّجِسْتَانِيِّ» (١) عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَسْلَمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ» (٢).

١- سنن أبي داود السجستاني ٢/ ٢١٨ ح ٢٠٤١ كتاب المناسك، باب زيارة القبور.

٢- قال ابن حجر في تلخيص الحبير ٧/ ٤١٨ في أحاديث الزيارة: وأصح ما ورد في ذلك ما رواه أحمد وأبو داود من طريق أبي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن أبي هريرة مرفوعاً «ما من أحد يسلم ...» الحديث وبهذا الحديث صدر البيهقي الباب. وقال في الصارم المنكي ص ١٨٩: روى الإمام أحمد حديث أبي هريرة هذا في مسنده ٢/ ٥٢٧] وانظر تحفة الاشراف ١٠/ ٤٢١ مع النكت الظراف لابن حجر].

وقال ابن عبد الهادي: اعلم ان هذا الحديث هو الذي اعتمد عليه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما من الأئمة في مسألة الزيارة، وهو أجود ما استدلل به في هذا الباب، ومع هذا فلا يسلم من مقال في إسناده: من جهة تفرد ابن صخر عن ابن قسيط عن أبي هريرة، ولم يتابع ابن قسيط.

أقول: وتعت ابن عبد الهادي هنا واضح، إذ يُظهر أن الحديث بحاجة إلى متابعه حتى يسلم عن مقاله فيه! وهو خطأ فادح لم ينطق به متعلم في الحديث فضلاً عن عالم به.

ثم نقل كلمات أهل الجرح في رواة الخبر، وقال: أنه لا يُنتهى به إلى درجة الصحيح بالرغم من اعترافه بأنهم من رجال صحيح مسلم، لكنّه اعترض «أنه لم يرو عنهم عن أبي هريرة» ثم قال ص ١٩٧ فعلم ان الحديث لا- ينبغي أن يقال: هو على شرط مسلم، وإنما هو حديث إسناده مقارب، وهو صالح أن يكون متابعاً لغيره وعاضداً له.

ثم ذكر ص ١٩٧ النزاع في دلالة الحديث: من جهة احتمال لفظه فان قوله «ما من أحد يسلم عليّ» يحتمل أن يكون المراد به عند قبره كما فهمه جماعة من الأئمة، ويحتمل أن يكون معناه على العموم، وأنه لا فرق في ذلك بين القريب والبعيد، وهذا هو ظاهر الحديث، وهو الموافق للأحاديث المشهورة....

أقول: أولاً: إن فهم الأئمة وهم أئمة الناس بالحديث هو الحجة، وموجب لصرف الظاهر- إن ثبت- كما فعل أبو داود حيث ترجم للباب بزيارة القبور وأورد الحديث المذكور فيه في السنن.

وثانياً: العموم يشمل القريب أيضاً فيكون دليلاً على مشروعية قصد السلام عليه بالسفر للزيارة، وهو كافٍ في دحض مقالة السلفيّة، والأحاديث المشهورة كلّها عاضدة لهذا الحكم ودليل على صحّة قصد المسلم حضرته الشريفة، فلماذا تخالفون سنته بالمنع عن ذلك؟ وكتب السيد

ص: ١٢٠

أنا بذلك وبجميع «سنن أبي داود» شيخنا الحافظ أبو محمّد الدمياطي بقراءة على لبعضها، وقراءةً عليه وأنا أسمع لباقيها قال: أنا بجميعها أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسن البغدادي قراءةً عليه وأنا أسمع، عن أبي المعالي الفضل بن سهل بن بشر الأسفراييني، عن الخطيب أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ.

قال شيخنا: وأنا أيضاً أبو الحسن، عن الحافظ أبي الفضل محمّد بن ناصر بن محمّد بن علي الفارسي الأصل السلامي، وقال: أخبر الشيخان أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عمر بن السمرقندي المقرئ، والعدل الفقيه أبو الحسين محمّد بن محمّد بن الحسين بن محمّد الفراء الحنبلّي قالاً: أنا الخطيب - وفات ابن السمرقندي الجزء السابع والعشرين، فرواه عن الخطيب بالإجازة -.

ص: ١٢١

قال ابن ناصر: وقرأت هذا الكتاب مراراً على الشيخ الصالح؛ أبي غالب محمد بن الحسن بن عليّ البصريّ الماورديّ. قالوا: أنا أبو عليّ بن أحمد بن عليّ التستريّ قال: أنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، أنا أبو عليّ محمد بن أحمد بن عمرو اللؤلؤي، ثنا أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستانيّ قال: ثنا محمد بن عوف، ثنا المقرئ، ثنا حيوة، عن أبيصخر حميد بن زياد، عن يزيد بن عبدالله بن قسيط، عن أبي هريرة... فذكره بلفظه.

وهذا إسناد صحيح؛ فإنّ محمد بن عوف - شيخ أبي داود - جليل حافظ لا يسأل عنه، وقد رواه معه عن المقرئ عتّاس بن عبدالله الترقفيّ، رواه من جهته أبو بكر البيهقيّ «(١)».

والمقرئ، وحيوة، ويزيد بن عبدالله بن قسيط: متفق عليهم.

وحميد بن زياد: روى له مسلم، وقال أحمد: ليس به بأس، وكذلك قال أبو حاتم، وقال يحيى بن معين: ثقة ليس به بأس. وروى عن ابن معين فيه رواية: أنه ضعيف.

ورواية التوثيق ترجح عليها؛ لموافقها أحمد، وأبا حاتم، وغيرهما.

وقال ابن عدى: هو عند صالح الحديث، وإنما أنكرت عليه حديثين: «المؤمن يألف» وفي القدرية، وسائر حديثه أرجو أن يكون مستقيماً «(٢)».

وأما قول الشيخ زكيّ الدين فيه: إنّه أنكر عليه شيئاً من حديثه، فقد بينا عن ابن عدىّ تعيين ما أنكر عليه، وليس منه هذا الحديث، وبمقتضى هذا يكون هذا

١- السنن الكبرى للبيهقي ٥/ ٢٤٥ كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله.

٢- الكامل لابن عدى ٢/ ٦٨٤ ترجمة حميد بن زياد، والجرح والتعديل للرازي ٣/ ٢٢٢.

ص: ١٢٢

الحديث صحيحاً إن شاء الله تعالى.

وقد اعتمد جماعة من الأئمة على هذا الحديث في مسألة الزيارة، وصدر به أبو بكر البيهقي «باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، وهو اعتماد صحيح، واستدلال مستقيم؛ لأن الزائر المسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحصل له فضيلة رد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم السلام عليه، وهي رتبة شريفة، ومنقبة عظيمة، ينبغي التعرض لها، والحرص عليها؛ لينال بركة سلامه صلى الله عليه وآله وسلم عليه وآله وسلم.

فإن قيل: ليس في الحديث تخصيص بالزائر، فقد يكون هذا حاصلًا لكل مسلم؛ قريباً كان أو بعيداً، وحينئذٍ تحصل هذه الفضيلة بالسلام من غير زيارة، والحديث عام.

قلت: قد ذكره ابن قدامة من رواية أحمد (١)، ولفظه: «ما من أحد يسلم على عند قبري» وهذه زيادة مقتضاها التخصيص. فإن ثبت فذاك، وإن لم يثبت فلا شك أن القريب من القبر يحصل له ذلك؛ لأنه في منزلة المسلم بالتحية التي تستدعي الرد، كما في حال الحياة، فهو بحضوره عند القبر قاطع بنيل هذه الدرجة على مقتضى الحديث، متعرض لخطاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم له برد السلام عليه، وفي المواجهة بالخطاب فضيلة زائدة على الرد على الغائب.

أنواع السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

واعلم: أن السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم على نوعين:

أحدهما: المقصود به الدعاء (٢)، كقولنا: «صلى الله عليه وسلم» فهذا دعاء مثنى

١- المغني لابن قدامة ٣/ ٥٨٨.

٢- سيذكر المؤلف في خاتمة هذا الكتاب ألفاظ «الصلاة» على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الواردة في النصوص الحديثية، فراجع.

ص: ١٢٣

له بالصلاة والتسليم من الله تعالى، ويقال للعبد: «مسلم» لدعائه بالسلام، كما يقال له: «مصل» إذا دعا بالصلاة: قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [الآية (٥٦) سورة الأحزاب (٣٣)].

وسئل صلى الله عليه وآله وسلم - كما ثبت في الصحيحين «(١)» وغيرهما - قيل: قد عرفنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد، والسلام كما قد علمتم».

قال العلماء: معناه كما قد علمتم في التشهد «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

وقد يأتي هذا القسم بلفظ الغيبة، كما روى عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورضي عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا دخلت المسجد فقول: بسم الله، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا، وسهل لنا أبواب رحمتك، فإذا فرغت فقول مثل ذلك غير أن قولي: وسهل لنا أبواب فضلك».

رواه القاضي إسماعيل بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه في سننه «(٢)» عن فاطمة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل المسجد يقول: «بسم الله،

١- صحيح البخارى ٤٨٩ / ٦ باب ٤٥٢ كتاب التفسير، ذيل الآية وصحيح مسلم ١٦ / ٢ باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد التشهد.

٢- سنن ابن ماجه ٢٥٣ / ١ كتاب المساجد والجماعات، باب ١٣ الدعاء عند دخول المسجد.

ص: ١٢٤

والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك» وإذ أخرج قال: «بسم الله، والسلام على رسول الله، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك».

والإسناد إلى فاطمة رضي الله عنها عن الطريقتين فيه انقطاع.

والمختار أن يقول في ذلك أيضاً: السلام عليك أيها النبي، كما في الشاهد.

والمقصود من هذه الأحاديث: بيان هذا النوع من السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ الخطاب والغيبة جميعاً، ولا فرق في ذلك بين الغائب عنه، والحاضر عنده صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا النوع هو الذي قيل باختصاصه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الأمة؛ حتى لا يسلم على غيره من الأمة إلتباعاً له، كما لا يصلى على غيره من الأمة إلتباعاً له.

النوع الثاني: ما يقصد به التحيّة، كسلام الزائر إذا وصل إلى حضرته الشريفه عليه صلى الله عليه وآله وسلم في حياته وبعد وفاته.

وهذا غير مختص، بل هو عام لجميع المسلمين، ولهذا كان عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يأتي إلى القبر ويقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، وورد عنه بلفظ الخطاب ولفظ الغيبة.

إذا عرف هذان النوعان، فالنوع الثاني لا شك في استدعائه الرد، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يردّ على المسلم عليه، كما اقتضاه الحديث؛ سواء أوصل بنفسه إلى القبر، أم أرسل رسولاً؟ كما كان عمر بن عبدالعزيز يرسل البريد من الشام إلى المدينة ليسلم له على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ففي هذين القسمين من هذا النوع يحصل الرد من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كما هو عادة الناس في السلام.

وأما النوع الأوّل فالله أعلم، فإن ثبت الرد فيه أيضاً - وحبذا، لتشملنا بركة

ص: ١٢٥

ذلك كلما سلمنا- فلا شك أن الحاضر عند القبر له مزية القرب والخطاب، وإن كان الرد مختصاً بالنوع الثانى حرم من لم يزر هذه الفضيلة، لا حرم الله مؤمناً خيراً.

وقد روى عن هصلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أتانى ملك فقال: يا محمد، ربك يقول: أما يرضيك أن لا يصلّى عليك أحد من امتك إلا صلّيت عليه عشراً، ولا يسلم عليك إلا سلمت عليه عشراً»، رواه القاضى إسماعيل. والظاهر أن هذا فى السلام بالنوع الأوّل.

وقد ورد تفسير هذا الحديث عن الإمام الجليل؛ أبى عبدالرحمان عبد الله بن يزيد المقرئ، بما يوافق النوع الثانى: أخبرنا بذلك سليمان بن حمزة قاضى القضاء الحنبلى بالشام بقراءتى عليه بسفح جبل قاسيون، أخبرنا جعفر الهمدانى، أخبرنا السلفى، أخبرنا الشراح، أخبرنا أبو محمّد الحسن بن محمّد الخلال الحافظ، حدثنا عبد الله بن محمّد بن الحسن بن محمّد الشراحيّ قدم علينا قال: سمعت أبا عبد الله أحمد بن خالد الجرورىّ قال: سمعت أبا عبد الله محمّد بن زيد يقول: سمعت المقرئ عبد الله بن يزيد يقول فى قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أحد يسلم على إلّارّد الله علىّ روحى حتى أردّ عليه السلام» وقال: هذا فى الزيارة إذا زارنى فسلم علىّ «حتى ردّ الله علىّ روحى حتى أردّ عليه»

فصل: فى علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمن يسلم عليه

روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن لله ملائكةً سياحين فى الأرض؛ يبلغونى من امتى السلام».

رواه النسائى (١) وإسماعيل القاضى وغيرهما من طرق مختلفة بأسانيد صحيحة

ص: ١٢٦

لا- ريب فيها إلى سفيان الثورىؑ، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله، وصرح الثورىؑ بالسمع فقال: حدثنى عبد الله بن السائب، هكذا فى كتاب القاضى إسماعيل «(١)».

وعبد الله بن السائب وزاذان: روى لهما مسلم، ووثقهما ابن معين، فالإسناد إذن صحيح.

ورواه أبو جعفر محمد بن الحسن الأسدىؑ، عن سفيان الثورىؑ، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عليؑ رضى الله عنه، عن النبيؑ صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إن لله ملائكة يسبحون فى الأرض؛ يبلغون صلاة من صلى على من أمتى».

قال الدارقطنىؑ «(٢)»: المحفوظ عن زاذان، عن ابن مسعود: «يلغونى عن أمتى السلام».

وقال بكر بن عبد الله المزنى: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «حياتى خير لكم؛ تحدثون، ويحدث لكم، فإذا متت كانت وفاتى خيراً لكم؛ تعرض على أعمالكم، فإن رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم» «(٣)».

١- كتاب فضل الصلاة على النبىؑ صلى الله عليه و آله و سلم، للقاضى إسماعيل.

٢- سنن الدارقطنى.

نقله فى مجمع الزوائد ٢٤ / ٩ عن البزار، قال فى الصارم ٢٠٢: رواه أحمد فى مسنده، ورواه أبو يعلى الموصلى ورواه ابن عاصم ورواه الحاكم فى المستدرک ٢ / ٢١١ وحكم له بالصحة، ورواه أبو حاتم اليسى ١٣٤ / ٢ فى كتاب الأنواع والتقسيم عن أبى يعلى وقد سئل الدارقطنى فى كتاب العلل عنه؟ فقال

وعلق عليه: رواه فى الكبرى كما فى تحفة الأطراف ٧ / ٢١ وفى عمل اليوم والليله رقم ٦٦ قال الهيمى فى مجمع الزوائد ٢٤ / ٩: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، وفى فيض القدير ٢ / ... قال الحافظ العراقى: الحديث متفق عليه دون قوله «سيأحين».

٣- قال فى الصارم ص ٢٠٣ هذا خبر مرسل رواه القاضى إسماعيل بن إسحاق فى كتاب فضل الصلاة على النبىؑ صلى الله عليه و آله و سلم ص ٣٦ رقم ٢٥ عن سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن غالب القطان عن بكر بن عبد الله، وهذا إسناد صحيح إلى بكر المزنى، وبكر من ثقات التابعين وأئمتهم.

ص: ١٢٧

قال أيوب السخيتاني: بلغنى - والله أعلم - أن ملكاً موكل بكل منصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يبلغه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وفى كتاب «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم» للقاضي إسماعيل، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علىّ وسلّموا حيث كنتم، فسيلغنى سلامكم وصلاتكم».

وهذا الحديث فى «سنن أبى داود» (١) من غير ذكر السلام، وفى هذه الرواية زيادة: «السلام».

وروى ابن عساكر (٢) من طرق مختلفة عن نعيم بن ضمضم العامري [عن عمران] بن حميرى الجعفي قال: سمعت عمّار بن ياسر

رضى الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله أعطانى ملكاً من الملائكة يقوم على قبرى إذا أنا متّ، فلا

يصلّى علىّ عبد صلاة إلّا قال: يا أحمد، فلان بن فلان بن فلان يصلّى عليك، يسميه باسمه واسم أبيه، فيصلّى الله عليه مكانها عشراً».

وفى روايته: «إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسماء الخلائق» - وفى روايته:

«أسماع الخلائق» - «فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة...» وذكر الحديث.

وعن ابن عيّاس رضى الله عنهما قال: ليس أحد من أمية محمد صلى الله عليه وآله وسلم يصلّى عليه صلاة إلّا وهى تبلغه؛ يقول له

الملك: فلان بن فلان يصلّى عليك كذا

١- سنن أبى داود ٢/ ٢١٨ ح ٢٠٤٢ كتاب المناسك زيارة القبور، وزاد: ولا تجعلوا قبرى عبداً، ورواه القاضي فى فضل الصلاة ص

ص: ١٢٨

وكذا صلاة (١)».

وما تضمنته هذه الأحاديث والآثار من تبليغ الملائكة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، تبين ما ورد من كون الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم تعرض عليه، كما جاء ذلك فى أحاديث:

منها فى «سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه» (٢) عن أوس بن أوس رضى الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإنصلاتكم معروضة على». قال: فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرضصلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال يقولون: بليت-.

١- وروى المتعصب العنيد ابن عبد الهادى فى الصارم المنكى ص ٢٠٦ قال: وقال عيسى بن على الوزير: قرئ على القاضى أبى القاسم بدر بن الهيثم- وأنا أسمع- قيل له: حدثكم عمرو بن النصر العزال، حدثنا عصمة بن عبد الله الأسدى، حدثنا نعيم بن ضمضم، عن عمران بن الحميرى، قال: قال لى عمّار بن ياسر- وأنا وهو مُقبِلان، ما بين الحيرة والكوفة-: يا عمران بن الحميرى، ألا اخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: قلت: بلى، فأخبرنى! قال: إن الله أعطى ملكاً من الملائكة أسمع الخلاق، فهو قائم على قبرى إلى يوم القيامة، لا يصلّى على أحد صلاةً إلّاسمّه باسمه واسم أبيه... الحديث.

وقال عثمان بن خُزّاز: حدّثنى سعيد بن محمد الجرمى، حدّثنا على بن القاسم الكندى عن نعيم بن ضمضم، عن عمران بن حميرى، قال: قال لى عمّار بن ياسر: ألا احّدثك عن حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمّار، ان الله عزّوجلّ أعطى ملكاً أسمع الخلاق... الحديث بنحوه.

وقد روى هذا الحديث أيضاً محمد بن هارون الرويانى فى مسنده عن أبى كريب عن قبيصة عن نعيم، وهو حديث غريب! تفرد به نعيم عن عمران بن حصين، والله أعلم!!.

٢- سنن أبى داود ٢٣٦ / ١ باب فضل الجمعة وليلة الجمعة ح ١٠٤٧ و ٣٤٢ / ١ ح ١٥٣١ باب فى الاستغفار، وسنن النسائى ٣ / ٩١، وسنن ابن ماجه ١ / ٣٤٥ كتاب إقامة الصلاة باب ٧٩ فى فضل الجمعة ح ١٠٨٥ وفيه: شدّاد عن أوس، وذكره فى الجنائز كما سيأتى.

ص: ١٢٩

قال: «إنَّ اللهَ حَرَّمَ على الأَرْضِ أجساد الأنبياء» (١).

قال الشيخ الحافظ زكّي الدين المنذري رحمه الله: وله علمه دقيقه أشار إليها البخاري وغيره، وقد جمعت طرقه في «جزء الحديث المذكور» من رواية حسين الجعفي، عن عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، عن أبي الأشعث الصنعاني، عن أوس ابن أوس، وهؤلاء ثقات مشهورون، وعلته أن حسين بن علي الجعفي لم يسمع من عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، وإنما سمع من عبدالرحمان بن يزيد بن تميم، وهو ضعيف، فلما حدث به الجعفي غلط في اسم الجد فقال: ابن جابر.

قلت: وقد رواه أحمد في مسنده «(٢)» عن حسين الجعفي، عن عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، هكذا بالنعنة، وروى حديثين آخرين بعد ذلك قال فيهما: حسين، ثنا عبدالرحمان بن يزيد بن جابر، وذلك لا ينافي الغلط إنصح أنه لم يسمع منه.

وروى ابن ماجه الحديث المذكور من طريق آخر ذكره في آخر كتاب الجنائز «(٣)»، وفي متنه زيادة.

أنا أقضى القضاء أبو بكر محمد بن عبدالعظيم بن علي الشافعي المعروف ب «ابن السقطي» بقراءتي عليه، بجميع «سنن ابن ماجه» قال: أنا أبو بكر عبدالعزيز بن أحمد بن أبي الفتح بن ياقا، إجازة، قال: أنا أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي سماعاً، إلأما عين في الكتاب بإجازته من أبي زرعة، وهذا الحديث من

١- أخرجه في الصارم المنكي ص ٢١٢ عن القاضي إسماعيل في فضل الصلاة ص ٣٥ رقم ٢٢ و ٢٣.

٢- مسند أحمد ٨ / ٤ وانظر سنن الدارمي ١ / ٣٦٩ باب في فضل الجمعة، والسنن الكبرى للبيهقي ٣ / ٢٤٨ باب ما يؤثر به في ليلة الجمعة ويومها من كثرة الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- سنن ابن ماجه ١ / ٥٢٤ ح ٨٦٣٦ باب ٦٥، وانظر المستدرک على الصحيحين للحاكم ١ / ٢٧٨ و ٤ / ٥٦٠، ولاحظ كنز العمال ٧ / ٧٠٨ ح ٢١٠٣٧.

ص: ١٣٠

المسموع، قال: أنا أبو منصور محمّد بن الحسين بن أحمد بن الهيثم المقومى، إجازة إن لم يكن سماعاً- ثم ظهر سماعه منه- أنا أبو طلحة القاسم بن أبى المنذر الخطيب، أنا أبو القاسم على بن إبراهيم بن سلمة بن بحر القطان، ثنا أبو عبد الله محمّد بن يزيد ابن ماجه، ثنا عمرو بن سواد المصرى، ثنا عبد الله بن وهب، عن عمرو بن الحارث (١)، عن سعيد بن أبى هلال، عن زيد بن أيمن، عن عبادة بن نسي، عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «أكثرُوا الصلاة على يوم الجمعة؛ فإنه مشهود تشهد الملائكة، وإنّ أحداً لن يصلى على إلأعرضت عليصلاته حتى يفرغ منها».

قال قلت: وبعد الموت؟

قال: «وبعد الموت، إنّ الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام، فنبى الله حتى يرزق».

هذا لفظ ابن ماجه، وفيه زيادة قوله: «حين يفرغ منها» (٢) وفى الأصل:

«حتى» التى هى حرف غاية، وعليه تضبيب، وفى الحاشية: «حين» التى هى ظرف زمان.

فإن كانت هى الثابتة استفيد منها أنّ وقت عرضها على النبي صلى الله عليه و آله و سلم حين الفراغ من غير تأخير.

وإن كان الثابت «حتى» كما فى الأصل دلّ على عرضها عليه صلى الله عليه و آله و سلم وقت قوله، فيدلّ على عدم التأخير أيضاً.

وفيه زيادة أيضاً، وهى قوله: «وبعد الموت» بحرف العطف، وذلك يقتضى أنّ

١- فى الأصل: «عمرو بن أبى الحرب» كذا فى الهنديّة، وفى نسخة: الحرث.

٢- سنن ابن ماجه ١/ ٥٢٤ ح ١٦٣٧ ب ٦٥ كتاب الجنائز.

ص: ١٣١

عرضها عليه صلى الله عليه وآله وسلم فى حالتى الحياة والموت جميعاً.
وفى إسناد الحديث المذكور: «زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي» مرسل، إلا أنه يتقوى باعتضاده بغيره.
وقد رويانا من جهة القاضى إسماعيل عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مرسلًا قال:
«أكثرُوا عليّ الصلاة يوم الجمعة، فإنها تعرض عليّ».

وروى الإمام أبو بكر أحمد بن محمد بن إسحاق ابن السنن فى كتاب «عمل يوم وليلة» عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثرُوا الصلاة عليّ يوم الجمعة» (١).
وأبنا عبدالمؤمن وآخرون، أبنا ابن الشيرازى، أنا ابن عساكر، أنا أبو الحسين، أنا جدى أبو بكر البيهقى، أنا عليّ بن أحمد الكاتب، ثنا أحمد بن عبيد، ثنا الحسين بن سعيد، ثنا إبراهيم بن الحجاج، ثنا حماد بن سلمة، عن برد بن سنان، عن مكحول الشامى، عن أبى امامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثرُوا عليّ من الصلاة فى كل يوم جمعة، فإن الصلاة امتى تُعرض عليّ فى كل يوم جمعة؛ فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم منى منزلة».
وهذا إسناد جيد.

وعن حصين بن عبدالرحمان، عن يزيد الرقاشى قال: إن ملكاً موكل يوم الجمعة بمنصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، يبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إن فلاناً من امتكصلى عليك.
وعن أبى طلحة رضى الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتانى جبرئيل صلى الله عليه وآله وسلم قال: بشر امتك؛ منصلى عليك صلاة واحدة كتب الله له بها عشر حسنات، وكفر عنه بها عشر سيئات، ورفع له بها عشر درجات، ورد الله عليه مثل قوله، وعرضت

ص: ١٣٢

علّى يوم القيامة».

رواه ابن عساكر (١).

ولا تنافى بين هذه الأحاديث، فقد يكون العرض عليه مَرَات: وقت الصلاة، ويوم الجمعة، ويوم القيامة.

وحدِيث أَبِي هَرِيرَةَ، وحدِيث ابن مسعود مَصْرَحَان: بَأَنَّهُ يَبْلُغُهُ سَلَام كُلِّ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَهَمَا صَحِيحَانِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وحدِيث أَوْس بن أَوْس وَمَا فِي مَعْنَاهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَوْتَ غَيْرَ مَانِعٍ مِنْ ذَلِكَ.

وَكَانَ مَقْصُودَنَا بِجَمْعِ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانِ الْعَرْضِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَّ مَرَادَهُ التَّبْلِيغَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِهَاصِلِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَ

آلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا تَضَمَّنَهُ حَدِيثُ أَبِي هَرِيرَةَ، وَحَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَهَذَا فِي حَقِّ الْغَائِبِ بِلَا إِشْكَالٍ.

سماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمصلى عليه عند قبره

وَأَمَّا فِي حَقِّ الْحَاضِرِ عِنْدَ الْقَبْرِ، فَهَلْ يَكُونُ كَذَلِكَ، أَوْ يَسْمَعُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بغير واسطة؟

ورد في ذلك حديثان:

أحدهما: «منصلي عليّ عند قبري سمعته، ومنصلي عليّ نائياً بُلُغْتُهُ».

وفي رواية: «نائياً منه أبلغت». وفي رواية: «نائياً من قبري».

وفي رواية: «عن قبري».

والحدِيث الثَّانِي: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسَلِّمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا وَكَلَّ بِهَا مَلَكٌ لِيَبْلُغَنِي، وَكَفَى أَمْرَ آخِرَتِهِ وَدُنْيَاهُ، وَكَانَتْ لَهُ شَهِيداً وَشَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفي رواية: «منصلي عليّ عند قبري وكلّ الله بها ملكاً يبلغني، وكفى أمر

ص: ١٣٣

دنياه وآخرته، وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

وفى روايته: «ما من عبد صلى عليّ عند قبري إلّا وُكِّلَ الله به» وفيها: «شفيعاً وشهيداً».

وهذان الحديثان كلاهما من رواية محمد بن مروان السُّدِّي الصغير، وهو ضعيف، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله

عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

أما الحديث الأول الذي فيه: «منصلي عليّ عند قبري سمعته».

فرواه أحمد بن عليّ الحبرانيّ، ويوسف بن الضحّاك الفقيه، ومحمد بن عثمان ابن أبي شيبة، وأحمد بن إبراهيم بن ملحان، وعيسى

بن عبد الله الطيالسيّ، وليث ابن نصر الصاعانيّ، والحسن (١) بن عمر بن إبراهيم الثقفيّ، كلّهم عن العلاء بن عمرو الحنفيّ، عن

محمد بن مروان السُّدِّي بالسند المذكور.

وفى رواية عيسى الطيالسيّ: ثنا العلاء بن عمرو الحنفيّ، ثنا أبو عبد الرحمان عن الأعمش.

قال ابن عساكر: قال لنا أبو الحسن سبط البيهقيّ: قال لنا جدّي أبو بكر: أبو عبد الرحمان هذا هو محمد بن مروان السُّدِّي فيما أرى،

وفيه نظر.

القاتل: «وفيه نظر» هو البيهقيّ، كذا رأيت في جزء «حياة الأنبياء» من تصنيفه.

وأما الحديث الثاني:

فرواه محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعيّ، وأبو الحسين أحمد بن عثمان الآدميّ، وأبو عبد الله الصّفّار، ومحمد بن عمر بن حفص

النيسابوريّ، كلّهم عن محمد بن يونس بن موسى الكنديّ - وفي بعض هذا عن محمد بن موسى؛ نسبةً إلى جدّه - عن الأصمعيّ

عبد الملك بن قريب، عن محمد بن مروان السُّدِّي، عن

ص: ١٣٤

الأعمش بالسند الأول.

وهذا الحديث أضعف من الأول؛ لأنه انضم فيه ضعف الكديمي إلى ضعف السدي، والأول ليس فيه إلا ضعف السدي خاصة. فإن ثبت ذلك فكفى بها شرفاً، وإن لم يثبت فهو مرجو، فينبغي الحرص عليه، والتعرض لإسماعه صلى الله عليه وآله وسلم وذلك بالحضور عند قبره، والقرب منه.

وسنذكر «(١)» في الأحاديث والآثار والأدلة ما يدل على أنه صلى الله عليه وآله وسلم يسمع من يسلم عليه عند قبره، ويرد عليه عالمياً بحضوره عنده، وكفى بهذا فضلاً حقيقاً أن ينفق فيه ملك الدنيا حتى يتوصل إليه من أقطار الأرض.

وسنفرده باباً «(٢)» لحياة الأنبياء: بعد تمام المقصود من إقامة الدلائل على الزيارة، وبإثبات الحياة تتأكد الزيارة، ولكني رأيت ذكره بعد، لئلا يجادل فيه جدل متطرق به إلى المجادلة في الزيارة.

عن سليمان بن سحيم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقلت: يا رسول الله، هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك، أتعلم سلامهم؟

قال: «نعم، وأرد عليهم».

وعن إبراهيم بن بشار قال: حججت في بعض السنين، فجئت المدينة، فتقدمت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلمت عليه، فسمعت من داخل الحجرة:

«وعليك السلام».

فإن قيل: ما معنى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إلا رد الله عليّ روحى؟».

قلت: فيه جوابان:

١- سيذكره في ص ١٣٢.

٢- سيفرد له الباب التاسع.

ص: ١٣٥

أحدهما: ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي «(١)»؛ أن المعنى إلقاء روحه على روحه؛ يعني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما مات ودفن ردد الله عليه روحه؛ لأجل سلام من يسلم عليه، واستمرت في جسده صلى الله عليه وآله وسلم. والثاني: يحتمل أن يكون رداً معنوياً، وأن تكون روحه الشريفة مشغلة بشهود الحضرة الإلهية والملائكة الأعلی من هذا العالم، فإذا سلم عليه أقبلت روحه الشريفة على هذا العالم، فيدرك سلام من يسلم عليه، ويرد عليه.

١- قال في الصارم ص ٢٢٢: ذكره البيهقي في الجزء الذي جمعه في حياة الأنبياء عليهم السلام بعدد دفنهم. ثم قال ص ٢٢٥: وهذا التأويل المنقول عن البيهقي في هذا الحديث قد تلقاه عنه جماعة من المتأخرين، والتزموا لأجل اعتقادهم له، أموراً ظاهرة البطلان. أقول: ومن شد عن فهم الناس والتزامهم، فهو في النار!

ص: ١٣٦

صفحة سفيد

ص: ١٣٧

الباب الثالث: في ما ورد في السفر إلى زیارتھصلى الله عليه و آله و سلم صريحا و بيان أن ذلك لم يزل قديماً و حديثاً

إشارة

ص: ١٣٩

وممن روى ذلك عنه من الصحابة؛ بلال بن رباح مؤذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سافر من الشام إلى المدينة لزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم.

روينا ذلك بإسناد جيد إليه، وهو نص في الباب، وممن ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر رحمه الله بالإسناد الذى سند كره. وذكره الحافظ أبو محمد عبد الغنى المقدسى رحمه الله فى «الكامل» فى ترجمه بلال فقال: ولم يؤذن لأحد بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما روى إلامره واحدة فى قدمه قدمها المدينة لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم طلب إليه الصحابة ذلك، فأذن ولم يتم الأذان.

وقيل: إنه أذن لأبى بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته، وممن ذكر ذلك أيضاً الحافظ أبو الحجاج المزى أبقاه الله. وها أنا أذكر إسناد ابن عساكر فى ذلك «(١)»، أنبأنا عبد المؤمن بن خلف، وعلى ابن محمد بن هارون وغيرهما قالوا: أنا القاضى أبو نصر بن هبة الله بن محمد بن

١- تاريخ ابن عساكر لاحظ مختصر ابن منظور ١١٧/٤ وتهذيب تاريخ دمشق لبدران ٢/٢٥٩ ترجمه إبراهيم بن محمد بن سليمان.

ص: ١٤٠

ميميل الشيرازي، إذنا، أنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن (١) بن هبة الله بن عساكر الدمشقي قراءة عليه وأنا أسمع قال: أنا أبو القاسم زاهر بن طاهر قال: أنا أبو سعيد محمد بن عبدالرحمان قال: أنا أبو أحمد محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الفيض الغساني بدمشق قال: ثنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سليمان ابن بلال بن أبي الدرداء، حدثني أبي محمد بن سليمان، عن أبيه سليمان بن بلال، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: لما دخل (٢) عمر بن الخطاب رضي الله عنه من فتح بيت المقدس، فصار إلى الجابية، سأل بلال أن يقره بالشام، ففعل ذلك، قال: وأخي أبو رويحة الذي آخى بيني وبينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فنزل دارياً في حوّلان، فأقبل هو وأخوه إلى قوم من حوّلان فقال لهم: قد أتيناكم خاطبين، وقد كنا كافرين فهدانا الله، ومملوكين فأعتقنا الله، وفقيرين فأغنانا الله، فان تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فلا حول ولا قوة إلا بالله! فزوجوهما. ثم إن بلالاً رأى في منامه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول له: «ما هذه الجفوة يا بلال؟! أما آن لك أن تزورني يا بلال!».

فانتبه حزينا وجلا خائفاً، فركب راحلته وقصد المدينة، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يبكي عنده، ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما فجعل يضمهما ويقبلهما. فقال له: نشتهى نسمع أذانك الذي كنت تؤذن به لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المسجد، ففعل، فعلا سطح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه. فلما أن قال: الله أكبر، الله أكبر، ارتجت المدينة.

١- في المصرية: الحسين.

٢- راجع تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/ ٢٥٩.

ص: ١٤١

فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، ازداد رجتها.

فلما أن قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرجت العواتق من خدورهنّ، وقالوا: أبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فما رئي يوم أكثر باكياً ولا باكية بالمدينة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك اليوم.

كذا ذكره ابن عساكر في ترجمه بلال رضي الله عنه [\(١\)](#).

وذكره أيضاً في ترجمه إبراهيم بسند آخر إلى محمّد بن الفيض: أنبأنا جماعة عن ابن عساكر قال: أنبأنا أبو محمّد ابن الأكفاني، ثنا عبدالعزیز بن أحمد، ثنا تمام بن محمّد، ثنا محمّد بن سليمان، ثنا محمّد بن الفيض فذكره سواء، إلا أنه سقط منه «من فتح بيت المقدس»، وقال: أخى بينه وبينى، ولم يقل «خاطبين» [\(٢\)](#).

أبو رويحه: اسمه عبدالله بن عبدالرحمان الخثعمي، وفي «الطبقات»: أن مؤاخاته لبلال لم يثبتها محمّد بن عمر، وأثبتها ابن إسحاق وغيره، واختار أنس أن يجعل ديوانه معه، فضمه عمر إليه، وضم ديوان الحبشه إلى خثعم؛ لمكان بلال منهم.

وسليمان بن بلال بن أبي الدرداء: روى عن جدّه وأبيه بلال، روى عنه ابنه محمّد، وأيوب بن مدرّك الحنفى، ذكر له ابن عساكر حديثاً، ولم يذكر فيه تجريحاً [\(٣\)](#).

وابنه محمّد بن سليمان بن بلال: ذكره مسلم في الكنى [\(٤\)](#)، وأبو بشر الدولابي [\(٥\)](#)، والحاكم أبو أحمد، وابن عساكر [\(٦\)](#)، كنيته أبو سليمان، قال ابن أبي

١- تاريخ دمشق ترجمه بلال.

٢- تاريخ دمشق ٧/ ١٣٦ ترجمه إبراهيم برقم ٢٩٣.

٣- تاريخ دمشق لابن عساكر ١٠/ ١١٨ رقم ٨٦٤.

٤- الكنى لمسلم.

٥- الكنى والأسماء للدولابي.

٦- تاريخ دمشق لابن عساكر.

ص: ١٤٢

حاتم: سألت أبي عنه فقال: ما بحديثه بأس.

وابنه إبراهيم بن محمد بن سليمان أبو إسحاق: ذكره الحاكم أبو أحمد، وقال:

كناه لنا محمد بن الفيض، وذكره ابن عساكر؛ وذكر حديثه، ثم قال: قال ابن الفيض: توفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين «(١)».

ومحمد بن الفيض بن محمد بن الفيض أبو الحسن الغساني الدمشقي: روى عن خلائق، روى عنه جماعة منهم: أبو أحمد بن عدي، وأبو أحمد الحاكم، وأبو بكر ابن المقرئ في معجمه، ذكره ابن زبر وابن عساكر في التاريخ «(٢)»، توفي سنة خمس عشرة وثلاثمائة، ومولده سنة تسع عشرة ومائتين، ومدار هذا الإسناد عليه، فلا حاجة إلى النظر في الإسنادين اللذين رواه ابن عساكر بهما وإن كان رجالهما معروفين مشهورين.

وليس اعتمادنا في الاستدلال بهذا الحديث على رؤيا المنام فقط، بل على فعل بلال، وهو صحابي، لا سيما في خلافة عمر رضي الله عنه، والصحابة متوافرون، ولا يخفى عنهم هذه القصة.

ومنام بلال ورؤياه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يتمثل به الشيطان، وليس فيه ما يخالف ما ثبت في اليقظة، فيتأكد به فعل الصحابي.

إبراد عمر بن عبد العزيز بالسلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وقد استفاض عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: أنه كان يبرد البريد من الشام يقول: سلم لي على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «(٣)».

١- تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣٦ / ٧ رقم ٤٩٣.

٢- تاريخ دمشق لابن عساكر ١٥ / ٨٦١ من النسخة المصورة.

٣- رواه البيهقي في شعب الإيمان كما نقله في الصارم ص ٢٤٦.

ص: ١٤٣

وممن ذكر ذلك ابن الجوزي، ونقلته من خطّه في كتاب «مثير العزم الساكن» وقد ضبطه بإسكان الباء الموحّدة، وكسر الراء المخفّفة، وهو كذلك، يقال: أبرد فهو مُبرّد.

وذكره أيضاً الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم النبيل، ووفاته سنة سبع وثمانين ومائتين في «مناسك» له لطيفة جرّدها من الأسانيد، ملتزماً فيها الثبوت، قال فيها: وكان عمر بن عبدالعزيز يبعث بالرسول قاصداً من الشام إلى المدينة؛ ليقرى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يرجع.

وهذه المناسك رواية شيخنا الدميّطي: أنا ابن خليل، أنا الطرطوسيّ «(١)» والكرانيّ، أنا الصيرفيّ، ثنا أبو بكر محمّد بن عبد الله بن شاذان، ثنا القباب، ثنا ابن أبي عاصم.

فسفر بلال في زمن صدر الصحابة، ورسول عمر بن عبدالعزيز في زمن صدر التابعين من الشام إلى المدينة، لم يكن إلّا للزيارة والسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن الباعث على السفر غير ذلك؛ لا من أمر الدنيا، ولا من أمر الدين، لا من قصد المسجد، ولا من غيره، وإنما قلنا ذلك لئلا يقول بعض من لا علم له: إنّ السفر لمجرّد الزيارة ليس بسنة! وستكلم على بطلان ذلك في موضعه. وأما من سافر إلى المدينة لحاجة، وزار عند قدومه، أو اجتمع في سفره قصد الزيارة مع قصد آخر فكثير.

وقد ورد عن يزيد بن أبي سعيد مولى المهريّ قال: قدمت على عمر بن عبدالعزيز، فلما ودّعته قال: لى إليك حاجة، إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقرئه منى السلام.

ص: ١٤٤

وورد هذا عن غير عمر بن عبدالعزيز أيضاً: قال أبو الليث السمرقندي الحنفي في «الفتاوى» في باب الحج: قال أبو القاسم: لما أردت الخروج إلى مكة قال القاسم بن غسان: إن لي إليك حاجة، إذا أتيت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأقرئه مني السلام. فلما وضعت رجلي في مسجد المدينة ذكرت.

قال الفقيه: فيه دليل أن من لم يقدر على الخروج، فأمر غيره ليسلم عنه، فإنه ينال فضيلة السلام إن شاء الله تعالى، انتهى. وفي «فتوح الشام» (١): أنه لما كان أبو عبيدة منازل بيت المقدس، أرسل كتاباً إلى عمر مع ميسرة بن مسروق رضى الله عنه يستدعيه الحضور، فلما قدم ميسرة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، دخلها ليلاً، ودخل المسجد، وسلم على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلی قبر أبي بكر رضى الله عنه.

وفيه أيضاً: أن عمر لمّا صالح أهل بيت المقدس، وقدم عليه كعب الأبحار وأسلم، وفرح عمر بإسلامه، قال عمر رضى الله عنه له: هل لك أن تسير معي إلى المدينة وتزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتمتع بزيارته؟ فقال لعمر: يا أمير المؤمنين، أنا أفعل ذلك.

ولما قدم عمر المدينة أول ما بدأ بالمسجد، وسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد ذكر المؤرخون والمحدثون - منهم أبو عمر بن عبد البر في «الاستيعاب» (٢) وأحمد بن يحيى البلاذري في «تاريخ الأشراف» (٣) وابن عبد ربه في «العقد» (٤) - أن زياد بن أبيه أراد الحج، فأتاه أبو بكر رضى الله عنه وهو لا يكلمه، فأخذ ابنه فأجلسه في

١- فتوح الشام ١/ ١٤٨ ذكر فتح بيت المقدس.

٢- الاستيعاب ٢/ ٥٢٦ رقم ٨٢٥.

٣- أنساب الأشراف ١/ ٤٩٣ رقم ٩٩٣.

٤- العقد الفريد لابن عبد ربه ٥/ ١٢ أخبار زياد.

ص: ١٤٥

حجره ليخاطبه ويسمع زياداً فقال: إنّ أباك فعل وفعل، وإنّه يريد الحجّ، وأمّ حبيبة زوج رسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم هناك، فإنّ أذنت له فأعظم بها مصيبة وخيانته لرسول اللّٰه صلى الله عليه وآله وسلم وإنّ هي حجبتة فأعظم بها حجّة عليه. فقال زياد: ما تدع النصيحة لأخيكَ، وترك الحجّ تلك السنّة، هكذا حكاه البلاذريّ.

وحكى ابن عبد البرّ ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه حجّ، ولم يزر من أجل قول أبي بكره.

والثاني: أنّه دخل المدينة وأراد الدخول على أمّ حبيبة رضی الله عنها فذكر قول أبي بكره فانصرف عن ذلك.

والثالث: أنّ أمّ حبيبة حجبتة ولم تأذن له.

والقضية على كلّ تقدير تشهد لأنّ زيارة الحاجّ كانت معهوده من ذلك الوقت، وإلّا فكان زياد يمكنه أن يحجّ من غير طريق المدينة، بل هي أقرب إليه؛ لأنّه كان بالعراق، والإتيان من العراق إلى مكة أقرب، ولكن كان إتيان المدينة عندهم أمراً لا يُترك.

البدأة بمكة أو بالمدينة، في سفر الحجّ؟

واختلف السلف رحمهم الله في أنّ الأفضل البداءة بالمدينة قبل مكة، أو بمكة قبل المدينة.

وممن نصّ على هذه المسألة وذكر الخلاف فيها؛ الإمام أحمد رحمه الله في كتاب «المناسك الكبير» من تأليفه، وهذه المناسك رواها

الحافظ أبو الفضل محمّد بن

ص: ١٤٦

ناصر، عن الحاجب أبي الحسن عليّ بن محمّد العلاف، عن أبي الحسن عليّ بن أحمد بن عمر الحمامي، عن إسماعيل بن عليّ الخطيبيّ «(١)»، عن عبد الله بن أحمد، عن أبيه.

في هذه المناسك: سئل عمّن يبدأ بالمدينة قبل مكة؟

فذكر بإسناده عن عبدالرحمان بن يزيد وعطاء ومجاهد قالوا: إذا أردت مكة فلا تبدأ بالمدينة، وأبدأ بمكة، وإذا قضيت حجك فامرر بالمدينة إن شئت.

وذكر بإسناده عن الأسود قال: أحب أن يكون نفقتي وجهازي وسفري أن أبدأ بمكة.

وعن إبراهيم النخعي: إذا أردت مكة فاجعل كلّ شيء لها تبعاً.

وعن مجاهد: إذا أردت الحج أو العمرة فابدأ بمكة، واجعل كلّ شيء لها تبعاً.

وعن إبراهيم قال: إذا حججت فابدأ بمكة، ثم مرّ بالمدينة بعد.

وذكر الإمام أحمد أيضاً بإسناده عن عدى بن ثابت: أن نقرأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يبدأون بالمدينة إذا حجوا، يقولون: نهّل من حيث أحرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذكر ابن أبي شيبة في مصنفه هذا الأثر أيضاً «(٢)»، وذكر بإسناده عن علقمة والأسود وعمرو بن ميمون: أنهم بدأوا بالمدينة قبل مكة «(٣)».

وقال الموفق بن قدامة: قال - يعني أحمد -: وإذا حجّ للذي لم يحجّ قطّ - يعني من غير طريق الشام - لا يأخذ على طريق المدينة؛ لأنّي أخاف أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكة من أقصر الطرق، ولا يتشاغل بغيره.

١- في ه: الخطبي.

٢- المصنف لابن أبي شيبة ٤/ ٣١٨ ب ٣٢ في الرجل يحجّ يبدأ بمكة أو بالمدينة، ح ١.

٣- المصنف لابن أبي شيبة نفس الموضع والباب ح ٦.

ص: ١٤٧

قلت: وهذا فى العمرة متّجه؛ لأنّه يمكنه فعلها متى وصل إلى مكة، وأما الحجّ فله وقت مخصوص، فإذا كان الوقت متّسعاً لم يفت عنه بمروره بالمدينة شىء.

وممن نصّ على هذه المسألة من الأئمة أبو حنيفة رحمه الله وقال: الأحسن أن يبدأ بمكة، روى ذلك الحسن بن زياد عنه فيما حكاه أبو الليث السمرقندى.

فانظر كلام السلف والخلف فى إتيان المدينة إمّا قبل مكة، وإمّا بعدها.

ومن أعظم ما تؤتى له المدينة الزيارة، ألا ترى أنّ بيت المقدس لا يأتيه إلّا القليل من الناس وإن كان مشهوداً له بالفضل، والصلاة فيه مضاعفة؟!!

فتوفّر الهمم خلفاً عن سلف على إتيان المدينة إمّا هو لأجل الزيارة، وإن اتفق معها قصد عبادات آخر فهو مغمور بالنسبة إليها. وأما ما نقل من تعليل بعض الصحابة بالإهلال من ميقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذلك أمر مقصود، وليس هو كلّ المقصود، ولعلهم رضوا الله عنهم رأوا أنّه ميقاتهم الأصلى لما كانوا بالمدينة مع نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم فأحبوا أن لا يغيروا ذلك، وإلّا فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقت لأهل كلّ بلد ميقاتاً، ولعلّ الإحرام منه أولى، إلّا أن يعارضه معارض.

والتابعون الكوفيون الذين اختاروا البداءة بالمدينة لم ينقل عنهم تعليل، فلعلّ سببه عندهم إثارة الزيارة، ولو كانت العلة الإحرام من ميقات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يأتوها إذا اتفق لهم البداءة بمكة؛ لفوات الإحرام، فلما اتفقوا على إتيانها - وإنما اختلفوا فى البداءة - دلّ على أنّ العلة غيره، وهى ما فيها من المشاهد، وأعظمها الزيارة، فهى إمّا كلّ المقصود، أو معظمه، وغيرها منغمر فيها.

وممن اختار البداءة بمكة ثمّ إتيان المدينة والقبر؛ الإمام أبو حنيفة، كما سنحكيه عنه فى الباب الرابع.

الفقهاء يقرّون السفر لزيارة القبر الشريف

وقال أبو بكر محمد بن الحسين الآجري في كتاب «الشرعية» (١) في باب دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما أحد من أهل العلم قديماً ولا حديثاً - ممن رسم لنفسه كتاباً نسبه إليه من فقهاء المسلمين، فرسم كتاب المناسك - إلّا وهو يأمر كل من قدم المدينة ممن يريد حجاً أو عمرة، أو لا يريد حجاً ولا عمرة، وأراد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمقام بالمدينة لفضلها إلّا وكل العلماء قد أمره ورسموه في كتبهم، وعلموه كيف يسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما: علماء الحجاز قديماً وحديثاً، وعلماء أهل العراق قديماً وحديثاً، وعلماء أهل الشام قديماً وحديثاً، وعلماء أهل خراسان قديماً وحديثاً، وعلماء أهل اليمن قديماً وحديثاً، وعلماء أهل مصر قديماً وحديثاً، فله الحمد على ذلك.

وقال قريباً من هذا الكلام أبو عبد الله عبيد الله بن محمّد بن حمدان بن بطه العكبري الحنبلي في كتاب «الإبانه عن شريعته الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة» (٢) في باب دفن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً قال:

بحسبك دلالة على إجماع المسلمين واتفاقهم على دفن أبي بكر وعمر مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن كل عالم من علماء المسلمين وفقهه من فقهاءهم، ألف كتاباً في المناسك، ففصّله فصولاً، وجعله أبواباً، يذكر في كل باب فقهه، ولكل فصل علمه، وما يحتاج الحاج إلى علمه والعمل به قولاً وفعلاً: من الإحرام، والطواف، والسعي، والوقوف، والنحر، والحلق، والرمي، وجميع ما لا يسع الحاج جهله،

١- الشريعة للآجري.

٢- الإبانه لابن بطه.

ص: ١٤٩

ولا غنى بهم عن علمه، حتّى يذكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصف ذلك فيقول:

ثمّ تأتي القبر فتستقبله، وتجعل القبلة وراء ظهرك وتقول: السلام عليك أيّها النبيّ ورحمة الله وبركاته، حتّى يصف السلام والدعاء.

ثمّ يقول: وتقدم على يمينك قليلاً وتقول: السلام عليك يا أبا بكر وعمر.

وإنّ الناس يحجّون البيت من كلّ فجّ عميق وبلد سحيق، فإذا أتوا البيت لا يشكّون أنّه بيت الله المحجّوج إليه، وكذلك ما يأتونه من أعمال المناسك وفرائض الحجّ وفضائله ينادى بعضه بعضاً، حتّى يأتوا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسلمون عليه وعليصاحبه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، وقد أدركنا الناس ورأيانهم، وبلغنا عمّن لمن نره أنّ الرجل إذا أراد الحجّ فسلم عليه أهله وصحابته قالوا له: وتقرأ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر منّا السلام، فلا ينكر ذلك أحد ولا يخالفه.

هذا كلام ابن بطّة رحمه الله تعالى، وقد أنبأنا به جماعة من شيوخنا عن الحافظ أبي الحجاج يوسف بن خليل بسنده إلى ابن بطّة.

ومقصوده ومقصود الأجرى الرّد على بعض الملحده في إنكار دفن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما مع النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأما زيارته صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينكرها أحد، وإنّما جاءت في كلامهما على سبيل التبع؛ لأنّه لم يظنّ أحد أن يقع فيها أو في السفر إليها نزاع في قرن الثمانمائة.

واستفيد من كلامهما أنّ سفر الحجيج إليها لم يزل في السلف والخلف، وأنّها تابعة للمناسك.

وأبو بكر الأجرى هذا قديم، توفّي في المحرم سنة ستين وثلاثمائة، وكان ثقة صدوقاً ديناً، وله تصانيف كثيرة، وحدث ببغداد قبل سنة ثلاثين وثلاثمائة، انتقل إلى مكّة فسكنها حتّى توفّي بها.

ص: ١٥٠

وابن بطّة المذكور توفّي في المحرّم سنة سبع وثمانين وثلاثمائة بعكبرى، من فقهاء الحنابلة، كان إماماً فاضلاً عالماً بالحديث، وفقهه أكثر من الحديث، وصنّف التصانيف المفيدة. وهكذا قال غيرهما:

قال القاضي عياض [\(١\)](#): قال إسحاق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حجّ المرور بالمدينة والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتبرّك برؤية روضته، ومنبره، وقبره، ومجلسه، وملامس يديه، ومواطىء قدميه، والعمود الذى كان يستند إليه، وينزل جبرئيل بالوحي فيه عليه، وبمن عمّره وقصده من الصحابة وأئمّة المسلمين، والاعتبار فى ذلك كلّه. وقد ذكرنا فى باب نصوص العلماء على استحباب الزيارة قول الباجى المالكيّ: إنّ الغرباء قصدوا لذلك؛ يعنى قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم.

ذكر هذا فى معرض الفرق بين أهل المدينة والغرباء لما فرق مالك رحمه الله بينهم، كما سبق. وسنذكر فى الباب الرابع من كلام العبدىّ المالكيّ فى «شرح الرسالة» أنّ المسير إلى المدينة لزيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس. وأكثر عبارات الفقهاء أصحاب المذاهب ممّن حكينا كلامهم فى باب الزيارة، يقتضى استحباب السفر؛ لأنّهم استحبّوا للحاجّ بعد الفراغ من الحجّ الزيارة، ومن ضروريّها السفر.

١- الشفاء، بتعريف حقوق المصطفى عليه السلام للقاضى عياض ٢/ ١٩٧ الفصل ٩ حكم زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم. وشعب الايمان للبيهقى ص.

حكاية العتبي عن الأعرابي

وحكاية الأعرابي المشهورة التي ذكر المصنفون في مناسكهم، وفي بعض طرقها: أن الأعرابي ركب راحلته وانصرف، وذلك يدل أنه كان مسافراً.

والحكاية المذكورة ذكرها جماعة من الأئمة عن العتبي، واسمه محمّد بن عبيدالله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان؛ صخر بن حرب، كان من أفصح الناس، صاحب أخبار ورواية للأدب، حدّث عن أبيه، وسفيان ابن عيينة ^(١) توفي سنة ثمان وعشرين ومائتين، يكنى أبا عبدالرحمان.

وذكرها ابن عساكر في تاريخه ^(٢)، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» وغيرهما بأسانيدهم إلى محمّد بن حرب الهلالي قال: دخلت المدينة، فأتيت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فزرته وجلست بحدائه، فجاء أعرابي فزاره، ثم قال: يا خير الرسل، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً وَإِنِّي جئتكم مستغفراً ربك من ذنوبي، مستشفعاً فيها بك.

وفي رواية: وقد جئتكم مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي.

ثم بكى وأنشأ يقول:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكم

نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

ثم استغفر وانصرف فرقدت فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نومى وهو يقول: «الحق الرجل، وبشّره أن الله قد غفر له بشفاعتى» فاستيقظت فخرجت أطلبه

١- فى ه: عتبه.

٢- تاريخ ابن عساكر.

ص: ١٥٢

فلم أجده.

وقد نظم أبو الطيب أحمد بن عبدالعزيز بن محمد المقدسي رحمه الله وسأله بعضهم الزيادة على هذين البيتين وتضمينهما، فقال- ورواها ابن عساكر رحمه الله عنه- «(١)»:

أقول والدمع من عيني منسجم لَمَا رأيتُ جدار القبر يُستلم
والناس يغشونه باكِ ومنقطع من المهابة أو داعٍ فملتزم
فما تمالكتُ أن ناديتُ من حرق في الصدر كادت له الأحشاء تضطرم
يا خير من دُفنتُ بالقاع أعظمه فطاب من طيهنّ القاع والأكم
نفسى الفداء لقبر أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وفيه شمس التقى والدين قد غربت من بعد ما أشرقت من نورها الظلم
حاشا لوجهك أن يبلى وقد هُديت في الشرق والغرب من أنواره الأمم
وأن تمسك أيدى التراب لأمساً وأنت بين السماوات العلى علم
لقيت ربك والإسلام صارمه ماضٍ وقد كان بحر الكفر يلتطم
فقمت فيه مقام المرسلين إلى أن عزّ فهو على الأديان يحتكم
لئن رأينا قبراً إن باطنه لروضه من رياض الخلد تبسم
طافت به من نواحيه ملائكة تغشاه في كل ما يوم وتزدحم
لو كنت أبصرته حيناً لقلت له: لا تمشِ إلأعلى خدى لك القدم
هدى به الله قوماً قال قائلهم ببطن يثرب «(٢)» لَمَا ضمه الرجم:
إن مات أحمَدُ فالرحمن خالقه حيّ ونعبده ما أورد السالم
قال الجوهرى رحمه الله: الرجم - بالتحريك - القبر، والله تعالى أعلم.

١- تاريخ ابن عساكر.

٢- حرّف ابن عبد الهادي في الصارم المنكى ص ٢٥٣ كلمة « يثرب » إلى حكة!!

ص: ١٥٣

الباب الرابع: فى نصوص العلماء على استمباب زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين

إشارة

ص: ١٥٥

قال القاضى عياض رحمه الله: وزيارة قبره صلى الله عليه و آله و سلم سنّة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها [\(١\)](#).
وقال القاضى أبو الطيب: ويستحب أن يزور النبى صلى الله عليه و آله و سلم بعد أن يحجّ ويعتمر.
وقال المحاملى فى «التجريد»: ويستحب للحاج إذا فرغ من مكّة أن يزور قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم.
وقال أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحلیمی فى كتابه المسمى ب «المنهاج فى شعب الإيمان فى تعظيم النبي صلى الله عليه و آله و سلم» فذكر جملة من ذلك، ثم قال: وهذا كان من الذين رزقوا مشاهدته وصحبته، فأما اليوم فمن تعظيمه زيارته.
وقال الماوردى فى «الحاوى»: أمّا زيارة قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم فمأمور بها، و مندوب إليها.
وذكر الماوردى فى «الأحكام السلطانية» باباً فى الولاية على الحجيج قال:

١- الشفاء للقاضى عياض ٢ / ١٩٤ الفصل ٩ وفى طبعه ٢ / ٧٤.

ص: ١٥٦

ولاية الحج ضربان:

أحدهما: على تسيير الحجيج.

والثانى: على إقامة الحج.

فأما الأول: فشرط المتولّى أن يكون مطاعاً ذا رأى وشجاعة، وعليه فى هذه الولاية عشرة أشياء... فذكرها.

ثم قال: فإذا قضى الناس حجهم أمهلهم الأيام التى جرت عاداتهم بها، فإذا رجعوا سار بهم على طريق مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم ليجمع لهم بين حج بيت الله، وزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم رعايةً لحرمة، وقياماً بحقوق طاعته، وذلك وإن لم يكن من فروض الحج فهو من مندوبات الشرع المستحبة، وعادات الحجيج المستحسنة [\(١\)](#).

وقال صاحب «المهذب»: ويستحب زيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم.

وقال القاضى حسين: إذا فرغ من الحج فالتسبب أن يقف بالملتزم ويدعو، ثم يشرب من ماء زمزم، ثم يأتى المدينة ويزور قبر النبي صلى الله عليه وآله و سلم.

وقال الرويانى: يستحب إذا فرغ من حجه أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله و سلم.

ولا حاجة إلى تتبع كلام الأصحاب فى ذلك، مع العلم بإجماعهم وإجماع سائر العلماء عليه.

والحنفية قالوا: إن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله و سلم من أفضل المندوبات والمستحبات، بل تقرب من درجة الواجبات.

وممنصرح بذلك منهم أبو منصور محمد بن مكرم الكرمانى فى «مناسكه»، وعبدالله بن محمود بن بلدحى فى «شرح المختار» [\(٢\)](#).

١- الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٠٨-١٠٩.

٢- لاحظ رد المحتار على شرح المختار ٢/٢٥٧.

ص: ١٥٧

وفى «فتاوى أبى الليث السمرقندى» فى باب أداء الحج: روى الحسن بن زياد عن أبى حنيفة أنه قال: الأحسن للحاج أن يبدأ بمكة، فإذا قضى نسكه مرّ بالمدينة، وإن بدأ بها جاز، فيأتى قريباً من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقوم بين القبر والقبلة، فيستقبل القبلة، ويصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ويترحم عليهما. وقال أبو العباس السروجى فى «الغاية»: إذا انصرف الحاج والمعتمرون من مكة، فليتوجهوا إلى طيبة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزيارة قبره؛ فإنها من أنجح المساعى.

نصوص الحنابلة

وكذلك نصّ عليه الحنابلة أيضاً؛ قال أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن (١) الكلوذانى الحنبلى فى كتاب «الهداية» فى آخر بابصفة الحج: وإذا فرغ من الحج استحَبَّ له زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبيه. وقال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن الحسين بن أحمد بن القاسم بن إدريس السامرى فى كتاب «المستوعب»: باب زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وإذا قدم مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استحَبَّ له أن يغتسل لدخولها، ثم يأتى مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويقدم رجله اليمنى فى الدخول، ثم يأتى حائط القبر، فيقف ناحية، ويجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره... وذكر كيفية السلام والدعاء إلى آخره. ومنه: اللهم إنك قلت فى كتابك لنبىك عليه السلام: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ...

ص: ١٥٨

الآية، وإني قد أتيت نبيك مستغفراً، فأسألك أن توجب لي المغفرة، كما أوجبتها لمن أتاه في حياته، اللهم إني أتوجه إليك بنبيك صلى الله عليه وآله وسلم... وذكر دعاء طويلاً.

ثم قال: وإذا أراد الخروج عاد إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فودع.

وانظر هذا المصنف من الحنابلة- الذين الخصم متمذهب بمذهبهم «(١)»-، كيف نص على التوجه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم! وكذلك أبو منصور الكرماني من الحنفية قال: إن كان أحد أوصاك بتبليغ السلام تقول: السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان، يستشف بك إلى ربك

١- دعوى ابن تيمية أنه على المذهب الحنبلي مشهورة، لكنه مخالف له في عقائده بأصول الدين وأحكامه في فروع الدين، لاحظ للتوسع:

كتاب «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد» للإمام تقي الدين الحصني، وهو مطبوع.
وكتاب «صلح الإخوان في الرد على من قال على المسلمين بالشرك والكفران» للعلامة داود بن سليمان النقشبندی العاني البغدادي، وهو مطبوع.

وانظر الصارم المنكي ص ١٤٥ فقد نقل الأثر من أحمد بن حنبل: قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يلمس ويتمسح به؟ قال: ما أعرف هذا، قلت: فالمنبر؟ قال: أما المنبر، فنع.

وقد جاء عن ابن عمر أنه مسح على المنبر، ومن سعيد بن المسيب: في الرمانة.

قلت: أنهم يلصقون بطونهم بجدار القبر ورأيت أهل العلم من أهل المدينة لا يمسونه ويقومون ناحية فيسلمون، فقال: نعم.

وهكذا صدق أحمد بأن الناس كانوا يفعلون بجدار القبر، ولم يستنكره، ولم يكرهه ولم يكفر القائمين بمسح بطونهم بجدار القبر، كما يفعل السلفية المدعون للحنبلية في عصر ابن تيمية والوهابية اليوم! قطع الله أيديهم، وكفى القبر الشريف وزائريه الكرام شرورهم.

وانظر رفع المنارة ص ٥٧ ه فقد نقل نصاً قاطعاً عن الحافظ الذهبي في معجم الشيوخ ١/ ٧٣-٧٤ فيه عن أحمد أنه لم ير بأساً بلمس القبر النبوي. وفيه كلام عجيب تكفره عليه السلفية الأجلاف!

ص: ١٥٩

بالرحمة والمغفرة، فاشفع له.

وسنعد لذلك باباً في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

وقال نجم الدين بن حمدان الحنبلي في «الرعاية الكبرى»: ويسنّ لمن فرغ من نسكه زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبر صاحبه رضى الله عنها، وله ذلك بعد فراغ حجّه، وإن شاء قبل فراغه.

وقد عقد ابن الجوزي في كتابه المسمّى «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (١) باباً في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر فيه حديث ابن عمر وحديث أنس رضى الله عنهم.

وقال الشيخ موفق الدين بن قدامة المقدسي في كتاب «المغنى» (٢) وهو من أعظم كتب الحنابلة التي يعتمدون عليها: فصل: يستحبّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وذكر حديث ابن عمر من طريق الدارقطني ومن طريق سعيد بن منصور عن حفص، وحديث أبي هريرة رضى الله عنه من طريق أحمد: «ما من أحد يسلم عليّ عند قبري...» (٣).

وكذلك نصّ عليه المالكية، وقد تقدّم حكاية القاضي عياض الإجماع.

وفي كتاب «تهذيب المطالب» (٤) لعبد الحق الصقلي عن الشيخ أبي عمران المالكي: أنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجبة (٥).

١- مثير العزم الساكن لابن الجوزي.

٢- المغنى لابن قدامة ٣/ ٥٥٨.

٣- المغنى لابن قدامة ٣/ ٥٨٨ وقد مرّ سابقاً.

٤- في معجم المؤلفين ٥/ ٩٤ سمّاه: تهذيب الطالب! فلاحظ.

٥- وجوب الزيارة نقله الأحنائي المالكي في ردّه على ابن تيمية كما في الصارم ص ١٥٧. قال رحمه الله: وعني السادة العلماء المجتهدين بالحضّ على ذلك والندب إليه وعلى ذلك والندب إليه والغبطة لمن سارع لذلك وداوم عليه حتى نحا بعضهم في ذلك إلى الوجوب ورفع عن درجة المباح والمندوب.

لا بدّ أن يحمل هذا الوجوب على الكفائي - دون العيني - وذلك بعنوان تعظيم الشعائر الإسلامية، إذ لا ريب أنّ تركها فيه من الجفاء وعدم الاهتمام بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ما يتوق له أعداء الإسلام، ويروجون له، ولهذا ترى السلفية اللثام يركزون عليه، ويمنعونه ويقبحونه بشتى الأشكال والأساليب، وبكلمة «التوحيد» التي هي حق، لكن يُراد بها باطل لإزدراء بمقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقبره المعظم.

والمحافظة على كرامة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالوفود على قبره المعظم وزيارته والسلام عليه عند قبره بالقصد الخاص من أعظم القرب الدينية والشعائر الإسلامية، في كل العصور، وخصوصاً في عصرنا الذي تستولى زمرة الوهابية، عبّاد الامراء والملوك، وعبيد الدنيا والدولار، على تلك المشاهد الشريفة والبيوت المرفوعة، قطع الله شأفتهم، وأراح البلاد والعباد منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسياتى بعض هذا في كلام الإمام السبكي المؤلف في الباب الخامس: في تقرير كون زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرينة. وسعيد المصنّف عبارة الصقلي هذا في هذا الباب عند نقل فتوى مالك كراهة لفظ «الزيارة».

والغريب ان ابن عبد الهادي ذكر في الصارم ٣٢٥ النوع الثالث من أنواع زيارة القبور، قال: فهو زيارتها للدعاء .. إلى أن يقول: وهذا

مشروع، بل فرض على الكفاية متواتر متفق عليه بين المسلمين! لكنّه لم يصرّح هنا باسم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل أطلق، وهذا من أساليب تلبس السلفية الأوغاد. وكتب السيد

ص: ١٦٠

قال عبدالحقّ: يعنى من السنن الواجبة.

وقال عبدالحقّ أيضاً فى هذا الكتاب: رأيت فى بعض المسائل التى سئل عنها الشيخ أبو محمّد بن أبى زيد: قيل له فى رجل استؤجر

بمال ليحجّ به، وشرطوا عليه الزيارة: لم يستطع تلك السنة أن يزور لعذر منعه من تلك؟

قال: يردّ من الاجرة بقدر مسافة الزيارة.

ص: ١٦١

قال الحاكي عنه ذلك: وقال غيره من شيوخنا: عليه أن يرجع ثانياً «(١)» حتى يزور.

قال عبدالحق: انظر، إن استؤجر للحج لسنة بعينها، فها هنا يسقط من الأجر ما يخص الزيارة، وإن استؤجر على حجة مضمونه في ذمته فها هنا يرجع ويזור، وقد اتفق النقلان.

وعبدالحق هذا هو: عبدالحق بن محمد بن هارون السهمي القروي، صقلي، تفقه بشيوخ القيروان، وتفقه بالصقليين أيضاً، منهم: أبو عمران وغيره، وحج ولقى عبدالوهاب رحمه الله، وحج ثانياً فلقى إمام الحرمين، فباحثه في أشياء، وسأله عن مسائل أجابه عنها، وكان مليح التأليف، ألف كتباً كثيرة في مذهب مالك، توفي بالإسكندرية سنة ست وستين وأربعمائة.

وهذا الفرع الذي ذكره في الاستئجار على الزيارة فرع حسن.

والذي ذكره أصحابنا: أن الاستئجار على الزيارة لا يصح؛ لأنه عمل غير مضبوط، ولا مقدر بشرع، والجعالة إن وقعت على نفس الوقوف لم يصح أيضاً؛ لأن ذلك مما لا يصح فيه النيابة عن الغير، وإن وقعت الجعالة على الدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت صحيحة؛ لأن الدعاء مما يصح النيابة فيه، والجهل بالدعاء لا يطلها، قال ذلك الماوردي في «الحاوي» في كتاب الحج «(٢)».

وبقي قسم ثالث لم يذكره الماوردي: وهو إبلاغ السلام، ولا شك في جواز الإجارة والجعالة عليه، كما كان عمر بن عبدالعزيز يفعل.

والظاهر أن مراد المالكية هذا، وإلا فمجرد الوقوف من الأجير لا يحصل للمستأجر غرضاً، وسيأتي في كتاب ابن المواز من نص مالك ما يقتضي أنه يقف

١- في ه: نائبه.

٢- الحاوي للماوردي.

ص: ١٦٢

ويدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يفعل عند وداع البيت.

وفى كتاب «النوادر» لابن أبي زيد- بعد أن حكى فى زيارة القبور من كلام ابن حبيب، وعن المجموعة عن مالك، ومن كلام ابن القرظي- ثم قال عقيبه: ويأتى قبور الشهداء باحد ويسلم عليهم، كما يسلم على قبره صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ضجيعيه. وفيه أيضاً من كلام ابن حبيب: ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء من السنة فى التسليم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وعمر مقبورين.

وقال أبو الوليد محمد بن رشد المالكي فى شرح «العيثية» المسمى بكتاب «البيان والتحصيل» (١) فى كتاب الجامع، فى سلام الذى يمرّ بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وسئل عن المارّ بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أترى أن يسلم كلما مرّ؟

قال: نعم، أرى ذلك عليه أن يسلم عليه إذا مرّ به، وقد أكثر الناس من ذلك، فأما إذا لم يمرّ به فلا أرى ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». فقد أكثر الناس من هذا، فإذا لم يمرّ عليه فهو فى سعة من ذلك.

قال: وسئل عن الغريب يأتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل يوم؟

فقال: ما هذا من الأمر، ولكن إذا أراد الخروج.

قال محمد بن رشد: المعنى فى هذا، أنه يلزمه أن يسلم عليه كلما مرّ به متى ما مرّ، وليس عليه أن يمرّ به ليسلم عليه إلاللوداع عند الخروج، ويكره له أن يكثر المرور به، والسلام عليه، والإتيان كل يوم إليه؛ لئلا يجعل القبر بفعله ذلك كالمسجد الذى يؤتى كل يوم للصلاة فيه، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك؛ لقوله: «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور

ص: ١٦٣

أنبيائهم مساجد» انتهى كلام ابن رشد.

وانظر كيف جعل عليه أن يأتيه اللوداع، وبطريق الأولى السلام، وإنما كراهة الإكثار لما ذكره، وأصل الاستحباب متفق عليه.

مناظرة الإمام مالك وأبي جعفر المنصور

وقد روى القاضي عياض في «الشفاء» (١) قال: ثنا القاضي أبو عبدالله محمد ابن عبدالرحمان الأشعري، وأبو القاسم أحمد بن بقي [الحاكم]، وغير واحد فيما أجازوا به (٢)، قالوا: ثنا أحمد بن عمر بن دلهات، ثنا علي بن فهر، ثنا محمد بن أحمد ابن الفرغ، ثنا عبدالله بن المنتاب، ثنا يعقوب بن إسحاق بن أبي إسرائيل، ثنا ابن حميد قال:

ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له مالكا:

يا أمير المؤمنين، لا ترفع صوتك في هذا المسجد؛ فإن الله تعالى أدب قوماً فقال:

لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ... الْآيَةُ، ومدح قوماً: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ... الْآيَةُ، وذم قوماً، فقال: إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ... الْآيَةُ، وإن حرمة ميتاً كحرمة حياً.

فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبدالله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

١- الشفاء للقاضي عياض ٢/ ٢٠١-٢٠٦ فصل ٩.

ونقلها في الصارم ٢٦٣ عن اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٣٩٣-٣٩٤، وقد حاول تضعيفها والحكم بأنها مغيرة! وبيطلان ذيلها!!!

وهكذا يُحاول فيما لا يوافق هواه!

٢- في الصارم ٢٥٩: أجازوا فيه.

ص: ١٦٤

فقال: ولم تصرف وجهك عنه؟ وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟! بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله تعالى، قال الله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ... الآية. فانظر هذا الكلام من مالك رحمه الله وما اشتمل عليه من الزيارة والتوسل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وحسن الأدب معه.

وقال القاضي عياض: قال ابن حبيب: وتقول إذا دخلت مسجد الرسول:

بسم الله، وسلام على رسول الله، السلام علينا من ربنا، وصلى الله وملائكته على محمد، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك وجنتك، واحفظنى من الشيطان الرجيم.

ثم اقصد إلى الروضة، وهى ما بين القبر والمنبر، فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر.

ثم تقف بالقبر متواضعاً متواقراً، فتصلى عليه، وتثنى بما يحضرك، وتسلم على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما وتدعو لهما. ولا تدع أن تأتى مسجد قباء وقبور الشهداء.

وقال مالك فى «كتاب محمد»: ويسلم على النبى صلى الله عليه وآله وسلم إذا دخل وخرج؛ يعنى فى المدينة وفيما بين ذلك. وقال محمد: وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر، وكذلك من خرج مسافراً.

وقال مالك فى «المبسوط»: وليس يلزم من دخل المسجد أو خرج منه من أهل المدينة الوقوف بالقبر، وإنما ذلك للغرباء. وقال فيه أيضاً: لا بأس لمن قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر

ص: ١٦٥

النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصلى عليه، ويدعو له ولأبي بكر وعمر.

فقيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر، ولا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر، فيسلمون ويدعون ساعة.

فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدورها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراد.

قال ابن القاسم: ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها أو دخلوها، أتوا القبر فسلموا، قال: وذلك رأبي.

قال الباجي: ففرق بين أهل المدينة والغرباء؛ لأنّ الغرباء قصدوا لذلك، وأهل المدينة مقيمون بها، لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم.

انتهى ما حكاه القاضي عياض.

وانظر قول الباجي: إنّ الغرباء قصدوا لذلك، ودلالته على أنّ الغرباء قصدوا المدينة من أجل القبر والتسليم.

والمتلخص من مذهب مالك رحمه الله: أنّ الزيارة قربة، ولكنّه على عادته في سدّ الذرائع يكره منها الإكثار الذي قد يفضى إلى محذور.

والمذاهب الثلاثة يقولون باستحبابها واستحباب الإكثار منها؛ لأنّ الإكثار من الخير خير، وكلّهم مجمعون على استحباب الزيارة.

وفى كتاب «النوادر»: ويأتى قبور الشهداء باحد، ويسلم عليهم كما يسلم على قبره صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ضجيعه.

وقال أبو محمّد عبدالكريم بن عطاء الله بن عبدالرحمان بن عبدالله بن محمّد بن عيسى بن الحسن المالكيّ في «مناسكه» التي التزم فيها مشهور مذهب

ص: ١٦٦

مالك: فصل: إذا كمل لك حجك وعمرتك على الوجه المشروع، لم يبقَ بعد ذلك إلا إتيان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للسلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و آله و سلم والدعاء عنده، والسلام على صاحبيه، والوصول إلى البقيع، وزيارة ما فيه من قبور الصحابة والتابعين، والصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا ينبغي للقادر على ذلك تركه. وقال العبدى في «شرح الرسالة»: وأما النذر للمشى إلى المسجد الحرام، أو المشى إلى مكة، فله أصل في الشرع، وهو الحج والعمرة، وإلى المدينة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و آله و سلم أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس، وليس عندهما حج ولا عمرة، فإذا نذر المشى إلى هذه الثلاثة لزمه، فالكعبة متفق عليها، واختلف أصحابنا وغيرهم في المسجدين الآخرين. قلت: الخلاف الذى أشار إليه فى نذر إتيان المسجدين، لا فى الزيارة.

عمل الصحابة والتابعين

فهذه نقول المذاهب الأربعة، وكذلك غيرهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم. فقد صح من وجوه كثيرة عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يأتى القبر، فيسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أنا عبدالمؤمن بن خلف، أنا إبراهيم بن أبى الخير، وأبو عبدالله محمد بن المنى، منفردين فى الرحلة الأولى، قالوا: أنا شهداء، أنا الحسن بن أحمد بن سليمان، أنا الحسن بن أحمد بن شاذان، أنا دعلج، أنا محمد بن على بن زيد الصائغ، ثنا سعيد ابن منصور، ثنا مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر: أنه كان يأتى القبر فيسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أبى بكر وعمر.

ص: ١٦٧

وقال دعلج: هذا الحديث في «الموطأ» (١) عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، وأنا به إسحاق بن النحاس من طريق آخر إلى سعيد بن منصور ثنا مالك به.

وروى عن ابن عون قال: سألت رجلاً نافعاً: هل كان ابن عمر يسلم على القبر؟

قال: نعم، لقد رأيته مائة مرة أو أكثر من مائة مرة؛ كان يأتي القبر فيقوم عنده فيقول: السلام على النبي، السلام على أبي بكر، السلام على أبي.

وفي «الموطأ» من رواية يحيى بن يحيى الليثي عن ابن عمر: كان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيصلّي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أبي بكر وعمر.

وعن ابن القاسم والقعنبي: ويدعو لأبي بكر وعمر.

وقال في رواية ابن وهب: يقول المسلم: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

قال في «المبسوط»: ويسلم على أبي بكر وعمر.

قال القاضي أبو الوليد الباجي: وعندى أنه يدعو للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ «السلام» ولأبي بكر وعمر؛ لما في حديث ابن عمر من الخلاف.

وقال عبدالرزاق في مصنفه: باب السلام على قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢)، وروى فيه

١- الموطأ لمالك.

أقول لم أجده فيه، ولعلّ نسخته مختلفة كرواياته، وقد نقل السيوطي في الدر المنثور ١/ ٢٣٧ قال: أخرج البيهقي عن ابن عمر أنه كان يأتي القبر فيسلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يمسّ القبر، ثم يسلم على أبي بكر ثم على عمر.

٢- المصنّف لعبد الرزاق ٣/ ٥٧٦ ح ٦٧٢٥. ويلاحظ ان القبر هنا لا يمكن تأويله بالمسجد كما يُحاول ابن تيمية! لأنه لا معنى للسلام على المسجد، إلّا أن يدعى أن المراد: السلام على باب المسجد، يعنى السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على باب المسجد، فأنه مستحب، وليس مثل هذه التأويلات البعيدة بعيداً عن عمل ابن تيمية وأتباعه!

ص: ١٦٨

آثاراً، منها بإسناد صحيح أن ابن عمر كان إذا قدم من سفر، أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

وروى عبدالرزاق في هذا الباب أيضاً أن سعيد بن المسيب رأى قوماً يسلمون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ما مكث نبي في الأرض أكثر من أربعين يوماً.

ثم روى عبدالرزاق فيه قول هصلي الله عليه وآله وسلم: «مررت بموسى ليلة اسرى بي وهو قائم يصلي في قبره» (١).

كأنه قصد بذلك رد ما روى عن ابن المسيب، وهو رد صحيح، وما ورد عن ابن المسيب ورد فيه حديث نذكره في باب حياة الأنبياء. وقد روى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه لما حُصر، أشار بعض الصحابة عليه بأن يلحق بالشام فقال: لن افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها.

وهو مخالف لما قال ابن المسيب رحمه الله وهو الصحيح، وكذلك ما ذكرناه عن ابن عمر.

ثم لوصح قول ابن المسيب، لم يمنع من استحباب زيارة القبر؛ لشرفه بحلوله فيه، ونسبته إليه، كما قال الشاعر:

أمر على الديار ديار ليلي أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي ولكن حبّ من سكن الديارا

وابن المسيب رحمه الله لم ينكر التسليم، وإنما ذكر عدم الفائدة.

١- المصنف لعبد الرزاق ٣/ ٥٧٧ ح ٦٧٢٧. الحديث من كنز العمال ١١/ ٥١١ برقم ٣٢٣٨٧ وقال: حل - عن أنس.

وقال السيوطي في الدر المنثور ٤/ ١٥٠ أخرج ابن مردويه عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما اسرى بي مررت بموسى وهو قائم يصلي في قبره.

ص: ١٦٩

وقال القاضي عياض في «الشفاء» (١): قال بعضهم: رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فوقف فرفع يديه، حتى ظننت أنه افتتح الصلاة، فسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم انصرف.

استقبال القبر الشريف عند السلام عليه

وفي «مسند الإمام أبي حنيفة رحمه الله» (٢) تصنيف أبي القاسم طلحة بن محمد بن جعفر الشاهد العدل، قال: ثنا محمد بن مخلد، حدثني محمد بن يعقوب بن إسحاق ابن حكيم، حدثني أحمد بن الخليل، حدثني الحسن، ثنا ابن المبارك، ثنا وهب، عن أبي حنيفة قال: جاء أيوب السخيتاني فدنا من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر، فبكى بكاء غير متباكٍ. وقال إبراهيم الحربى في «مناسكه»: تولى ظهر ك القبلة، وتستقبل وسطه - يعنى القبر - وتقول: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وقال ابن بطال في «شرح البخارى» قولهم صلى الله عليه وآله وسلم: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة» - بعد أن حكى القولين المشهورين - قال: واستدل الثاني بقوله:

«ارتعوا في رياض الجنة» يعنى حلق الذكر والعلم، قال: ويكون معناه التحريض على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة في مسجده، انتهى.

ولو استوعبنا الآثار وأقاويل العلماء فى ذلك، لخرجنا إلى حد الطول والملل.

كراهة مالك لفظ: الزيارة

فإن قلت: قد كره مالك رحمه الله أن يقال: «زرنا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

١- الشفاء للقاضي عياض ٢ / ١٩٨ فصل ٩.

٢- مسند أبي حنيفة.

ص: ١٧٠

قلت: قال القاضي عياض: قد اختلف في معنى ذلك:

فقيل: كراهية الاسم؛ لما ورد من قول هصلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله زوارات القبور».

وهذه يرده قوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها» وقوله: «من زار قبري...» فقد أطلق اسم «الزيارة».

وقيل: لأن ذلك ما قيل: «إن الزائر أفضل من المزور».

وهذا أيضاً ليس بشيء، إذ ليس كل زائر بهذه الصفة، وليس عموماً، وقد ورد في حديث أهل الجنة: «لزيارتهم لربهم»، ولم يمنع هذا اللفظ في حقه.

والأولى عندي: أن منعه وكراهة مالك له؛ لإضافته إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه لو قال: «زرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكرهه؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فحمى إضافة هذا اللفظ إلى القبر والتشبيه بفعل أولئك؛ قطعاً للذريعة، وحسماً للباب، والله أعلم.

هذا كلام القاضي (١)، وما اختاره يشكل عليه قوله: «من زار قبري» فقد أضاف الزيارة إلى القبر، إلا أن يكون هذا الحديث لم يبلغ مالكا، فحينئذ يحسن ما قاله القاضي في الاعتذار عنه، لا في إثبات هذا الحكم في نفس الأمر.

ولعله يقول: إن ذلك من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا محذور فيه، والمحذور إنما هو في قول غيره.

وقد قال عبدالحق [الصقلي]، عن أبي عمران المالكي: إنه قال: إنما كره مالك أن يقال: «زرنا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لأن الزيارة من شاء فعلها، ومن شاء تركها، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجبة.

قال عبدالحق: يعنى من السنن الواجبة، ينبغي أن لا تذكر الزيارة فيه، كما

ص: ١٧١

تذكر في زيارة الأحياء الذين من شاء زارهم، ومن شاء ترك، والنيصلي الله عليه وآله وسلم أشرف وأعلى من أن يسمي أنه يزار. وهذا الجواب بينه وبين جواب القاضي بون في شيئين:

أحدهما: أنه يقتضى تأكيد نسبة معنى الزيارة إلى القبر، وإن تجب لفظها، وجواب القاضي يقتضى عدم نسبتها إلى القبر.

والثاني: أنه يقتضى التسوية في كراهية اللفظ بين قوله: «زرت القبر» وقوله:

«زرت النبيصلي الله عليه وآله وسلم» وجواب القاضي يقتضى الفرق بينهما.

وقد قال أبو الوليد محمّد بن رشيد في «البيان والتحصيل»: قال مالك: أكره أن يقال: «الزيارة» لزيارة البيت الحرام، وأكره ما يقول الناس: «زرت النبي» وأعظم ذلك أن يكون النبيصلي الله عليه وآله وسلم يزار.

قال محمّد بن رشد: ما كره مالك هذا- والله أعلم- إلّا من وجه أن كلمة أعلى من كلمه، فلما كانت الزيارة تستعمل في الموتى، وقد وقع فيها من الكراهة ما وقع، كره أن يذكر مثل هذه العبارة في النبيصلي الله عليه وآله وسلم كما كره أن يقال: «أيام التشريق» واستحب أن يقال: «الأيام المعدودات» كما قال الله تعالى، وكما كره أن يقال:

«العتمة» ويقال: «العشاء الأخيرة» ونحو هذا.

وكذلك طواف الزيارة كأنه يستحب أن يسمي ب «الإفاضة» كما قال الله تعالى في كتابه فإذا أفضتكم من عرفات فاستحب أن يشتق له الأسم من هذا.

وقيل: إنه كره لفظ «الزيارة» في الطواف بالبيت والمضي إلى قبر النبيصلي الله عليه وآله وسلم لأن المضي إلى قبره عليه السلام ليس ليصله بذلك، ولا لينفعه به، وكذلك الطواف بالبيت، وإنما يفعل تأدياً لما يلزمه من فعله، ورغبته في الثواب على ذلك من عند الله عزوجل، وبالله التوفيق، انتهى كلام ابن رشد.

وقد وقع فيه كراهية مالك قول الناس: «زرت النبيصلي الله عليه وآله وسلم» وهو يرد ما قاله

ص: ١٧٢

القاضي عياض.

فأما كراهية إسناد الزيارة الى القبر، فيحتمل أن تكون العلة فيه ما قاله القاضي عياض، ويحتمل أن تكون العلة ما قاله أبو عمران وابن رشد.

وأما إضافة الزيارة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إن ثبت ذلك عن مالك - فيتعين أن تكون العلة فيه ما قاله أبو عمران وابن رشد.

والمختار في تأويل كلام مالك رحمه الله ما قاله ابن رشد، دون ما قاله القاضي عياض؛ لأن ابن المواز حكى في كتابه في كتاب الحج في باب ما جاء في الوداع قال أشهب: قيل لمالك: في من قدم معتمراً، ثم أراد أن يخرج إلى رباط، أعليه أن يودع؟ قال: هو من ذلك في سعه.

ثم قال: إنه لا يعجبنى أن يقول أحد: «الوداع» وليس هو من الصواب، وإنما هو «الطواف» قال الله تعالى وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ. قال: وأكره أن يقال: «الزيارة» وأكره ما يقول الناس: «زرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم» وأعظم ذلك أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يزار!

وقال مالك في وداع البيت: ما يعرف في كتاب الله ولا سنة رسوله عليه السلام «الوداع»، إنما هو «الطواف بالبيت».

قلت لمالك: أفترى هذا الطواف الذي يودع به أهو الالتزام؟

قال: بل الطواف، وإنما قال فيه عمر: آخر النسك الطواف بالبيت.

قيل لمالك: فالذي يلتزم أترى له أن يتعلق بأستار الكعبة عند الوداع؟

قال: لا، ولكن يقف ويدعو.

قيل له: وكذلك عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

قال: نعم، انتهى، ما أردت نقله من «الموازية» وهي من أجل كتب المالكية

ص: ١٧٣

القديمة المعتمد عليها.

وسياقه حكاية أشهب عن مالك ترشد إلى المراد؛ وأن مالكاً رحمه الله إنما كره اللفظ، كما كرهه في طواف الوداع.

أفترى يتوهم مسلم أو عاقل أن مالكاً كره طواف الوداع؟!

وانظر في آخر كلام مالك، كيف اقتضى أنه يقف ويدعو عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما يقف ويدعو عند الكعبة في طواف الوداع.

فأى دليل أبين من هذا في أن إتيان قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوقوف والدعاء عنده من الامور المعلومه، التي لم تزل قبل مالك وبعده؟!

ولو عرف مالك رحمه الله أن أحداً يتوهم عليه ذلك من هذا اللفظ، لما نطق به! ولا- لوم على مالك، فإن لفظه لا إبهام فيه، وإنما يتلبس على جاهل أو متجاهل! [\(١\)](#).**عدم كراهة ذلك هو الحق**

والمختار عندنا أنه لا يكره إطلاق هذا اللفظ أيضاً؛ لقوله: «من زار قبري» وقد تقدم الاعتذار عن مالك فيه.

ولا يرد عليه قوله: «زوروا القبور» لأن زيارة قبور غير الأنبياء لينفعهم ويصلهم بها بالدعاء والاستغفار.

ولهذا قال: قال أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمان المالكي المعروف

١- ليلاحظ القارئ الكريم كيف تصبح كلمة مالك وحبّه وكراهته محطاً لاهتمام هؤلاء الناس وكشف مراده، ويحتج بها السلفية كأنه وحي منزل، وتهاجم الأكاداس من الأحاديث والآثار المروية في الكتب والمذكورة في الأحكام والمؤلفات، التي يعتمدها المؤلفون والرواة وكلها تنادي بصراحة «زيارة القبر» واستحبابها وكونها المقصود للزائر، فضلاً عن إطلاق لفظ الزيارة؟! مع عمل الأئمة سلفاً وخلفاً على القيام بها؟!

ص: ١٧٤

ب «الشارمساحي» في كتاب «تلخيص محصول المدونة من الأحكام» الملقب ب «نظم الدر» في كتاب الجامع في الباب الحادي عشر في السفر: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة، إلفى زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا الذي ذكره في الانتفاع بقبور المرسلين صحيح، وكذلك سائر الأنبياء، وأما ما ذكره في غير الأنبياء فستكلم عليه إن شاء الله تعالى في قبور غير الأنبياء.

وأما زيارة أهل الجنة لله تعالى، فإنصح الحديث فيها! فلا ترد على شيء من المعاني التي قالها عبدالحق وابن رشد؛ لأنها ليست واجبة، فإن الآخرة ليست دار تكليف، وقد انقطع الإلحاق بزيارة الموتى في توهم الكراهة.

فقد بان لك بهذا وجه كلام مالك رحمه الله وأنه:

على جواب القاضي عياض إنما كره زيارة القبر، لا زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وعلى جواب غيره إنما كره اللفظ فقط، دون المعنى.

وكذلك أكثر ما حكيناه من كلام أصحابه أتوا فيه بمعنى الزيارة، دون لفظها.

فمن نقل عن مالك «أن الحضور عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم - لزيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والسلام عليه والدعاء عنده - ليس بقربة»، فقد كذب عليه.

ومن فهم عنه ذلك فقد أخطأ في فهمه وضل، وحاشا مالكا وسائر علماء الإسلام، بل وعوامهم ممن قر الإيمان في قلبه.

نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت

فإن قلت: فقد روى عبدالرزاق في مصنفه (١) بسنده إلى الحسن بن

١- المصنف لعبد الرزاق ٣/ ٥٧٧ ح ٦٧٢٧. وهو في المصنف لابن أبي شيبة- أيضاً ٣/ ٢٢٦ كتاب الجنائز باب ١٤٦ ح ٥. عن حسن بن حسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تتخذوا...» الحديث.

وأورده الذهبي في ترجمته من سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٤ رقم ١٨٥ وقال بعد الحديث: هذا مرسل!. وأضاف الذهبي: وما استدل حسن - في فتاؤه - بطائل من الدلالة.

فمن وقف عند الحجرة المقدسة ذليلاً مسلماً مصلياً على نبيه، فيا طوبى له، فقد أحسن الزيارة، وأجمل في التذلل والحب، وقد أتى بعبادة زائدة على من صلى عليه في أرضه، أو في صلاته، إذ الزائر له أجر الزيارة وأجر الصلاة عليه، والمصلي عليه من سائر البلاد له أجر الصلاة فقط. «فمن صلى عليه واحدة صلى الله عليه عشرًا».

ولكن من زاره - صلوات الله عليه - وأساء أدب الزيارة!! أو سجد للقبر!!! أو فعل ما لا يشع!!! فهذا فعل حسناً وسيئاً، فيعلم برفق، والله غفور رحيم.

فوالله ما يحصل الانزعاج لمسلم والصياح وتقبييل الجدران وكثرة البكاء، إلأوهو محب لله ولرسوله، فحبه المعيار والفارق بين أهل الجنة وأهل النار.

فزيارة قبره من أفضل القرب، وشدة الرحال إلى قبور الأنبياء والأولياء - لئن سلمنا أنه غير مأذون فيه، لعموم قوله صلوات الله عليه: «لا تشدوا الرحال إلإإلى ثلاثة مساجد!» - فشد الرحال إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مستلزم لشد الرحل إلى مسجده، وذلك مشروع

بلا نزاع، إذ لا وصول إلى حضرته إلا بعد الدخول إلى مسجده، فليبدأ بتحية المسجد، ثم بتحية صاحب المسجد، رزقنا الله وإياكم ذلك، آمين.

ص: ١٧٥

الحسن بن علي: أنه رأى قوماً عند القبر فنهاهم، وقال: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ حيث ما كنتم، فإنصلاتكم تبلغني».

قلت: قد روى القاضي إسماعيل في كتاب «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم» بسنده إلى عليّ بن الحسين بن عليّ - وهو زين العابدين - أن رجلاً كان يأتي كلّ غداة، فيزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصلي عليه، ويصنع من ذلك ما انتهره عليه عليّ بن الحسين، فقال له عليّ بن الحسين: ما يحملك على هذا؟

ص: ١٧٦

قال: أحبّ التسليم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
فقال له علي بن الحسين: هل لك أن أحدثك حديثاً عن أبي؟
قال: نعم.

فقال له علي بن الحسين: أخبرني أبي، عن جدّي أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلّوا عليّ وسلّموا حيث ما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم» (١).
وهذا الأثر يبيّن لنا أنّ ذلك الرجل زاد في الحدّ، وخرج عن الأمر المسنون، فيكون كلام علي بن الحسين موافقاً لما تقدّم عن مالك، وليس إنكاراً لأصل الزيارة، أو يكون أراد تعليمه: أنّ السلام يبلغ من الغيبة، لما رآه يتكلّف الإكثار من الحضور.
وعلى ذلك يحمل ما ورد عن حسن بن حسن وغيره من ذلك.
ولم يذكر هذا الأثر ليحتجّ به، بل للتأنيس بأمر يحتمل في ذلك الأثر المطلق، وإبداء وجه من وجوه التأويل.
وكيف يتخيّل في أحد من السلف منعهم من زيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهم مجمعون على زيارة سائر الموتى؟!
وسنذكر ذلك، وما ورد من الأحاديث والآثار في زيارتهم.
فالنبى صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء الذين ورد فيهم أنّهم أحياء، كيف يقال فيهم هذه المقالة؟!!

١- فضل الصلاة... للقاضي إسماعيل ص ٣٣، وقال في الصارم ص ٢٩٤ قد رواه أبو يعلى الموصلي والحافظ المقدسي في الأحاديث المختارة، وله شواهد كثيرة. هو خبر محفوظ مشهور.

حديث: لا تجعلوا بيتي عيداً

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا قبري عيداً» فرواه أبو داود السجستاني (١)، وفي سننه عبد الله بن نافع الصائغ، روى له الأربعة ومسلم.

قال البخاري: تعرف حفظه وتنكر.

وقال أحمد بن حنبل: لم يكن صاحب حديث؛ كان ضعيفاً فيه، ولم يكن في الحديث بذاك.

وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ؛ هو لئین تعرف حفظه وتنكر.

ووثقه يحيى بن معين، وقال أبو زرعة: لا بأس به.

وقال ابن عدی: روى عن مالك غرائب، وهو في رواياته مستقيم الحديث (٢).

فإن لم يثبت هذا الحديث فلا كلام، وإن ثبت - وهو الأقرب - فقال الشيخ زكي الدين المنذري: يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات، كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين. قال: ويؤيد هذا التأويل ما جاء في الحديث نفسه: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أي لا تتركوا الصلاة في بيوتكم حتى تجعلوها كالقبور التي لا يصلّى فيها.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد لا - تتخذوا له وقتاً مخصوصاً لا تكون الزيارة إلا فيه، كما ترى كثيراً من المشاهد، لزيارتها يوم معين كالعيد، وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم ليس فيها يوم بعينه، بل أي يوم كان.

١- سنن أبي داود ١/٤٥٣ ح ٢٠٤٢، باب زيارة القبور.

٢- الكامل لابن عدی.

ص: ١٧٨

ويحتمل أيضاً أن يراد أن يجعل كالعيد في العكوف عليه، وإظهار الزينة والاجتماع، وغير ذلك مما يعمل في الأعياد، بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء، ثم ينصرف عنه.
والله أعلم بمراد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم [\(١\)](#).

١- أقول: المحفوظ في بعض النصوص قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تجعلوا بيتي عيداً...» والظاهر أن من رواه بلفظ «قبري» إنما حرّفه، والقرينة على ذلك لفظ «بيوتكم» في ما ورد بلفظ «قبري» وعلى هذا فالمراد منعهم من مرادة بيته والجلوس فيه، للسمر والسهر، وهو أذية للرسول ومزاحمة لحياته، ولمن يريد الاستفادة من علمه، كما ورد في القرآن الكريم في سورة الأحزاب ٣٣ الآية رقم ٥١ قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِزٍ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَسْتَسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيُ مِنَ الْحَقِّ... وللتفصيل محل آخر، فراجع رسالتنا حول «الزيارة». وكتب السيد.

ص: ١٧٩

الباب الخامس: في تقرير كون الزيارة قُربَةً

إشارة

ص: ١٨١

وذلك بالكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس:

أما الكتاب العزيز

أما الكتاب:

ف قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا. دلت الآية على الحث على المجيء إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والاستغفار عنده، واستغفاره لهم، وذلك وإن كان ورد في حال الحياة فهي رتبة له صلى الله عليه وآله وسلم لا تنقطع بموته؛ تعظيماً له. فإن قلت: المجيء إليه في حال الحياة ليستغفر لهم، وبعد الموت ليس كذلك؟ قلت: دلت الآية على تعليق وجدانهم الله تعالى تواباً رحيماً بثلاثة أمور: المجيء، واستغفارهم، واستغفار الرسول. فأما استغفار الرسول: فإنه حاصل لجميع المؤمنين؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ١٨٢

استغفر للمؤمنين والمؤمنات، لقوله تعالى: **وَاسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**.

ولهذا قال عاصم بن سليمان - وهو تابعي - لعبد الله بن سرجس الصحابي رضي الله عنه:

استغفر لك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

فقال: نعم، ولك، ثم تلا هذه الآية، رواه مسلم **(١)**.

فقد ثبت أحد الأمور الثلاثة؛ وهو استغفار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكل مؤمن ومؤمنة، فإذا وجد مجيئهم، واستغفارهم؛ تكملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله ورحمته.

وليس في الآية ما يعين أن يكون استغفار الرسول بعد استغفارهم، بل هي مجملة **(٢)**.

والمعنى يقتضى بالنسبة إلى استغفار الرسول أنه سواء تقدم أم تأخر؟ فإن المقصود إدخالهم لمجيئهم واستغفارهم تحت من يشمله استغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنما يحتاج إلى المعنى المذكور إذا جعلنا **اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ مَعْطُوفًا عَلَى فَاَسْتِغْفَرُوا اللَّهَ أَمَّا إِنْ جَعَلْنَاهُ مَعْطُوفًا عَلَى جَاؤُوكَ لَمْ يَحْتَاجَ إِلَيْهِ**.

هذا كله، إن سلمنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستغفر بعد الموت، ونحن لا نسلم ذلك؛ لما سنذكره من حياتته صلى الله عليه وآله وسلم واستغفاره لأُمَّته بعد موته.

وإذا أمكن استغفاره، وقد علم كمال رحمته وشفقته على أمته، فيعلم أنه لا يترك ذلك لمن جاءه مستغفراً ربّه تعالى.

فقد ثبت على كل تقدير أن الأمور الثلاثة المذكورة في الآية، حاصله لمن

١- صحيح مسلم ٨٦/٧ كتاب الفضائل، باب إثبات خاتم النبوة، وفي طبعه ١٨٢٣/٤ وانظر الشرائع للترمذي رقم ٢٢.

٢- في الصارم ص ٣١٤: «محتملة» بدل: مجملة.

ص: ١٨٣

يجيء إليه صلى الله عليه وآله وسلم مستغفراً في حياته وبعد مماته.

والآية وإن وردت في أقوام معينين في حالة الحياة، فتعمّ بعموم العلة كل من وجد فيه ذلك الوصف في الحياة وبعد الموت. ولذلك فهم العلماء من الآية العموم في الحالتين، واستحبوا لمن أتى إلى قبره صلى الله عليه وآله وسلم أن يتلو هذه الآية، ويستغفر الله تعالى.

وحكاية العتبي في ذلك مشهورة، وقد حكاها المصنّفون في المناسك من جميع المذاهب، والمؤرخون، وكلهم استحسوها، ورأوها من آداب الزائر، وما ينبغي له أن يفعله، وقد ذكرناها في آخر الباب الثالث.

وَأَمَّا السُّنَّةُ

وَأَمَّا السُّنَّةُ: فما ذكرناه في الباب الأوّل والثاني من الأحاديث، وهي أدلّة على زيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم بخصوصه، وفي السنة الصحيحة المتفق عليها الأمر بزيارة القبور.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور، فإنها تذكركم الآخرة».

وقال الحافظ أبو موسى الأصبهاني في كتابه «آداب زيارة القبور»: ورد الأمر بزيارة القبور من حديث بريدة، وأنس، وعلي، وابن عباس، وابن مسعود، وأبي هريرة، وعائشة، وأبي بن كعب، وأبي ذر رضى الله عنهم، انتهى كلام أبي موسى الأصبهاني. فقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم - سيد القبور - داخل في عموم القبور المأمور بزيارتها.

وأما الإجماع

(١)

وأما الإجماع: فقد حكاه القاضى عياض؛ على ما سبق فى الباب الرابع «(٢)». وأعلم: أن العلماء مجمعون على أنه يستحب للرجال زيارة القبور، بل قال بعض الظاهريه بوجوبها؛ للحديث المذكور. وممن حكى إجماع المسلمين على الاستحباب أبو زكريا النووى. وقد رأيت فى «مصنف ابن أبى شيبه» «(٣)» عن الشعبى قال: لولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن زيارة القبور، لزرت قبر بنتى. وهذا إنصح، يحمل على أن الشعبى لم يبلغه الناسخ، مع أن الشعبى لم يصرح بقول له، ومثل هذا لا يقدر. وكذلك رأيت فيه: عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون زيارة القبور «(٤)». وهذا لم يثبت عندنا، ولم يبين إبراهيم الكراهه عمّن؟ ولا كيف هى؟ فقد تكون محموله على نوع من الزيارة مكروهه.

١- لم يتمكن المتعصب العنيد من دفع الإجماع على مشروعية الزيارة، وقول علماء الإسلام بها، إلا بقوله فى الصارم المنكى ص ٣٣٠: إن الإجماع المذكور فى هذه المسألة غير محقق، وإن كان قول من خالف الجمهور ضعيفا!! وشيخ الإسلام؟! لم يذهب إلى هذا القول المخالف لقول الجمهور، وإنما حكاه غيره.

أقول: ومن المعلوم أن مخالفه الضعيف لا- يؤثر فى الإجماع وتحققه، وإنما كان كل قول واحتمال، ممن هب ودب، مؤثرا فى نقض الإجماع، فلم ينعقد إجماع على شىء!!

٢- سبق ص ١٥٥.

٣- المصنف لابن أبى شيبه ٣/ ٢٢٦ كتاب الجنائز ٩ الباب ١٤٦ من كره زيارة القبور ح ١١.

٤- المصنف لابن أبى شيبه الموضوع والباب ح ٩.

ص: ١٨٥

ولم أجد شيئاً يمكن أن يتعلّق به الخصم غير هذين الأثرين «(١)»، ومثلهما لا- يعارض الأحاديث الصريحة الصحيحة، والسنن المستفيضة المعلومة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

بل لوصح عن الشعبى والنخعى التصريح بالكراهة، لكان ذلك من الأقوال الشاذة التى لا- يجوز اتباعها والتعويل عليها؛ فإننا نقطع ونتحقق من الشريعة بجواز زيارة القبور للرجال، وقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم داخل فى هذا العموم.

ولكن مقصودنا إثبات الاستحباب له بخصوصه؛ للأدلة الخاصة، بخلاف غيره ممن لا يستحب زيارة قبره لخصوصه، بل لعموم زيارة القبور، وبين المعنيين فرق كما لا يخفى.

فزيارة صلى الله عليه وآله وسلم مطلوبة بالعموم والخصوص.

بل أقول: إنّه لو ثبت خلاف فى زيارة قبر غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يلزم من ذلك إثبات خلاف فى زيارته؛ لأنّ زيارة القبر تعظيم، وتعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجب.

وأما غيره فليس كذلك.

١- لاحظ استدلال ابن تيمية على منع الزيارة بأسخف من هذين، وهو أنّ مالكاً كره أن يُقال «زرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» لجموع فتاوى ٢٦/٢٧ والصارم ص ٣٢٨.

وأمثال ذلك من الحكايات التى ينطبق عليها قوله فى موضع آخر: قد تكون صدقاً، وقد تكون كذباً، وبتقدير أن تكون صدقاً فإنّ قائلها غير معصوم وممن يعارض النقل الثابت عن المعصوم فى مشروعية الزيارة بنقل من هذه الحكايات غير ثابت حتى عن غير

المعصوم؟ إلّا من يكون من الضالّين المنحرفين عن تقديس الرسول وصحابته كالسفلية والوهابية إخوان الشياطين.

وهذا من أسباب الشرك وتغيير الدين! بحكم ابن تيمية فى مجموع فتاواه ٢٧/١٧١.

زيارة النساء للقبور

ولهذا المعنى أقول- والله أعلم:- إنه لا فرق في زيارته صلى الله عليه وآله وسلم بين الرجال والنساء لذلك، ولعدم المحذور في خروج النساء إليه.

وأما سائر القبور فمحل الإجماع على استحباب زيارتها للرجال.

وأما النساء ففي زيارتهن أربعة أوجه في مذهبتنا:

أشهرها: أنها مكروهة، جزم به الشيخ أبو حامد، والمحاملي، وابن الصبّاغ، والجرجاني، ونصر المقدسي، وابن أبي عصرون، وغيرهم.

وقال الرافعي: إن الأكثرين لم يذكروا سواه.

وقال النووي: قطع به الجمهور، وصرح بأنها كراهة تنزيه.

والثاني: أنها لا تجوز، قاله صاحب «المهذب» وصاحب «البيان».

والثالث: لا تستحب ولا تكره، بل تباح، قاله الروياني.

الرابع: إن كانت لتجديد الحزن والبكاء بالتعديد والنوح- على ما جرت به عادتهن- فهو حرام، وعليه يحمل الخبر، وإن كانت للاعتبار بغير تعديد ولا نياحة كره، إلا أن تكون عجوزاً لا تُشتهى فلا تكره، كحضور الجماعة في المساجد، قاله الشاشي، وفرّق بين الرجل والمرأة: بأن الرجل معه من الضبط والقوة بحيث لا يبكي ولا يجزع، بخلاف المرأة.

واحتج المانعون بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله زوّارات القبور» رواه الترمذي في حديث أبي هريرة، وقال: حسن صحيح، ورواه ابن ماجه من حديث حسان بن ثابت (١).

١- سنن الترمذي ٢/ ٢٥٩ ح ١٠٦١، باب ما جاء في كراهية زيارة القبور للنساء، وفيه: عن أبي هريرة: ان رسول الله لعن ... ورواه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٧٨ وسنن ابن ماجه ١/ ٥٠٢ ح ١٥٧٤، باب ما جاء في زيارة القبور، والموجود في المطبوع: عن حسان بن ثابت: لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوّارات القبور، لا ما نقله في المتن من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله ...»، وقد روى بعده عن ابن عباس وأبي هريرة مثله. وحديث حسان رواه الحاكم في مستدرکه ١/ ٣٧٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٧٨، لكن في كتر العمال ١٦/ ٣٨٨ رقم ٤٥٠٣٨: «لعن الله زوّارات القبور» حم ت ه ك. عن حسان: وحم ت ه عن أبي هريرة فليلاحظ، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣/ ٢٢٦ كتاب ٩ باب ١٤٦ ج ١٠ وفيه: زائرات.

ص: ١٨٧

واحتجّ المجوزون بأحاديث:

منها: قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها» (١).

وأجاب المانعون بأنّ هذا الخطاب للذكور.

ومنها: قولهم صلى الله عليه وآله وسلم للمرأة التي رآها عند قبر تبكى: «اتقى الله واصبرى» ولم ينهها عن الزيارة.

وهو استدلال صحيح.

ومنها: قول عائشة: كيف أقول؟ يا رسول الله!

قال: «قولى السلام على أهل الديار من المؤمنين».

وسنذكره فى خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم للبيعة.

وهو استدلال صحيح.

الاستدلال على استحباب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقياس

وقد خرجنا عن المقصود، فنرجع إلى غرضنا: وهو الاستدلال على أنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرينة.

ومما يدلّ على ذلك القياس؛ وذلك على زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم البيعة وشهداء

١- المصنف لابن أبي شيبة ٣/ ٢٢٣ كتاب ٩ الجنائز، الباب ١٤٥ من رخص فى زيارة القبور ح ١.

ص: ١٨٨

أحد- وسنبين أنّ ذلك غير خاصّ بهصلى الله عليه وآله وسلم بل مستحبّ لغيره- وإذا استحَبَّ زيارة قبر غيره صلى الله عليه وآله وسلم فقبره أولى؛ لما له من الحقّ ووجوب التعظيم.

فإن قلت: الفرق: أنّ غيره يزار للاستغفار له؛ لاحتياجه إلى ذلك، كما فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيارته أهل البقيع، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مستغني عن ذلك؟

قلت: زيارته صلى الله عليه وآله وسلم إنما هي لتعظيمه، والتبرّك به، ولتنالنا الرحمة بصلاتنا وسلامنا عليه، كما أنا مأمورون بالصلاة عليه والتسليم، وسؤال الوسيلة، وغير ذلك ممّا يعلم أنّه حاصل لهصلى الله عليه وآله وسلم بغير سؤالنا، ولكنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرشدنا إلى ذلك؛ لنكون بدعائنا له متعرّضين للرحمة التي ربّها الله تعالى على ذلك.

فإن قلت: الفرق أيضاً: أنّ غيره لا يخشى فيه محذور، وقبره صلى الله عليه وآله وسلم يخشى الإفراط من تعظيمه أن يُعبد؟! قلت: هذا كلام تقشعرّ منه الجلود، ولولا خشية اغترار الجهّال به لما ذكرته، فإنّ فيه تركاً لما دلّت عليه الأدلّة الشرعية بالآراء الفاسدة الخيالية!

وكيف تقدم- على تخصيص قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور» وعلى ترك قوله:

«من زار قبري وجبت له شفاعتي» وعلى مخالفة إجماع السلف والخلف- بمثل هذا الخيال الذي لم يشهد به كتاب ولا سنة؟! بخلاف النهي عن اتخاذ مسجداً، وكون الصحابة احترزوا عن ذلك المعنى المذكور؛ لأنّ ذلك قد ورد النهي فيه.

وليس لنا نحن أن نشرع أحكاماً من قبلنا: أمّ لهم شرّكاً شرّعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله.

فمن منع زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله! وقوله مردود عليه، ولو فتحنا باب هذا الخيال الفاسد لتركنا كثيراً من السنن، بل ومن الواجبات.

والقرآن كلّهُ، والإجماع المعلوم من الدين بالضرورة، وسير الصحابة

ص: ١٨٩

والتابعين، وجميع علماء المسلمين، والسلف الصالحين؛ على وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمبالغة في ذلك. ومن تأمل القرآن العزيز، وما تضمنه من التصريح والإيماء إلى وجوب المبالغة في تعظيمه وتوقيره والأدب معه، وما كانت الصحابة يعاملونه به من ذلك، امتلاً قلبه إيماناً، واحتقر هذا الخيال الفاسد، واستنكف أن يصغى إليه، والله تعالى هو الحافظ لدينه: وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وعلماء المسلمين متكفلون بأن يبينوا للناس ما يجب من الأدب والتعظيم، والوقوف عند الحد الذي لا يجوز مجاوزته؛ بالأدلة الشرعية، وبذلك يحصل الأمن من عبادة غير الله تعالى.

ومن أراد الله ضلاله من أفراد الجهال، فلن يستطيع أحد هدايته.

فمن ترك شيئاً من التعظيم المشروع لمنصب النبوة؛ زاعماً بذلك الأدب مع الربوبية، فقد كذب على الله تعالى، وضيع ما أمر به في حق رسله.

كما أن من أفرط وجاوز الحد إلى جانب الربوبية فقد كذب على رسل الله، وضيع ما أمروا به في حق ربهم سبحانه وتعالى. والعدل حفظ ما أمر الله به في الجانيين.

وليس في الزيارة المشروعة من التعظيم ما يفضى إلى محذور «(١)».

١- وعند هذا الموضع، قد انقطع ابن عبد الهادي عن رده السخيف على الإمام السبكي، فصرم الله عمره وبتره بما أبداه على هذا الإمام الهمام من التعدي والظلم وقد ترك ما بقي من الكتاب، وهو القسم الأكبر والأهم ويحتوي على الأبواب الخمسة المتبقية من الباب السادس إلى الباب العاشر التي جاء فيها الإمام السبكي بالعجب العجاب من الكلام الحكيم القويم، والفقهاء الصائب، والحق الصراح. وقد شرحنا جانباً من أسباب نكوص السلفي البغيض عن التعرض لهذه الأبواب في المقدمة، فراجع.

أقسام الزيارة

واعلم: أن زيارة القبور على أقسام:

القسم الأول: أن تكون لمجرد تذكّر الموت والآخرة.

وهذا يكفي فيه رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها، ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم، ولا من التبرّك بهم، ولا من أداء حقوقهم، وهو مستحب؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور؛ فإنّها تذكركم الآخرة».

وذلك لأنّ الإنسان إذا شاهد القبر تذكّر الموت وما بعده، وفي ذلك عظة واعتبار.

وهذا المعنى ثابت في جميع القبور، ودلالة القبور على ذلك متساوية، كما أنّ المساجد - غير المساجد الثلاثة - متساوية لا يتعين شيء منها بالتعيين بالنسبة إلى هذا الغرض.

القسم الثاني: زيارتها للدعاء لأهلها، كما ثبت من زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل البقيع.

وهذا مستحب في حق كل ميت من المسلمين.

القسم الثالث: للتبرّك بأهلها إذا كانوا من أهل الصلاح والخير.

وقد قال أبو حميد الشارمساحي المالكي: إنّ قصد الانتفاع بالميت بدعة، إلّا في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

وهذا الذي استثناه من قبور الأنبياء والمرسلين صحيح.

وأما حكمه في غيرهم بالبدعة ففيه نظر، ولا ضرورة بنا هنا إلى تحقيق الكلام فيه؛ لأنّ مقصودنا أنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرّك بهم مشروع، وقد صرح به.

القسم الرابع: لأداء حقهم، فإنّ من كان له حق على الشخص، فينبغي له برّه

ص: ١٩١

في حياته، وبعد موته، والزيارة من جملة البر؛ لما فيها من الإكرام، ويشبه أن تكون زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه من هذا القبيل، كما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم: أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور، فإنها تذكركم الموت» رواه مسلم (١).

ويدخل في هذا المعنى الزيارة رحمة للميت ورقته له وتأنيساً، فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه، إلّا عرفه وردّ عليه السلام».

ذكره جماعة، وقال القرطبي في «التذكرة»: إن عبدالحقّ صححه، ورؤيناه في «الخلعيات» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً. والآثار في انتفاع الموتى بزيارة الأحياء، وما يصل إليهم منهم، وإدراكهم لذلك، لا تحصر.

اجتماع الأغراض الشرعية في زيارة النبي خير البرية

إذا عرف هذا، فنقول: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثبت فيها هذه المعاني الأربعة:
أما الأول: فظاهر.

وأما الثاني: فلأننا مأمورون بالدعاء له صلى الله عليه وآله وسلم وإن كان هو غيباً بفضل الله عن دعائنا.

وأما الثالث والرابع: لأنه لا أحد من الخلق أعظم بركة منه، ولا أوجب حقاً علينا منه، فالمعنى الذي في زيارة قبره لا يوجد في غيره، ولا يقوم غيره مقامه، كما

١- صحيح مسلم ٦٥/٣ كتاب الجنائز، باب استئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيارة قبر أمه.

ص: ١٩٢

أنَّ المسجد الحرام لا- يقوم غيره مقامه، ومن ها هنا شُرِّعَ قصده بخصوصه ويتعيَّن، بخلاف غيره من القبور، هذا لو لم يرد في زيارته دليل خاص، فكيف وقد ورد في زيارته بخصوصه ما سبق من الأحاديث! وغيره لم يرد فيه إلَّا الأدلة العامَّة.

فزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم مستحبَّة بعينها؛ لما ثبت من الأدلة الخاصَّة، ولما فيها من المعاني العامَّة التي لا تجتمع في غيره. وأمَّا زيارة قبر غيره؛ فهي مستحبَّة بالإطلاق.

وقد تقدّمت النصوص الدالَّة على استحباب زيارة القبور، وحكاية الإجماع على ذلك، وأنَّ من الناس من قال بوجوبها. وفي كتاب «النوادر» لابن أبي زيد من «كتاب ابن حبيب»: ولا بأس بزيارة القبور، والجلوس إليها، والسلام عليها عند المرور بها، وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قدم ابن عمر من سفر وقد مات أخوه عاصم، فذهب إلى قبره فدعا له واستغفر- وفي غير «كتاب ابن حبيب»:- ورثاه فقال:

فإن تك أحزان وفائض دمعهُ جرين دماً من داخل الجوف منقعا

تجرّعتها من عاصم واحتسيتها فأعظم منها ما احتسى وتجرّعا

فليت المنايا كنّ خلفن عاصماً فعشنا جميعاً أو ذهبن بنا معا

دفعنا بك الأيام حتّى إذا أتت ترديدك لم نسطع لها عنك مدفعا

قال ابن حبيب: وفعلته عائشَةُ رضی اللّٰه عنها لَمَّا مات أخوها عبدالرحمان وهي غائبة، فلَمَّا قدمت أتت قبره، فدعت له واستغفرت.

قال: وقد خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى البقيع يستغفر لهم.

وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا سلّم على أهل القبور يقول: «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم

ص: ١٩٣

لاحقون، اللهم ارزقنا أجرهم، ولا تفتننا بعدهم».

والقول في ذلك واسع بقدر ما يحضر منه.

ويدل على التسليم على أهل القبور ما جاء من السنة في التسليم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر مقبورين.

وقد أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبور شهداء احد، فسلم عليهم، ودعا لهم.

ومن «المجموعة» عن مالك: أنه سئل عن زيارة القبور؟

فقال: قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عنه، ثم أذن فيه، فلو فعله إنسان ولم يقل إلا خيراً، لم أر به بأساً، وليس من عمل

الناس.

وروى عنه أنه كان يضعف زيارتها.

قال ابن القرطبي «(١)»: وإنما أذن في ذلك ليعتبر بها، إلقاءً من سفر، وقد مات وليه في غيبته، فليدع له وليترحم عليه، ويؤتى قبور

الشهداء باحد، ويسلم عليهم، كما يسلم على قبره صلى الله عليه وآله وسلم وعلى ضجيعيه، انتهى كلام ابن أبي زيد في «النوادر».

وما وقع في كلام ابن حبيب من قوله: «ولا بأس» قد يوهم أنه مباح، ولكن ذلك لا ينافي كونه سنة، ولعل زيارة القبور عنده من قبيل

عيادة المرضى ونحوها من القربات التي لم توضع بأصلها عبادة؛ على ما سيأتي عند الكلام في نذر الزيارة.

وإذا اريد هذا المعنى فلا يبعد الموافقة عليه، فإن زيارة الموتى كزيارة الأحياء، وزيارة الأحياء لا يقول: بأنها وضعت عبادة، بل تفعل

على قصد التقرب تارة، فيثاب عليها، وعلى غير قصد التقرب تارة، فلا يثاب، وتكون إما مباحة، أو غير مباحة بحسب قصده، وهكذا

زيارة القبور.

جهة القربة في زيارة القبور

وجهة القربة فيها على أنواع:

منها: الاعتبار، وهو مستحب لكل أحد.

ومنها: الترحم والدعاء، وهو مؤكد لمن مات قربه في غيبته، كما فعل ابن عمر حين قدم بعد موت أخيه عاصم، وكان ابن عمر إذا قدم

وقد مات بعض ولده قال: دلوني على قبره، فيدلونه عليه، فينطلق فيقوم عليه، ويدعو له، رواه ابن أبي شيبه [\(١\)](#).

وكما فعلته عائشة حين مات أخوها عبدالرحمان، وكان قد مات بالحِشَى - والحِشَى على اثني عشر ميلاً من مكة، هكذا في كتاب ابن

أبي شيبه عن ابن جريج - فحَمِلَ حَتَّى دَفِنَ بِمَكَّةَ، فقدمت عائشة من المدينة، فأنت قبره فوقفت عليه، فتمثلت بهذين البيتين:

وكنا كندمانى جذيمة حقبه من الدهر حتى قيل: لن يتصدعا

فلما تفرقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نبت ليله معا

أما والله لو شهدتك ما زرتك، ولو شهدتك ما دفنتك إلفي مكانك الذي مت فيه [\(٢\)](#).

وروى ابن سعد في «الطبقات» [\(٣\)](#) بسنده إلى ابن أبي مليكة قال: رحمت من منزلي وأنا أريد منزل عائشة، فتلقنتني على حمار، فسألت

بعض من كان معها.

قال: زارت قبر أخيها عبدالرحمان.

١- المصنّف لابن أبي شيبه ٣/ ٢٢٤ كتاب ٩، الجنائز، باب ١٤٥ ح ٩.

٢- المصنّف لابن أبي شيبه نفس الموضوع والباب ح ٨ باختلاف يسير.

٣- الطبقات الكبير لابن سعد.

ص: ١٩٥

وفي «السير الكبير» (١) لمحمد بن الحسن تصنيف شمس الأئمة السرخسي الحنفي: أنها جاءت من المدينة حاجه أو معتمره، فزارت قبره.

وقال في قولها: «لو شهدتك ما زرتك» إنما قالت ذلك لإظهار التأسف عليه حين مات في الغربه، وإظهار عذرها في زيارته، فإن ظاهر قولها صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله زوارات القبور» يمنع النساء من زيارة القبور.

قال: والحديث وإن كان متأولاً، فلحشمه ظاهرة قالت ما قالت، انتهى.

ومقصودنا: أن زيارة ما عدا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما يثاب الشخص على فعله، وقد يتأكد بحسب بعض الأحوال، فزيارة القريب أكد من غيره، وتطلب لمعنى فيه مختص به؛ وهو القرابه، وزيارة غير القريب أيضاً مستحبه؛ للاعتبار والترحم والدعاء، وذلك عام في كل المسلمين، وسيأتي من نصوص المالكيه في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم جمله اخرى في الباب السابع (٢).

وإذا زار قبراً معيناً، يكون مؤدياً للسنة بما تضمنه من زيارة جنس القبور، ولا نقول: إن زيارة ذلك القبر المعين بخصوصه سنة، حتى يرد فيها فضل خاص، أو نعرف صلاحه، فإن زيارة جميع الصالحين قربه، كما يقولون: إن الصلاة في المسجد مطلوبه، ولا نقول: الصلاة في مسجد بعينه مطلوبه، إلأى الثلاثة التي شهد الشرع بها، ويقوم ما هو الأفضل منها، كالمسجد الحرام عن غيره.

وإذا ظهر لك تنظير زيارة القبور بإتيان المساجد، فمتى كان المقصود بالزيارة تذكّر الموت، لا يشرع فيها قصد قبر بعينه، وإنصح عن أحد من العلماء أنه يمنع من شد الرحال إلى زيارة القبور - كما نقل عن ابن عقيل، وكما وقع في «شرح مسلم» - فليحمل على هذا القسم.

١- السير الكبير ١/ ٢٣٦ رقم ٣٠٣ باب الشهيد ما يصنع به؟

٢- سيأتي في ص ٢٣١.

ص: ١٩٦

وكذلك إذا كان المقصود التبرك ممن لا يقطع له بذلك؛ وإن كنا نستحب زيارة قبور الصالحين من حيث الجملة، ونرجو البركة بزيارتها أكثر مما يستحب زيارة مطلق القبور.

وأما من يقطع ببركته - كقبور الأنبياء، ومن شهد الشرع له بالجنه، كأبي بكر وعمر - فيستحب قصده.

ثم هم في ذلك على مراتب؛ أعظمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما أن المساجد المشهود لها بالفضل على مراتب، أعظمها المسجد الحرام.

ولا تشد الرحال في هذا القسم إلى قبر أحد غير الأنبياء.

وإذا كان المقصود الدعاء من غير حق خاص لذلك الميت، فلا يتعين أيضاً.

نعم، لو نذر لميت بعينه ممن يجوز الدعاء له، وجب الوفاء بالدعاء؛ لتعلق حقه به، ولا يقوم غيره مقامه، كما لو نذر الصدقة على فقير بعينه.

وفي وجوب الوفاء بالزيارة مع الدعاء - كما [لو] نذره - نظر، والأقرب وجوب الوفاء؛ لأن الدعاء عند القبور مقصود، كما في الدعاء لأهل البقيع، وحينئذ يجوز شد الرحل لأداء هذا الواجب بعد لزومه بالنذر، ولا يستحب شد الرحل لهذا الغرض قبل النذر، فإن الدعاء لذلك الميت بعينه عند قبره لم يطلبه الشارع، ولا تعلق به حق الميت.

وأما الزيارة لأداء الحق، كزيارة قبر الوالدين، فيظهر أن قصد ذلك بعينه مشروع، ويجوز، بل يستحب شد الرحال إليه؛ تأدياً لهذا الحق. وأعظم الحقوق حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيستحب شد الرحال إليه لذلك.

هذا لو لم يرد فيه دليل خاص، فكيف، وقد قام الإجماع على فعله خلفاً عن سلف؟!!

فإن قلت: ما قولكم فيمن نذر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، هل ينعقد نذره ويلزمه

ص: ١٩٧

ذلك، أم لا؟ فإن مقتضى قولكم باستجابها أن يلزم بالنذر.

قلت: نعم، نقول بانعقاد نذره، ولزوم الزيارة به، وبهصرح القاضي ابن كجج من أصحابنا، ولم نر لغيره من الأصحاب خلافه، وقد قدمنا في الباب الرابع عن العبدى المالكي لزومه، على أنه لا يلزم أن كل مستحب أو قربة يلزم بالنذر، فإن القربات نوعان:

أحدهما: قربة لم توضع لتكون عبادة، وإنما هي أعمال وأخلاق مستحسنه، رغب الشارع فيها لعموم فائدتها، وقد يتغى فيها وجه الله تعالى فينال الثواب، كعبادة المرضى، وزيارة القادمين، وإفشاء السلام، وما أشبه ذلك.

فهذا النوع في لزومه بالنذر وجهان، أصحهما اللزوم؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه» ومن هذا النوع تشييع الجنائز، وتشميت العاطس.

والنوع الثاني: في العبادات المقصودة، وهي التي وضعت للتقرب بها، وعرف من الشرع الاهتمام بتكليف الخلق بإيقاعها عبادة، كالصلاة، والصوم، والصدقة، والحج، فهذا النوع يلزم بالنذر بالإجماع إلأى ما يستثنى.

ومنهم من يعبر عن النوع الأول بـ «ما لم يوجبه الشرع ابتداء» وعن الثاني بـ «ما أوجبه» وأدرجوا الاعتكاف في النوع الثاني وإن كان لم يجب ابتداء، وقالوا:

الاعتكاف لبث في مكان مخصوص، ومن جنسه ما هو واجب شرعاً، وهو الوقوف بعرفات.

وجعلوا من النوع الأول تجديد الوضوء، فإنه ليس في الشرع وضوء واجب بغير حدث، وليس الوضوء مقصوداً لنفسه، بل للصلاة، والأصح لزوم تجديده بالنذر.

ص: ١٩٨

والمستثنى مما اجمع عليه صور:

منها: ما إذا أفرد صفة الواجب بالإلزام، كتطويل القراءة، وإقامة الفرائض في جماعة، ففي لزومه بالنذر وجهان، أصحهما اللزوم. ومنها: ما فيه إبطال رخصة شرعية، كنذر صوم رمضان في السفر، ففي لزومه وجهان، أصحهما المنع، وكذلك نذر المريض القيام بتكلف المشقة في الصلاة، ونذر صوم بشرط أن لا يفطر في المرض، فلا يلزم بالشرط، على الأصح. وأجرى الرافعي الوجهين فيمن نذر القيام في النوافل، أو استيعاب الرأس بالمسح، أو التثليث في الوضوء، أو أن يسجد للتلاوة والشكر ونحو ذلك، وجعل نذر فعل السنة الراتبه - كالوتر، وسنة الفجر - على الوجهين فيما إذا أفردت الصفة بالنذر، والذي يتجه التسوية بين هذا وبين استيعاب الرأس بالمسح ونحوه.

وإذا نذر التيمم، لا ينعقد نذره على المذهب؛ لأنه إنما يؤتى به عند الضرورة.

ولو نذر الصلاة في موضع لزمه الصلاة قطعاً، وهل يتعين ذلك الموضع؟

إن كان المسجد الحرام تعين، وإن كان مسجد المدينة تعين على الأصح هو أو المسجد الحرام، وإن كان المسجد الأقصى تعين على الأصح هو أو المسجدان، وإن كان ما سواها من المساجد والمواضع لم يتعين.

ولو نذر إتيان المسجد الحرام لزمه، إلا على وجه ضعيف.

ولو نذر إتيان مسجد المدينة والمسجد الأقصى، ففيه قولان للشافعي، أظهرهما عند الشافعية عدم اللزوم.

قال الشافعي في «الأم» (١): «لأن البرّ بإتيان بيت الله فرض، والبرّ بإتيان هذين نافله».

ص: ١٩٩

واستدلوا لهذا القول بما روى أبو داود في «سننه» (١) عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: أن رجلاً قام يوم الفتح فقال: يا رسول الله، إني نذرت لله إن فتح الله عليك مكة أن أصلي في البيت المقدس ركعتين.

قال: «صلِّها هنا». ثم أعاد. قال: «صلِّها هنا». ثم أعاد عليه. فقال: «صلِّها هنا». ثم أعاد عليه. فقال: «شأنك إذن».

وعن عمر بن عبد الرحمان بن عوف، عن رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الخبر، زاد، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي بعث محمداً بالحق، لو صلَّيتُها هنا لأجزأ عنك صلاة في البيت المقدس».

واعلم: أن الصلاة في مكة تجزئ عن الصلاة في بيت المقدس - كما قدمناه - بلا خلاف.

وإن قلنا بتعينه، فقد يقال: إن الحديث محمول على ذلك، وإنه لا دلالة له فيه على المدعى من عدم لزوم الإتيان.

ووجه الدلالة: أن الصلاة في مكة تقوم مقام الصلاة في بيت المقدس؛ لأنهما جنس واحد، والصلاة بمكة أفضل، فالتضعيف الذي ألزمه في بيت المقدس يحصل له في مكة وزيادة، وأما المشى فأمر زائد على الصلاة، وهو عبادة أخرى، فلو لزم لما قامت الصلاة بمكة مقامه، فمن لزمه الصلاة ببيت المقدس من غير مشى - بأن كان وقت النذر ببيت المقدس - فلا شك أن الصلاة بمكة تجزيه.

ومن نذر المشى إلى بيت المقدس والصلاة فيه، فهما عبادتان، فإن قلنا بعدم لزوم إتيانه لم يبق عليه إلا الصلاة، فتجزيه الصلاة بمكة، وإن قلنا يجب إتيانه فيظهر أن الصلاة لا تقوم مقامه، ولو مشى إلى مكة - من مسافة - مثل المسافة التي بينه

١- سنن أبي داود ١٠٢/٢ باب ٢٤ من نذر أن يصلي في بيت المقدس، ح ٣٣٠٥.

ص: ٢٠٠

وبين بيت المقدس - أجزاءه.

وصيغته الحديث، كما رؤينا، لم يصرح فيه بإتيان بيت المقدس، فيحتمل أن يقال: إنما التزم الصلاة، فلذلك قامت الصلاة في مكة مقامها.

ويحتمل أن يقال: إن الناذر لم يكن في بيت المقدس، فهو بنذره للصلاة ملتزم إتيانه؛ بناءً على أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وحينئذ يكون الإتيان ملتزماً، لو صرح به، فلما أفتاه النبي صلى الله عليه و آله و سلم بالصلاة في مكة، دلّ على عدم لزوم الإتيان بالنذر، كما استدلل به الشافعي والأصحاب.

وقد أطلنا في هذا الفصل أكثر مما يحتمله هذا المكان، وظهر لك منه أن القربات:

منها: ما يلزم بالنذر بلا خلاف.

ومنها: ما يلزم على الصحيح.

ومنها: ما لا يلزم على الصحيح.

وظهر لك مأخذ كل قسم منها، والصحيح عندنا أنه لا يشترط في المنذور أن يكون جنسه واجباً، وهو مذهب مالك، والوجه الثاني لأصحابنا اشتراطه، وينقل عن أبي حنيفة.

زيارة قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم قرينة

إذا عرفت هذا، فزيارة قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم قرينة؛ لحث الشرع عليها، وترغيبه فيها، وقد قدمنا أن فيها جهتين: جهة عموم، وجهة خصوص:

فأما من جهة الخصوص وكون الأدلة الخاصة وردت فيها بعينها، فيظهر القطع بلزومها بالنذر؛ إلحاقاً لها بالعبادات المقصودة التي لا يؤتى بها إلا على وجه العبادة، كالصلاة، والصدقة، والصوم، والاعتكاف.

ص: ٢٠١

ولهذا المعنى - والله أعلم - قال القاضي ابن كج رحمه الله: إذا نذر أن يزور قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعندى أنه يلزمه الوفاء وجهاً واحداً، ولو نذر أن يزور قبر غيره ففيه وجهان.

قلت: وما قاله من القطع بلزوم الوفاء بها هو الحق؛ لما قدّمناه من الأدلة الخاصّة عليها، وتردّده في قبر غيره:

يحتمل أن يكون محلّه عند الإطلاق، وسواء لو عين أم لا؟ تشبيهاً لذلك بزيارة القادمين، وإفشاء السلام، ونحو ذلك ممّا لم يوضع قربه مقصوده وإن كان قربه، وعلى هذا يكون الأصح لزومه بالنذر، كما في تلك المسائل.

ويحتمل أن يكون محلّه عند التعيين، فإنّ زيارة قبر معيّن من غير الأنبياء لا قربه فيها بخصوصها، كما سبق عند الكلام في أغراض الزيارة.

وأما إذا نظرنا إلى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة العموم خاصّة، واجتماع المعاني التي تقصد بالزيارة فيه، فيظهر أن يقال أيضاً: إنّه يلزم بالنذر قولاً واحداً.

ويحتمل على بُعيد أن يقال: إنّه كما لو نذر زيارة القادمين وإفشاء السلام، فيجرى في لزومها بالنذر ذلك الخلاف، مع كونها قربه في نفسها قبل النذر وبعده.

وقد بان لك بهذا: أنّها تلزم بالنذر، وأنّه على تقدير أن يقال: «لا تلزم بالنذر»، لا يخرجها ذلك عن كونها قربه.

ومن يشترط في المنذور أن يكون ممّياً وجب جنسه بالشرع، ويقول: إنّ الاعتكاف كذلك؛ لوجوب الوقوف، فقد يقول: إنّ زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجب جنسها، وهى الهجرة إليه في حياته.

فقد ظهر بهذا: أنّ كلّ ما يلزم بالنذر قربه، وليس كلّ قربه تلزم، وزيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من القرب التي تلزم بالنذر، ولو ثبت عن أحد من العلماء أنه يقول: «لا تلزم بالنذر»، لم يكن في ذلك ما يقتضى أنه يقول: إنّها ليست بقربه.

ص: ٢٠٢

وقد وقفت على كلام بعض المتعصّين للباطل قال فيه: إنّ القاضى إسماعيل قال فى «المبسوط»: إنّهُ روى عن مالك: أنّه سئل عمّن نذر أن يأتى قبر النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فليأتته، وليصلّ فيه، وإن كان إنّما أراد القبر فلا يفعل؛ للحديث الذى جاء «لا تعمل المطىّ إلّا إلى ثلاثة مساجد».

وهذه الرواية - إنصحت عن مالك! - يجب تأويلها على وجه لا يمنع كون الزيارة قرية؛ جمعاً بينها وبين ما ثبت عنه وعن جميع العلماء وجميع المسلمين.

وهذه الرواية تحتل وجوهاً:

أحدها: أن تكون من القرب التى لا تلزم بالنذر، كما أن إتيان مسجد قباء لمن كان فى المدينة أو قريباً منها قرية عند جميع العلماء، ولا يلزم بالنذر عند جمهور العلماء، إلّا ما روى عن محمّد بن مسلمة المالكيّ: أنّه قال بلزومه بالنذر.

الثانى: الجواب المذكور، ولكن بالنسبة إلى البعيد خاصّة، كما دلّ عليه بقيّة الكلام من الاستدلال بالحديث الذى جاء: «لا تعمل المطىّ إلّا إلى ثلاثة مساجد» فيكون المراد أنّه إذا نذر السفر إليه لا يلزم، ولا يمنع ذلك كون السفر إليه قرية بغير النذر، كمسجد قباء فى حقّ القريب عند غير محمد بن مسلمة، ولا يمنع أيضاً من لزوم الزيارة فى حقّ القريب، كما قاله محمّد بن مسلمة فى مسجد قباء، وهذا الوجه هو أقرب التأويلات على قواعد مالك رحمه الله تعالى.

قال فى «التهذيب للمسائل المدوّنة»: من قال: «على أن آتى المدينة» أو «بيت المقدس» أو «المشى إلى المدينة» أو «بيت المقدس» فلا يأتها حتّى ينوى الصلاة فى مسجديهما، أو يسمّيهما فيقول: «إلى مسجد الرسول» أو «مسجد إيلياء» وإن لم ينو الصلاة فيهما فليأتها ركباً، ولا هدى عليه، وكأنّه لمّا سمّاها قال: «لله على أن اصلىّ فيهما». ولو نذر الصلاة فى غيرهما من مساجد الأمصار، صلّى بموضعه، ولم يأتته.

ومن نذر أن يربط أو يصوم بموضع يتقرّب بإتيانه إلى الله تعالى - كعسقلان

ص: ٢٠٣

والإسكندرية- لزمه ذلك فيه، وإن كان من أهل مكّة والمدينّة، ولا يلزم المشى إلّا من قال: «علّى المشى إلى مكّة» أو «بيت الله» أو «المسجد الحرام» أو «الكعبة» أو «الحجر» أو «الركن» انتهى كلام «التهذيب».

وهو يدلّ على أنّه إنّما يلزم إتيان المدينة إذا سمّى مسجدها، أو نوى الصلاة فيه، فما عدا هذا لا يلزم بالنذر، وإن كان قربةً. الثالث: إنّنا قدّمنا أنّ زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلوبة بالخصوص؛ للأحاديث التي صدرنا بها هذا الكتاب، ولعمل السلف والخلف، ومطلوبة بالعموم؛ لاندراجها تحت الأحاديث الصحيحة المشهورة في زيارة القبور. واللزوم بالنذر ظاهر من الجهة الاولى، وأما من الجهة الثانية، فقد قدّمنا أنّ مقاصد الزيارة متعدّدة، وزيارة القبور- من حيث الجملة- كزيارة القادمين، وقد قدّمنا في لزوم زيارة القادمين بالنذر خلافاً مع القطع بكونها قربةً، وزيارة القبور- من حيث الجملة- مثله. وزيارة قبر معيّن إن قصد بها الدعاء له أو أداء حقّه، ظهر اللزوم؛ لحقّ الميت، وإن قصد التبرّك ظهر اللزوم أيضاً في قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعيينه دون غيره، وإن قصد الاتعاظ لم يتعيّن، وكان لزوم أصل الزيارة على الخلاف، وإن لم يقصد شيئاً فأبعد عن اللزوم.

والسائل لمالك رحمه الله إنّما ذكر مجرّد الإتيان، فلعلّ مالكا لم يلزمه لذلك، ولعلّ مالكا رحمه الله لم تبلغه الأحاديث الخاصّة الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الخصوص، وإنّما يدرجه تحت الأحاديث الواردة في زيارة القبور، وإن كان هو أشرفها وأحقّها بالزيارة، ولا يلزمه بالنذر لذلك في حقّه، ولا في حقّ غيره.

الرابع: أنّ إتيان القبر قد يقصد زيارة من فيه، وهو الذي نقول: بأنّه قربةً، وهو الذي يقصده الناس غالباً.

ص: ٢٠٤

وقد يقصد زيارة المكان في نفسه لشرفه، وهذا لا نقول بأنه قربه إلّا فيما شهد الشرع به، فلعلّ مالكاً رحمه الله أجاب على ذلك. ويدلّ على أنّ هذا مراده استدلاله بالحديث الذي جاء «لا تعمل المطىّ إلّا إلى ثلاثة مساجد». وسنبيّن بياناً واضحاً: أنّ الحديث إنّما هو في السفر للأمكنة، لا للمقاصد التي فيها، ومالك أجّل وأعلم وأوسع باعاً وأعلى كعباً من أن يخفى عليه ذلك، فاستدلّ به يدلّ على أنّه أراد المكان، فيكون مراده أنّ زيارة القبر من حيث هو تلك البقعة ليس بقربه، وهو يوافق ما حمل القاضي عياض عليه قوله: «زرت قبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم». وحينئذ فإمّا أن نوافق مالكاً رحمه الله على ذلك؛ عملاً بقوله رحمه الله: «لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد» ويحمل قوله: «من زار قبري» على أنّ المراد من زارني في قبري، كما هو الظاهر المتبادر إلى الفهم. وأما إن يقال: إنّ زيارة قبره أيضاً قربه بقوله: «من زار قبري» وهذا أخصّ من قوله: «لا تشدّ الرحال» فيخصّص به. إلّا أنّ كليهما أعمّ وأخصّ من وجه، فلا يقضى بتخصيص أحدهما للآخر. والأولى أنّ المراد بقوله: «من زار قبري»: من زارني في قبري، ويكون قصد البقعة نفسها ليس بقربه، كما اقتضاه كلام مالك رحمه الله. فقد بان بهذا معنى كلام مالك رحمه الله، وأنّه ليس فيه ما يقتضى أنّ الزيارة ليست بقربه، ولا أنّ السفر إليها ليس بقربه، بل هي قربه عند جميع العلماء، ولهذا لو نذر الإتيان إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قلنا: بأنّه يلزمه، وأنّه يشترط ضمّ قربه إلى الإتيان، قال الشيخ أبو عليّ السنجيّ من أصحابنا: إنّهُ يكتفى بالزيارة، وقال الرافعي: إنّهُ الظاهر، وتوقف فيه الإمام؛ من جهة أنّ الزيارة لا تتعلق بالمسجد

ص: ٢٠٥

وتعظيمه، وليس توقّفه لكون الزيارة ليست قرينة، هذا لم يقله أحد.

وقد قدّمنا في الباب الرابع «(١)» من كلام العبدى المالكيّ التصريح بأنّ المشى إلى المدينة للزيارة، أفضل من الكعبة ومن بيت المقدس.

١- تقدّم ص ١٥٠

الباب السادس: فى كون السفر إلى زيارته صلى الله عليه و آله و سلم قرينة

وذلك من وجوه: أحدها: الكتاب العزيز:

فى قوله تعالى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ... الآية.

وقد تقدم تقريرها فى الباب الخامس «(١)».

والمجىء صادق على المجىء من قرب ومن بعد، بسفر وبغير سفر.

ولا يقال: إنَّ جَاءُوكَ مطلق، والمطلق لا دلالة له على كل فرد، وإن كان صالحاً لها.

لأننا نقول: هو فى سياق الشرط فيعم، فمن حصل منه الوصف المذكور وجد الله تواباً رحيماً.

الثانى: السنة:

من عموم قوله: «من زار قبرى» «(٢)».

١- تقدم ص ١٧٩.

٢- وهذا الحديث الثانى، المذكور فى الباب الأول، ص ٨١.

ص: ٢١٠

فإنّه يشمل القريب والبعيد، والزائر عن سفر وعن غير سفر، كلّهم يدخلون تحت هذا العموم، لا سيّما قوله في الحديث الذي صحّحه ابن السكن: «من جاءني زائراً لا عمله حاجه إلّا زيارتي» (١) فإنّ هذا ظاهر في السفر، بل في تمحيض القصد إليه، وتجريده عمّا سواه. وقد تقدّم (٢) أنّ حالة الموت مرادة منه إمّا بالعموم، وإمّا أنّها هي المقصود.

والثالث: من السنّة أيضاً:

لنصّها على «الزيارة» (٣) ولفظ «الزيارة» يستدعي الانتقال من مكان الزائر إلى مكان المزور، كلفظ «المجيء» الذي نصّت عليه الآية الكريمة.

فالزيارة إمّا نفس الانتقال من مكان إلى مكان بقصدها، وإمّا الحضور عند المزور من مكان آخر. وعلى كلّ حال لا بدّ في تحقيق معناها من الانتقال، ولهذا إنّ من كان عند الشخص دائماً لا يحصل الزيارة منه، ولهذا تقول: «زرت فلاناً من المكان الفلاني» وتقول: «زرنا النبيصلى الله عليه وآله وسلم من مصر» أو «من الشام» فتجعل ابتداء زيارتك من ذلك المكان، فالسفر داخل تحت اسم الزيارة من هذا الوجه. فإذا كانت كلّ زيارة قربة، كان كلّ سفر إليها قربة. وأيضاً: فقد ثبت خروج النبيصلى الله عليه وآله وسلم من المدينة لزيارة القبور، وإذا جاز الخروج إلى القريب جاز إلى البعيد. فمما ورد في ذلك:

١- مرّ نقله عن الطبراني ١٢/٤٠٦ رقم ١٣٤٩٦، وانظر هنا ص ٨٣.

٢- تقدّم ص ١٨٦.

٣- لاحظ أحاديث الباب الأوّل الجامع لما ورد وفيه لفظ من مادّة الزيارة.

ص: ٢١١

خروجه إلى البقيع، كما هو ثابت في الصحيح، وقد ذكرته في الباب السابع من هذا الكتاب (١)».

وخروجه صلى الله عليه وآله وسلم لقبور الشهداء

روى أبو داود في سننه (٢) عن طلحة بن عبيدالله قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نريد قبور الشهداء، حتى إذا

أشرفنا على حرة واقم، فلما تدلينا منها فإذا قبور مجنبة (٣)» قال قلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟ قال: «قبور أصحابنا».

فلما جئنا قبور الشهداء قال: «هذه قبور إخواننا».

وإذا ثبت مشروعيتها الانتقال إلى قبر غيره، فقبره صلى الله عليه وآله وسلم أولى.

الرابع: الإجماع:

لإطباق السلف والخلف، فإن الناس لم يزالوا في كل عام إذا قضوا الحج يتوجهون إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم ومنهم من

يفعل ذلك قبل الحج، هكذا شاهدناه، وشاهده من قبلنا، وحكاها العلماء عن الأعصار القديمة، كما ذكرناه في الباب الثالث، وذلك

أمر لا يرتاب فيه، وكلهم يقصدون ذلك، ويعرجون إليه وإن لم يكن طريقهم، ويقطعون فيه مسافة بعيدة، وينفقون فيه الأموال،

ويبدلون فيه المهج، معتقدين أن ذلك قربه وطاعة.

وإطباق هذا الجمع العظيم من مشارق الأرض ومغربها على ممر السنين - وفيهم العلماء والصلحاء وغيرهم - يستحيل أن يكون خطأ،

وكلهم

١- الباب السابع، لاحظ ص ٢٤٣.

٢- سنن أبي داود ٢/ ٢١٨ ح ٢٠٤٣ كتاب المناسك، باب زيارة القبور وفيه: يريد، بدل: نريد.

٣- في ه: بمجنبة.

ص: ٢١٢

يفعلون ذلك على وجه التقرب به إلى الله عزوجل.

ومن تأخر عنه من المسلمين فإنما يتأخر بعجز، أو تعويق المقادير، مع تأسفه عليه، وودّه لو تيسر له.

ومن ادعى أن هذا الجمع العظيم مجمعون على خطأ، فهو المخطىء.

فإن قلت: إن هذا ليس ممّا يسلمه الخصم؛ لجواز أن يكون سفرهم ضمّ فيه قصد عبادة أخرى إلى الزيارة، بل هو الظاهر، كما ذكر

كثير من المصنّفين في المناسك: أنه ينبغي أن ينوى مع زيارته التقرب بالتوجه إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم والصلاة فيه.

والخصم ما أنكر أصل الزيارة، إنّما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة، وهي أن تضمّ إليها قصد المسجد، كما قاله غيره.

قلت: أمّا المنازعة فيما يقصده الناس «(١)»، فمن أنصف من نفسه، وعرف ما الناس عليه، علم أنّهم إنّما يقصدون بسفرهم الزيارة من

حين يعرجون إلى طريق المدينة، ولا يخطر غير الزيارة من القربات إلّا بالقليل منهم، ثمّ مع ذلك: هو مغمور بالنسبة إلى الزيارة في

حقّ هذا القليل، وغرضهم الأعظم هو الزيارة، حتّى لو لم يكن ربّما لم يسافروا، ولهذا قلّ القاصدون إلى بيت المقدس مع تيسر إتيانه

وإن كان في الصلاة فيه من الفضل ما قد عرف.

فالمقصود الأعظم في المدينة الزيارة، كما أنّ المقصود الأعظم في مكّة الحجّ أو العمرة، وهو المقصود - أو معظم المقصود - من

التوجه إليها.

وإنكار هذا: مكابرة، ودعوى كون هذا الظاهر أشدّ.

وصاحب هذا السؤال إن شكّ في نفسه، فليسأل كلّ من توجه إلى المدينة، ما

١- لاحظ تدخّل ابن تيميّه في تحميلة أغراضه ومقاصده، على الناس، واتهامهم بها، والرد على ذلك. ص ٢٥٨، ٢٦٠ و ٢٧٧.

ص: ٢١٣

قصد بذلك؟

وأما ما ذكره المصنّفون في المناسك، فإنّهم لم يريدوا به أنّه شرط في كون السفر للزيارة قربة! ما قال هذا أحد منهم، ولا توهمه، ولا اقتضاه كلامه، وإنّما أرادوا أنّه ينبغي أن يقصد قربة اخرى ليكون سفرًا إلى قربتين، فيكثر الأجر بزيادة القرب، حتّى لو زاد من قصد القربات زادت الاجور، كأن يقصد مع ذلك زيارة شهداء احد، وغير ذلك من القرب التي هناك.

وأرادوا بالتنبيه على ذلك: أنّه قد يتوهم أنّ قصد قربة اخرى، قادح في الإخلاص في نيّة الزيارة، فتبّهوا بذلك على هذا المعنى. ولهذا قال أبو عمرو ابن الصلاح: ولا يلزم من هذا خلل في زيارته على ما لا يخفى.

فمن تخيل أنّ مرادهم: أنّ شرط كون سفر الزيارة قربة ضمّ قصد قربة اخرى إليه، فقد أخطأ خطأ لا يخفى على أحد ممّن له فهم. وقوله: «إنّ الخصم إنّما أراد أن يبيّن كيفيّة الزيارة المستحبّة، وهو أن يضمّ إليها قصد المسجد، كما قاله غيره». إنّ غيره لم يقل ذلك، ولا دلّ عليه كلامه، ولا أراد.

الخامس: أنّ وسيلة القربة قربة:

فإنّ قواعد الشرع كلّها تشهد بأنّ الوسائل معتبرة بالمقاصد.

قالصلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا، وترفع به الدرجات؟». قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» رواه مسلم [\(١\)](#).

١- صحيح مسلم ١/ ١٥١ كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء.

ص: ٢١٤

والخطى إلى المساجد إنما شرفت لكونها وسيلة إلى عبادة.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا تخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة» رواه البخاري ومسلم (١).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أعظم الناس أجراً في الصلاة، أبعدهم فأبعدهم مشى» رواه البخاري ومسلم (٢).

وقال رجل: ما يسرنى أن منزلي إلى جنب المسجد، إني أريد أن يكتب مشاي إلى المسجد، ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «قد جمع الله لك ذلك كله» رواه مسلم (٣).

وقال جابر: كانت ديارنا نائية من المسجد، فأردنا أن نبيع بيوتنا فنقرب من المسجد، فنهانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«إن لكم بكل خطوة درجة» رواه مسلم (٤).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من تطهر في بيته، ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقتضى فريضته من فرائض الله، كانت خطواته

إحداهما تحط خطيئة، والآخرى ترفع درجة» رواه مسلم (٥).

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نزلاً كلما غدا أو راح»

١- صحيح البخاري ٣١٩ / ١ ح ٦١٢ كتاب الأذان باب ٤٢٣ فضل صلاة الجماعة. وصحيح مسلم ١٢٩ / ٢ كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة.

٢- صحيح البخاري ٣٢٠ / ١ ح ٦١٥ كتاب الأذان باب ٤٢٤ فضل صلاة الفجر في جماعة. وصحيح مسلم ١٣٠ / ٢ - ١٣١ كتاب الصلاة، باب فضل كثرة الخطى إلى المساجد.

٣- صحيح مسلم ١٣٠ / ٢ - ١٣١ كتاب الصلاة، باب فضل كثرة الخطى.

٤- صحيح مسلم ١٣٠ / ٢ - ١٣١ نفس الموضوع.

٥- صحيح مسلم ١٣١ / ٢ كتاب الصلاة، باب المشى إلى الصلاة.

ص: ٢١٥

رواه البخارى ومسلم «(١)».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من خرج من بيته متطهراً إلي الصلاة مكتوباً، فأجره كأجر الحاج المحرم، ومن خرج إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلّا إياه فأجره كأجر المعتمر» رواه أبو داود «(٢)».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة» رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه «(٣)».

وفى رواية: «أولئك الخواضون في رحمة الله».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من غسل واغتسل، وغدا وابتكر، ودنا من الإمام ولم يبلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة صيامها وقيامها» رواه أبو داود «(٤)».

وفى رواية: «ومشى ولم يركب».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أتى أخاه المريض عائداً مشى في مخرقه» «(٥)» الجنه حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة» «(٦)».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله، ناداه مناد من السماء: أن

١- صحيح البخارى ١/ ١٦١ ح ٦٢٣ كتاب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد.

صحيح مسلم ٢/ ١٣٢ كتاب الصلاة باب المشى إلى الصلاة.

٢- سنن أبى داود ١/ ١٥٣ ح ٥٥٨ كتاب الصلاة باب ما جاء فى فضل المشى إلى الصلاة، عن أبى امامة، وفيه زيادة.

٣- سنن أبى داود ١/ ١٥٤ ح ٥٦١ نفس الموضع، عن بريده.

سنن الترمذى ١/ ١٤٢ ح ٢٢٣ باب ١٦٥ ما جاء فى فضل العشاء.

سنن ابن ماجه ١/ ٢٥٦ ح ٧٨١ باب ١٤ كتاب المساجد والجماعات.

٤- سنن أبى داود ١/ ٩٥ ح ٣٤٥ كتاب الطهارة باب فى الغسل يوم الجمعة.

٥- فى ه: غرفة. وفى سنن ابن ماجه: خرافة.

٦- سنن ابن ماجه ١/ ٤٦٢ ح ١٤٤٢ ب ٢ كتاب الجنائز.

ص: ٢١٦

طبت وطاب ممشاك، وتبوات من الجنة منزلاً» رواه الترمذى وابن ماجه (١).
وقال الترمذى: حسن غريب.

فهذه الأحاديث كلها تدل على أن وسائل القربة قربة، وكيف يتأتى نزاع فى ذلك والشريعة كلها طافحة به؟ والقرآن ناطق به؟! قال تعالى:

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَأَيِّبَةٌ لِّبِهِمْ ظَمِئًا وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢).

فهذه الامور كلها إنما كتبت لهم وكتب لهم بها أجر؛ لأنها وسيلة إلى الجهاد فى سبيل الله، بل الجهاد نفسه إنما شرف لكونه سبباً لإعلاء كلمة الله.

وكذلك جميع ما طلبه الشرع مما هو معقول المعنى، فهو وسيلة لذلك المعنى المعقول منه، وبسببه طلب.
وقد نقل الاصوليون الإجماع على أن من مشى من مكان بعيد حتى حج، كان أفضل ممن حج من مكة.
وفى الحديث عن الله تعالى: «بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلي».
ولا شك أن المتوسل إلى قربة بمباح فيه مشقة - كالسفر وغيره - متحمل لتلك

١- سنن الترمذى ٣/ ٢٤٦ ح ٢٠٧٦ باب ٦٣ ما جاء فى زيارة الإخوان.

ونسبه فى كنز العمال ٩/ ٩٤ رقم ٢٥١١٣٤ إلى الترمذى وقال المعلق: أخرجه فى كتاب البر والصلة، باب زيارة الاخوان ح ٢٠٠٨.

سنن ابن ماجه ١/ ٤٦٤ ح ١٤٤٣ ب ٢ كتاب الجنائز.

ورواه أحمد فى مسنده ٢/ ٣٤٤ و ٣٥٤.

٢- سورة التوبة: الآية ١٢٠-١٢١.

ص: ٢١٧

المشقة من أجل الله تعالى، فهو بعين الله تعالى، والله ناظر إليه، وجازيه على سعيه.

بل المباح الذي لا مشقة فيه، وفيه راحة للنفس، إذا قصد به التوصل إلى قرب، حصل له به أجر، كمن نام ليتقوى على قيام الليل، أو أكل ليتقوى على الطاعة، ولهذا ورد في الأثر: «إني أحسب نومتى كما احتسب قومتي» (١).

وتكلم العلماء في أن الثواب في هذا القسم على القصد خاصة، أو على الفعل؟

والأقرب: الثاني، ويشهد له قوله صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الصحيح: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله - حتى اللقمة ترفعها إلى في امرأتك» (٢) إلا زددت رفعة ودرجة» (٣).

فهذا يشهد لأنه يؤجر على المباح، إذا اقترن بالتيه.

وكذلك الحديث الصحيح «إنه يضع شهوته في الحلال، وله فيها أجر».

[أقسام العبادات]

وحاصلها: أن العبادات أربعة أقسام:

أحدها: ما وضعه الشرع عبادة إما تعبدًا، وإما لمعنى يحصل بها، كالصلاة، والصوم، والصدقة، والحج.

فهذا متى صح كان قرب، ولا يمكن وجوده شرعاً على غير وجه القربة.

١- أخرجه البخارى فى صحيحه بلفظ: فأحسب ١٠٨ / ٥.

وفى سنن أبى داود ٣٢٧ / ٢ ح ٤٣٥٤ وفيه: وأرجو، بدل أحسب.

٢- أى: فم زوجته.

٣- أخرجه البخارى فى صحيحه ١٨٦ / ٣ وأحمد فى المسند ١ / ١٧٢ - ١٧٧. و ٢٦٧ / ٤ و ١٢٧ / ٥ و ١٨٩ / ٦ و ٥ / ٨.

وصحيح مسلم ٧١ / ٥ وسنن أبى داود ١ / ٦٥٤ ح ٢٨٦٤.

والبيهقى فى السنن الكبرى ٣ / ٣٧٦ و ٦ / ٢٦٨ و ٧ / ٤٦٧ و ٩ / ١٨.

ص: ٢١٨

وثانيها: ما طلبه الشرع من مكارم الأخلاق، كإفشاء السلام ونحوه؛ لما فيه من المصالح، وهذا مقصود الشارع، فإذا وجد منه الامتثال كان قربه، وإن وجد بدونها كان من جملة المباحات.

وثالثها: ما لا يستقل بتحصيل مصلحة، ولا يفعل إلا على وجه التوصل به إلى غيره، كالمشى ونحوه، فهذا لا يقع غالباً إلا على وجه الوسيلة، فيكون بحسب ما يُقصد به؛ إن قُصد به حرام كان حراماً، أو مباح كان مباحاً، أو قربه كان قربه، وإن وقع من المكلف لا بقصد أصلاً كان عبثاً، فيكون مكروهاً.

ولا نزاع في هذا القسم أنه إذا قصد به القرية كان قربه، وهو القسم الذي نحن بصدده، وتصدينا لتقرير كونه قربه. ورابعها: ما وضع مباحاً مقصوداً لتحصيل المصالح الدنيوية، كالأكل والشرب والنوم لمصلحة الأبدان، فهذا إن حصل بغير نية أو بنية دنيوية، كان مستوى الطرفين، وإن حصل بنية دنيوية، حصل الأجر إما على النية وحدها، كما ذكره بعض العلماء، وإما على النية مع الفعل، وهو الحق لما سبق.

وهذا القسم الرابع أخفض رتبة من الوسيلة، كما أن الوسيلة أخفض رتبة من القسمين الأولين.

فقد تقرّر بهذا: أن وسيلة القرية قرية، والسفر بقصد الزيارة وسيلة إليها، فتكون قرية.

فإن قلت: قد يقول الخصم: الزيارة قرية في حقّ القريب خاصّة، أمّا البعيد الذي يحتاج إلى سفر فلا، وحينئذٍ لا يكون السفر إليها وسيلة إلى قرية في حقّه، وإنّما تكون الوسيلة قرية إذا كانت يتوصل بها إلى قرية مطلوبة من ذلك الشخص المتوسّل.

قلت: الزيارة قرية مطلقاً في حقّ القريب والبعيد، فإنّ الأدلة الدالة عليها غير

ص: ٢١٩

مفصلة، ومن ادعى تخصيص العام بغير دليل قطعنا بخطئه.

فإن قلت: فالصلاة مطلقاً قربة، والسفر إليها ليس بقربة إلا إلى المساجد الثلاثة.

قلت: قد يكون الشيء قربة، وانضمامه إلى غيره ليس بقربة، فالصلاة في نفسها قربة، وكونها في مسجد بعينه غير الثلاثة ليس بقربة، فالسفر إليه وسيلة إلى ما ليس بقربة.

فإن قلت: لو كانت وسيلة القربة قربة مطلقاً، لكان النذر قربة؛ لأنه وسيلة إلى إيقاع العبادة واجبة، والواجب أفضل من النفل، والنذر مكروه؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن النذر وقال: «إنه لا يأتي بخير، وإنما يستخرج به من البخيل» (١).

قلت: جعل النفل فرضاً ليس بقربة، بل هو مكروه؛ لما فيه من الخطر والتعرض للإثم بتقدير الترك، ووقوع العبادة ممكن بغير النذر، فلم يحصل بالنذر إلا التعرض للخطر والحرَج.

على أنا نقول: إن وسيلة القربة قربة من حيث هي موصلة لذلك المطلوب، وقد يقترن بها أمر عارض يخرجها عن ذلك، كمن مشى إلى الصلاة في طريق مغصوب، والمدعى أن الفعل إذا كان مباحاً ولم يقترن به إلا قصد القربة به، كان قربة، وهذا لا يستثنى منه شيء.

فإن قلت: كيف تجزمون بهذا، وقد اشتهر خلاف الأصوليين في أن الأمر بالشيء أمر بما لا يتم إلابه، أو لا؟! ومقتضى ذلك أن يجرى خلاف، أن وسيلة المندوب هل هي مندوبة، أو لا؟

١- البخارى ٨/٥١٣ ح ١٤٦٣ كتاب القدر، باب ٨٢٩ و ٨/٥٣٩ ح ١٥٤٢ كتاب الأيمان والنذور، باب ٨٦٥ الوفاء بالنذر.

ص: ٢٢٠

قلت: سنبين في آخر الكلام أنّ كون الفعل قربه، أعظم من كونه مأمورًا به.

ونبدأ أوّلًا بالكلام على كون هذا السفر مأمورًا به أمر ندب:

فنقول: ما لا- يتمّ المأمور به إلّاه ينقسم إلى شرط في وجوده، وإلى ما هو تابع يشترط للعلم بوجوده، كغسل جزء من الرأس للعلم بغسل الوجه، والخلاف في القسم الثانى قوى، وليس ممّا نحن فيه. وأمّا القسم الأول- وهو ما كان شرطاً أو سبباً لوجود المأمور به، كالذى نحن فيه، ونعبر عنه ب «المقدّمة»- فالجمهور على أنّه مأمور به واجب؛ لوجوب المقصد، وخالف في ذلك فريقان من الاصوليين: فرقة خالفوا في الشرط، ولم يخالفوا في السبب. وفرقة خالفوا في الشرط والسبب جميعاً، وربّما نقل الخلاف في ذلك عن الواقفية؛ وأنهم لم يجزموا في ذلك بشيء، بل توقّفوا على عادتهم، وربّما نقل الجزم بعدم الوجوب. وكلا القولين:

إن اخذ بالنسبة إلى دلالة اللفظ؛ وأنّ دلالة لفظ الأمر بالمقصود قاصرة عن دلالة على الأمر بالمقدّمة، فيسهل الأمر فيه، ولا يمنع عدم دلالة غيره، ولا ينفى ذلك كون مقدّمة المأمور به مأمورًا بها لدليل عقليّ. وإن اخذ بالنسبة إلى أنّه إذا ترك يعاقب على ترك المقصد خاصّة، ولا يعاقب على ترك المقدّمة، فقريب أيضاً، ولكنّه إنّما ينفى «(١)» الوجوب لا الندب، وكلامنا في الندب.

وإن اخذ بالنسبة إلى أنّ المشروط الذى ورد الأمر به مطلقاً، لا يجب إلّاعند وجود شرطه، كماصرّح به بعض متأخري الاصوليين، فهذا قول باطل لم يتحقّق القول به عن أحد من الأئمة المعتمد على كلامهم، وقواعد الشريعة تقطع ببطلانه، ولا شك أنّ الأئمة المعتمدين الذين هم أئمة الفتيا على خلافه.

١- هذا هو الصواب، وفي النسخ: «يبقى» فلاحظ.

ص: ٢٢١

ومستند من فرق بين السبب والشرط: أن إيجاب المسبب لو كان مقيداً بحال وجود السبب، لكان إيجاباً لتحصيل الحاصل؛ لأنَّ المسبب حاصل مع السبب، بخلاف الشرط.

وقد أطلنا في ذلك، والمقصود أن الزيارة إذا كانت مندوبة في حق البعيد، والسفر شرط لها، كان مندوباً، وهذا لم يحصل فيه نزاع بين العلماء.

فإن قلت: هل يقولون إنَّ كلَّ سفر للزيارة مندوب، أو مطلق السفر لها؟

قلت: قد تقرّر في اصول الفقه أنَّ الأمر بالماهيّة الكليّة ليس أمراً بشيء من جزئياتها، ولكنّه مأمور بجزئى من الجزئيات لا بعينه؛ لأنّه لا يتحقّق الإتيان بالكلى بدونه، وهو مخير في تعيين ذلك الجزئى، فإذا أتى بجزئى معين خرج عن عهده الأمر وتقول: إنّه أتى بالمأمور به؛ وهو الكلى والجزئى لا- بعينه، وأمّا هذا الجزئى المعين فلا تقول: إنّه مأمور به، لأنّه مخير فيه، ولكنّه قريب وطاعة؛ لأنّه فعل لامثال الأمر.

فكلّ سفر يقع بقصد الزيارة، ولم يقترب به قصد محرّم أو مكروه، فهو قريب؛ لكونه موصلًا إلى قريبه، وبه يحصل أداء السفر المأمور به؛ لأنّه حاصل في ضمن ذلك المشخص، ولا تقول: إنَّ ذلك المشخص هو المأمور به؛ لأنَّ الأمر إنّما يتعلّق بكلى، وهذا جزئى، لكنّه قريب؛ لكونه قصد به القربى، ووسيلة إليها.

فالقربى تصدق على الكلى والجزئى، والطلب لا- يتعلّق إلّا بكلى، والسفر المعين وسيلة إلى الزيارة، وليس شرطاً فيها، ومطلق السفر للزيارة وسيلة وشرط، ومطلق السفر شرط، وقد لا يقصد به التوسّل، فلا يسمّى «وسيلة».

بين المقدمة و الوسيلة

فإن قلت: هل المقدمه هي الوسيلة، أو غيرها؟

ص: ٢٢٢

قلت: المقدمة ما يتوقف عليها الشيء، وقد علمت خلاف الاصوليين في أنها هل تجب بوجوب ذلك الشيء، أو لا؟ وذلك خارج عن كونها قرينة أو ليست بقرينة.

فإن الذي يتوقف عليه الفعل قد يفعل بقصد القرينة، فيكون قرينة، وقد يفعل لا بقصد القرينة، فلا يكون قرينة، فمن مشى إلى مكة لمقصد غير صالح، ثم حج، لم يكن سفره قرينة، ولكن سقط عنه الأمر بالمقدمة؛ لزوال السبب المقتضى لوجوبها.

وأما الوسيلة فقال الجوهري: الوسيلة ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوسل، والوسائل، والتوسيل والتوسل واحد، يقال: وسل فلان إلى ربه وسيلة، وتوسل إليه بوسيلة؛ إذا تقرب إليه بعمل، انتهى كلام الجوهري «(١)».

فاسم «الوسيلة» إذا اطلق على المقدمة، فهو من حيث كونها يتقرب بها، لا من حيث كونها متوقفاً عليها، بل:

قد يكون المقصد متوقفاً على الوسيلة بعينها، فيجربى في وجوبها الخلاف السابق.

وقد لا يتوقف المقصد عليها بعينها، بل على ما هو أعم منها، ويختارها العبد للتوسل بها.

وقد لا يتوقف المقصد عليها أصلاً في نفس الأمر، ولكن يقصد العبد أو يتوهم توقفه، أو خطر بباله أنها موصلة إليه، ولم يخطر بباله أمر آخر.

ففي كل هذه الأحوال تسمى «وسيلة» و «قرينة» لا يجربى فيها الخلاف الاصولي.

فالوسيلة لا تطلق على المقدمة حتى يقصد بها التقرب إلى المقصود، ولا

١- الصحاح للجوهري ٥ / ١٨٤١ باب اللام فصل الواو وسل.

ص: ٢٢٣

تسمى «وسيلة» بدون هذا القصد إلماعاً سبيل المجاز؛ بمعنى أنها صالحة للتوسل، ومراد الاصوليين ب «المقدمة» ما يتوقف عليها الشئ؛ سواء أقصد بها التوصل إليه، أم لا؟ فيبينهما عموم وخصوص من وجه.

ولو سلمنا أن الوسيلة مرادفة للمقدمة، فلا شك أنها لا تكون قرينة حتى يقصد بها التقرب إلى قرينة، فمرادنا بقولنا: «وسيلة القرينة قرينة» هذا المعنى.

ومن هنا يظهر: أن كون الشئ قرينة، غير كونه واجباً و مندوباً، فإن حكم الحاكم بالإيجاب أو النذب إنما هو على الماهية الكلية، وكل ما وجد في الخارج مشخص لا يتعلق الطلب به بخصوصه، فلا يحكم عليه بخصوصه: بأنه واجب، لكنه مؤد للواجب في ضمنه، والحكم بكون الشئ قرينة تارة: يكون باعتبار حقيقته، وهو ما وضع لأن يتقرب به، فيكون كذلك، وتارة: يكون باعتبار ما قصد به التقرب، فيطلق على الفعل بعد تشخصه.

اعتبارات السفر في مسألة الزيارة

إذا عرف ذلك فهنا اعتبارات:

أحدها: مطلق السفر.

والثاني: السفر إلى المدينة.

والثالث: السفر إلى المدينة بقصد القرينة.

وكل واحد من القسمين الأولين ليس مطلوباً ولا قرينة من حيث هو هو، وإنما قد يطلب طلب الوسائل لغيره.

والقسم الثالث مطلوب وقرينة، وتتفاوت مراتبه بحسب تفاوت القرينة المقصودة به، فإنها قد تكون الزيارة، وقد تكون قرينة أخرى، كالصلاة في المسجد ونحوها، وقد تكون مجموع ذلك، أو القدر المشترك بينها، وهو مطلق القرينة، وكل

ص: ٢٢٤

من هذه الأربعة قربة؛ لما قرّناها.

ولأنّ السفر إلى المدينة لم يكن قربه لمطلق كونه سفراً، ولا سفراً إلى المدينة، وإنّما كان لعلّه؛ وهي قصد القربة، وحيث وجدت العلة وجد المعلول، ولا فرق في الحكم بالقربة على كلّ واحد من الأربعة بين أن يوجد كلياً، أو جزئياً مشخصاً؛ لما قدّمناه. وأمّا الحكم بكونه مطلوباً أو مندوباً إليه بخصوصه، فلا يتعلّق بمشخص منها كان، ولا بواحد من الأربعة بعينه، وإنّما يتعلّق بواحد منها لا بعينه، ومهما وجد منها كان قربة يتأدّى المأمور به في ضمنه. وهذا التقسيم وحكم كلّ واحد منها، لا يتأتّى فيه نزاع بين العقلاء؛ سواء قلنا: مقدّمة المأمور به مأمور بها، أم لا؟ وهكذا حكم كلّ كلى طلبه الشرع، ولم ينصّ على أنواعه. وأمّا خصال الكفارة:

فقليل: إنّ الواجب فيها القدر المشترك بين الخصال، فيأتي في أنواع الخصال ما قلنا في الجزئيات.

والمشهور أنّ كلّ خصلة واجبة بعينها على تقدير أن لا يأتي غيرها، فمتى فعلها وقعت واجبة بخصوصها؛ لنصّ الشرع عليها، أعني خصوص العتق مثلاً بالنسبة إلى الإطعام والكسوة، وأمّا إعتاق الرقبة المعيّنة فهو كأشخاص الكلى بلا إشكال، فيأتي فيه ما سبق من البحث.

فإن قلت: السفر ينقسم:

إلى ما يقصد به المسافر ضمّ عبادة أخرى إلى الزيارة، كصلاة واعتكاف في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم ولا إشكال في كونه قربة.

وإلى ما يقصد قصره على قصد الزيارة لا غيره، والنزاع إنّما هو في هذا.

ص: ٢٢٥

وإلى ما يعرى عن القصدین.

واستدلالکم بكون وسیلۃ القربۃ قربۃ فیہ نظر؛ لأنّ توقّف الشیء علی الأعمّ لا یستلزم توقّفه علی الأخصّ، وزيارة من كان علی مسافة بعيدة، إنّما تتوقّف علی سفر من الأسفار الثلاثة المذكورة المقصودة، لا علی القسم الثانی لیتمّ ما ذکرتم.

قلت: هذا خلف من الكلام؛

لأنّک إن لم تقل: بأنّ وسیلۃ القربۃ قربۃ، فلا حاجة بک إلى هذا الاستدلال والتقسیم، وقل: إنّ وسیلۃ القربۃ لیست بقربۃ.

وحینئذ یرد علیک ما لا قبل لک به ممّا قدّمناه من الاستدلال علی کون وسیلۃ القربۃ قربۃ، وذلك أمر معلوم من الشرع.

ثمّ یلزمک أن السفر للزيارة وقربۃ اخرى لا یكون قربۃ علی زعمک؛ لأنّہ إنّما یكون قربۃ لکونه وسیلۃ إلى قربۃ.

وإن كنت تقول: بأنّ وسیلۃ القربۃ قربۃ، فما وجه النظر بعد تقرير کون الزيارة قربۃ؟!

واحتجاجک بأنّ توقّف الشیء علی الأعمّ لا یستلزم توقّفه علی الأخصّ، عجیب جدّاً.

لأنّک إن فسّرت الوسیلۃ بما یفعل لقصد التقرب إلى المقصود كما فسّرناه، كان کلّ واحد من السفر الذی قصد به الزيارة مع قربۃ

اخری، والسفر الذی قصد به الزيارة فقط قربۃ؛ لأنّہ قصد به التوسّل إلى قربۃ، فوجب أن یكون قربۃ؛ سواء كانت الزيارة متوقّفة علی

عینه أم لا؟ فالفرق بین القسمین باطل قطعاً.

وإن فسّرت الوسیلۃ بما یتوقّف علیہ المقصود، كما یشر به ظاهر کلامک:

فإن أخذته بشرط قصد القربۃ معه، وجعلت علّة القربۃ ذلك القصد، عاد الكلام، وكان کلّ من القسمین قربۃ؛ لأنّ الموجب لجعله قربۃ

قصد القربۃ، وهو

ص: ٢٢٦

موجود في القسمين.

وإن جعلت العلة التوقف، وقلت: إنه يتوقف على الأعم، لا على الأخص، لزمك أن تقول: القربة ما هو أعم من السفرين، وخصوص كل منهما ليس بقربة، ففرقك بين القسمين لا وجه له.

وإن أخذته مجرداً فهو باطل؛ لأنه يدخل فيه مطلق السفر، ولم يقل أحد: بأنه قربة؛ فإن السفر من حيث هو هو مباح، وإنما تعرض له القربة بعلّة قصد القربة، فحيث حصلت تلك العلة حصل معلولها، وحيث لا فلا، ففرقك بين قربة وقربة لا وجه له.

فقد بان بهذا: أنه بعد العلم بكون الزيارة قربة، وبكون وسيلة القربة قربة، يقطع بأن السفر للزيارة قربة؛ سواء ضم معه قصد قربة أخرى أم لا؟ والشك في ذلك إنما يكون للشك في إحدى المقدمتين.

وتقرير السؤال مختل على كل تقدير.

وليس لك أن تقول: إن السفر للزيارة المجردة داخل تحت النهي بقوله: «لا تشد الرحال» والسفر لها وللمسجد سفر للمسجد، فكان مباحاً للحديث.

لأننا سنبين معنى الحديث، وأنه لا يشمل الزيارة.

وبتقدير أن يكون السفر للزيارة منهياً عنه، فالسفر لها وللمسجد ينبغي أن يكون منهياً عنه على هذا البحث؛ لتركبه من منهى عنه وغيره. وأيضاً: فإن هذا دل على أنك لا تقول: بأن وسيلة القربة قربة، فكان يكفيك من الأول أن تقول: إن وسيلة القربة ليست قربة، وإنما

كان السفر في القسم الأول قربة لدليل آخر، فانتقالك إلى هذا التطويل لا فائدة فيه.

فعلى كل تقدير هذا الكلام ساقط.

وأما السفر العارى عن القصد المذكورين، فيدخل فيه السفر لقربة غير

ص: ٢٢٧

الزيارة فقط، والسفر المباح، والسفر لغيرهما، ولا حاجة بنا إلى الكلام في ذلك.

وأما قولك في القسم الثاني من أقسام السفر: «ما يقصد به قصره على قصد الزيارة لا غير» فهذه العبارة تحتمل أمرين:

أحدهما: أن يقصد الزيارة، ويقصد أن لا يفعل معها قربة أخرى من تحية المسجد ولا غيرها، وهذا الأمر لا يقصده عاقل غالباً، وليس هو المسؤول عنه، فإن الناس إنما يسألون عن الواقع منهم، وبهم حاجة إلى معرفة حكمه، فذكر هذا القسم هوس، وإرادته في فتيا العامة بعبارة يفهمون منها العموم تضليل.

ثم إننا نقول: ولو فرض ذلك، كان سفره قربة؛ لأنه قصد به قربة، ولكن قصده ترك غيرها من القربات ليس بقربة.

الأمر الثاني: أن يقصد الزيارة، ولا يخطر بباله أمر آخر بنفى ولا إثبات، ولا وجه للتوقف في كون ذلك قربة بعد العلم بكون الزيارة قربة، ووسيلة القربة قربة.

والظاهر من صاحب هذا السؤال أنه أراد هذا الأمر الثاني، فإنه الذي قال: إن الخصم إنما أراد أن يبين كيفية الزيارة المستحبة، وهي أن تضم إليها قصد المسجد، كما قاله غيره، وقدّمنا الكلام على ذلك.

ففي هذه القطعة من كلامه بيان أن شرط الاستحباب في الزيارة عند الخصم «(١)» وغيره، ضم قصد المسجد إليها، ومقتضى ذلك أن عند عدم الضم ينفي الاستحباب؛ سواء أراد عدم ما سواها من القرب أم لا؟

وهو يبين أن مراده فيما تقدّم - «بما يقصد قصره على قصد الزيارة لا غير» - المعنى الثاني الذي قدّمناه، وهو عدم قصد سواها، لا قصد عدمه، وقد

١- لاحظ كلام ابن تيمية في حكم الزيارة وشرطها: مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢٧/ ص ٢٦-٣٤ وقد نسب فيه إلى الفقهاء أحكاماً لم يقولوا بها، واستفاد من الأحاديث معاني لا تنفيذها، فراجع.

ص: ٢٢٨

قدّمنا أنّه لا وجه للتوقّف في كون ذلك قرْبَةً؛ لأنّه وسيلة إلى قرْبَةٍ، ولم يقترن به قصد صارف، ولا مانع من الحكم بالقرْبَةِ عليه بالمعنى الثاني.

[مع] إنَّ إطلاق قوله يقتضى أنّ الخصم وغيره إنّما يستحبّون الزيارة مطلقاً من غير سفر؛ إذا ضمَّ إليها قصد المسجد، وحينئذٍ لا تكون الزيارة وحدها قرْبَةً؛ سواء كانت عن سفر، أم عن غير سفر؟

وهو مخالف للأدلة الدالّة على أنّ الزيارة قرْبَةٌ، وكأنّه إنّما أراد السفر للزيارة، وإنّما أطلق العبارة، وأيّما ما كان فهو باطل؛ لما قدّمناه. واعلم: أنّ هذا السؤال المبني على تقسيم السفر ضعيف، وكذلك السؤال المبني عليه الذي قدّمته في الاستدلال بعمل السلف والخلف على السفر، وإنّما ذكرتهما لأنّي وقفت على كلام بعض الفضلاء ذكرهما فيه، فاحتجت إلى جوابهما، والخصم الذي النزاع معه لعلّه لا يرتضيها.

والعجب ممّن أوردتها مع موافقته على أنّ السفر لمجرّد الزيارة قرْبَةٌ.

فإن كان قال ذلك بغير دليل فهو باطل.

وإن كان قاله لأحد الدليلين المذكورين، فالقدح فيهما قدح فيه، فلا يمكنه الجزم به.

وإن كان قاله لدليل آخر فكان ينبغي أن يبيّنه حتّى يظهر أنّه يفترق الحال فيه بين الأسفار أو لا؟

بل العجب منه قوله بهذه الامور، مع قوله: بأنّ كون الزيارة قرْبَةً معلوم من الدين بالضرورة، وجاحده محكوم عليه بالكفر.

وقد بان بما ذكرناه: أنّ لزوم كون السفر لمجرّد الزيارة قرْبَةً، لازم لكون الزيارة قرْبَةً، وأنّ اللزوم بينهما بيّن ليس بالخفيّ، والعلم بالملزوم مع التوقّف في اللازم البيّن له مستحيل، فالقول بإثبات الملزوم مع التوقّف في إثبات اللازم لا يجتمعان.

ص: ٢٢٩

فمن توقّف في كون السفر لمجرّد الزيارة قرّب، لزمه التوقّف في كون الزيارة قرّب. ومن قال: بأنّ كون السفر لمجرّد الزيارة قرّب من الأمور الخفيّة، لزمه أن يقول بذلك في الزيارة، فإنّه تقرّر أنّ الملازمة بينهما بيّنة معلومة من الشرع.

فإن قلت: فما تقولون في السفر إلى زيارة ما عدا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ قلت: قال الفقيه الإمام أبو محمّد عبد الله بن عبد الرحمان بن عمر المالكي المعروف بـ «الشارح» في كتاب «تلخيص محصول المدونة من الأحكام» الملقّب بـ «نظم الدرر» في كتاب الجامع في الباب الحادي عشر في السفر، وهو أحد أبوابه، قال في هذا الباب: والسفر قسمان: هرب، وطلب، أمّا الهرب فالخروج من أرض الحرب، وأرض البدعة، وأرض غلب عليها الحرام، ومن خوف الأذى في البدن، ومن الأرض الغمّة (١)».

وأما الطلب فيكون للحجّ، والجهاد، والعمرة، والمعاش، والاتّجار، وقصد البقاع الشريفة؛ وهي المساجد الثلاثة، ومواضع الرباط كثيراً لأهلها، وطلب العلم، ولتفقّد أحوال الإخوان، وزيارة الموتى؛ لينتفعوا بترحم الأحياء، وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلّافي زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، انتهى. فأما استثناءه قبر المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وسائر المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين، واقتضاه إن قصدوا للانتفاع بهم سنّه، فصحيح.

والظاهر أنّ ذلك عامّ في زيارتها، والسفر إليها، كما يقتضيه صدر كلامه.

وأما السفر لزيارة غيرهم من الموتى لينتفعوا بترحم الأحياء، فقد عدّه

ص: ٢٣٠

الشارمساحي - كما ترى - من أقسام سفر الطلب، والظاهر إن قصده أنه سنّه، والأمر كذلك، وإن كان عدّ معه سفر التجارة الذي هو مباح.

وأما قوله: «إن قصد الانتفاع بالميت غير الأنبياء بدعه» ففيه نظر؛ فإن ثبت فينبغي أن يخرج منه [من] يتحقق صلاحه، كالعشرة المشهود لهم بالجنة وغيرهم، وحينئذ يكون السفر لهم كالقسم الثاني.

فخرج من هذا أن الزيارة حيث استحبت السفر لها، وذلك عام في قصد انتفاع الميت بالترحم، وخاص في قصد الانتفاع بالميت.

ص: ٢٣١

الباب السابع: في دفع شُبهِ المَصْمِ وتَبَعِ كَلِمَاتِهِ

إشارة

وفيه فصلان: الأول: فى شبهه وله ثلاث شبه:**الشبهة الاولى حديث: «لا تشد الرحال...» ألفاظه ومصادرها**

إحداها: فهم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ» فتوهم الخصم أن فى هذا منع السفر للزيارة [\(١\)](#).

وليس كما توهمه، ونحن نذكر ألفاظ الحديث، ثم نذكر معناه إن شاء الله.

فنقول: هذا الحديث متفق عليه صحته عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وورد بألفاظ مختلفة:

أشهرها: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد

١- عن استدلال ابن تيمية بهذا الحديث راجع مجموع فتاواه ج ٢٧ ص ٢٤ ومواضع عديدة فى هذا الجزء الخاص بالزيارة وشد الرحال إليها.

ص: ٢٣٤

الحرام، ومسجد الأقصى» وهذه رواية سفيان بن عيينة عن الزهري.

والآخر: «تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد» من غير حصر، وهذه رواية معمر عن الزهري.

وآخر: «إنما يسافر إلى ثلاثة مساجد: مسجد الكعبة، ومسجدى، ومسجد إيلياء». وهذه من طريق غير الزهري.

وهذه الروايات الثلاث ذكرها مسلم في فضل المدينة عن أبي هريرة [\(١\)](#).

وذكر قبل ذلك في سفر المرأة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشدوا الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد:

مسجدى هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» [\(٢\)](#) ولفظه - كما ذكرنا - بصيغة النهي، واللفظ السابق بصيغة الخبر.

وورد في خبر أبي سعيد أيضاً: «إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد إبراهيم، ومسجد محمد، ومسجد بيت المقدس»

رواه إسحاق بن راهويه في مسنده [\(٣\)](#).

وورد في حديث ابن عمر رضى الله عنهما أيضاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولفظه بصيغة النهي: «لا تشدوا الرحال إلّا إلى ثلاثة

مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس» رواه الطبراني في معجمه [\(٤\)](#).

هذه ألفاظ المرويات.

دلالة الأحاديث ومعناها

وأما معناها: فاعلم: أن هذا الاستثناء مفرغ، تقديره: لا تشد الرحال إلى

١- صحيح مسلم ١٢٦/٤ كتاب الحج باب لا تشد الرحال ...

٢- صحيح مسلم ١٠٢/٤ كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم.

٣- مسند ابن راهويه.

٤- المعجم الكبير للطبراني ٣٣٧/١٢ ح ١٣٢٨٣، وفيه لا تشد وعلق عليه: قال في مجمع الزوائد ٤/٤، بعد أن نسبه إلى الأوسط: ورجاله

رجال الصحيح، ورواه البزار أيضاً.

ص: ٢٣٥

مسجد إلّا إلى المساجد الثلاثة، أو لا تشدّ الرحال إلى مكان إلّا إلى المساجد الثلاثة.

ولابدّ من أحد هذين التقديرين ليكون المستثنى مندرجاً تحت المستثنى منه.

والتقدير الأوّل أولى؛ لأنّه جنس قريب، ولما سبّبته من قلّة التخصيص أو عدمه على هذا التقدير.

ثم اعلم: أنّ السفر فيه أمران:

أحدهما: غرض باعث عليه، كالحجّ، أو طلب العلم، أو الجهاد، أو زيارة الوالدين، أو الهجرة، وما أشبه ذلك.

والثاني: المكان الذي هو نهاية السفر، كالسفر إلى مكّة، أو المدينة، أو بيت المقدس، أو غيرها من الأماكن لأىّ غرض كان.

ولا شكّ أنّ شدّ الرحال إلى عرفه لقضاء النسك، واجب بإجماع المسلمين، وليس من المساجد الثلاثة.

وشدّ الرحال لطلب العلم إلى أىّ مكان كان، جائز بإجماع المسلمين، وقد يكون مستحبّاً، أو واجباً على الكفاية، أو فرض عين.

وكذلك السفر إلى الجهاد، ومن بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام؛ للهجرة وإقامة الدين، وكذلك السفر لزيارة الوالدين وبرّهما، وزيارة

الإخوان والصالحين، وكذلك السفر للتجارة، وغيرها من الأغراض المباحة.

فإنّما معنى الحديث: أنّ السفر إلى المساجد مقصور على الثلاثة على التقدير الأوّل الذى اخترناه.

أو أنّ السفر إلى الأماكن مقصور على الثلاثة على التقدير الثانى.

ثمّ على كلا التقديرين: إمّا أن يجعل المساجد أو الأمكنة غاية فقط، وعلّة السفر أمراً آخر، كالاشتغال بالعلم ونحوه من الأمثلة التى

ذكرها، فهذا جائز إلى

ص: ٢٣٦

كلّ مسجد وإلى كلّ مكان، فلا يجوز أن يكون هو المراد.

وقد يقال على بُعد: إنّ خروج تلك المسائل بأدلة على سبيل التخصيص للعموم، فلا يمنع من إرادته في الباقي.

وهذا لو قيل به، فتقدير المساجد أيضاً أولى من تقدير الأمكنة؛ لعلّة التخصيص، إذ التخصيص على تقدير إضمار الأمكنة أكثر، فيكون مرجوحاً.

ثمّ على هذا التقدير: فالسفر بقصد زيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم غاية مسجد المدينة؛ لأنّه مجاور للقبر الشريف، فلم يخرج السفر للزيارة عن أن تكون غايته أحد المساجد الثلاثة، وهو المراد على هذا التقدير (١).

وإمّا أن يجعل المساجد أو الأمكنة علّة فقط، ويكون قد عبّر بـ «إلى» عن اللام، أو غايةً وعلّةً من باب تخصيص العامّ بأحد حاله؛ لأنّ غاية السفر قد يكون هو العلّة، وقد لا يكون، فيكون المراد النوع الأوّل، وهو ما يكون علّةً مع كونه غايةً.

ومعنى كونه علّةً: أنّه يسافر لتعظيمها، أو للتبرّك بالحلول فيها، أو بأن يوقع فيها عبادةً من العبادات التي يمكنه إيقاعها في غيرها؛ من حيث أنّ إيقاعها فيها أفضل من إيقاعها في غيرها، وكلّ ذلك إنّما نشأ من اعتقاد فضل في البقعة زائد على غيرها، فنهى عن ذلك إلّا في المساجد الثلاثة، وهذا هو المراد، وغيرها من الأماكن والمساجد لا يؤتى إلّا لغرض خاصّ لا يوجد في غيره، كالنظر للرباط الذي لا يوجد في غيره.

وعلى هذا التقدير أيضاً، المسافر لزيارة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل في الحديث؛ لأنّه لم يسافر لتعظيم البقعة، وإنّما سافر لزيارة من فيها، كما لو كان حياً وسافر إليها فيها

١- لاحظ ما ذكره الذهبي في سير الأعلام ٤/ ٤٨٤ في هذا الصدد وقد نقلناه في الباب الرابع ص ١٧٤ فراجع الهامش.

ص: ٢٣٧

أو في غيرها، فإنه لا يدخل في هذا العموم قطعاً.
 وملخص ما قلناه على طوله: أن النهى عن السفر مشروط بأمرين:
 أحدهما: أن يكون غايته غير المساجد الثلاثة.
 والثاني: أن تكون علته تعظيم البقعة.
 والسفر لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم غايته أحد المساجد الثلاثة، وعلته تعظيم ساكن البقعة، لا البقعة، فكيف يقال بالنهى عنه؟!
 بل أقول: إن للسفر المطلوب سببين:
 أحدهما: ما يكون غايته أحد المساجد الثلاثة.
 والثاني: ما يكون لعبادة وإن كان إلى غيرها.
 والسفر لزيارة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم اجتمع فيه الأمران، فهو في الدرجة العليا من الطلب، ودونه ما وجد فيه أحد الأمرين،
 وإن كان السفر الذي غايته أحد الأماكن الثلاثة، لا بد في كونه قريباً من قصد صالح.
 وأما السفر لمكان غير الأماكن الثلاثة لتعظيم ذلك المكان، فهو الذي ورد فيه الحديث، ولهذا جاء عن بعض التابعين أنه قال: قلت
 لابن عمر: إنى أريد أن آتى الطور.
 قال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومسجد الأقصى، ودع الطور فلا
 تأته.

محط البحث عند الفقهاء

وفى مثل هذا الذى تكلم الفقهاء فى شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة.
 فنقل إمام الحرمين عن شيخه: أنه كان يفتى بالمنع عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد، قال: وربما كان يقول: يكره، وربما كان
 يقول: يحرم؛ أخذاً

ص: ٢٣٩

أن يمشى.

قال عبد الملك بن حبيب في كتاب «الواضحة»: فكذلك من نذر أن يمشى إلى مسجده الذي يصلّى فيه جمعته، أو مكتوبته، فعليه أن يمشى إليه، وليس ذلك بلازمه فيما نأى عنه من المساجد لا ماشياً، ولا راكباً، وكذلك روى ابن وهب وغيره عن مالك إلّا المساجد الثلاثة، فيلزمه في المسجد الحرام ما نذر من مشى أو ركوب، ولا يلزمه في المسجدين - مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبيت المقدس - المشى إليهما، ويلزمه أن يأتيهما راكباً للصلاة فيهما.

هذا كله في قصد المكان بعينه، أو قصد عبادة فيه تمكن في غيره.

أمّا قصده بغير نذر لغرض فيه - كالزيارة وشبهها - فلا يقول أحد فيه بتحريم ولا كراهة.

فإن قلت: فقد قال النووي في «شرح مسلم» (١) في باب سفر المرأة مع محرّم إلى الحجّ: اختلف العلماء في شدّ الرحال وإعمال المطى إلى غير المساجد الثلاثة، كالذهاب إلى قبور الصالحين، وإلى المواضع الفاضلة ونحو ذلك، فقال الشيخ أبو حميد من أصحابنا: هو حرام، وهو الذي أشار القاضي عياض إلى اختياره.

والصحيح عند أصحابنا - وهو الذي اختاره إمام الحرمين والمحققون - أنه لا يحرم ولا يكره، قالوا: والمراد أن الفضيلة التامة إنّما هي في شدّ الرحال إلى هذه الثلاثة خاصّة، والله أعلم، انتهى كلام النووي.

وقد جعل الذهاب إلى قبور الصالحين من محلّ الخلاف.

قلت: رحم الله النووي، لو اقتصر على المنقول أو نقده حقّ النقد لم يحصل خلل، وإنّما زاد التمثيل فحصل الخلل من زيادته.

ص: ٢٤٠

والذى نقله الإمام الرافعى والنووى فى غير «شرح مسلم» عن الشيخ أبى محمد رحمه الله ليس فيه هذه الزيادة، بل فيه ما يبين أن مراده ما قدّمناه.

فإن الإمام قال: إذا نذر أن يأتى مسجداً من المساجد سوى المسجد الحرام، قال العلماء: فإن كان المسجد الذى عينه غير مسجد المدينة ومسجد القدس، فلا يلزم بالنذر شىء أصلاً، فإنه ليس فى قصد مسجد بعينه غير المساجد الثلاثة قرينة مقصودة، وما لا يكون قرينة ولا عبادة مقصودة فهو غير ملزم بالنذر، وكان شيخى يفتى بالمنع عن شد الرحال إلى غير هذه المساجد... وذكر ما قدّمناه. وكذلك الرافعى قال: إذا نذر إتيان مسجد آخر سوى الثلاثة لم ينعقد نذره، قال الإمام وكان شيخى يفتى... وذكر ما تقدم. وكذلك النووى فى «شرح المهذب» (١) وكذلك فى «شرح مسلم» فى باب فضل المساجد الثلاثة، كلامه مشعر بما قلناه. ومع ذلك قال: إن ما قاله الشيخ أبو محمد غلط.

ففى كلام كل من الإمام والرافعى والنووى - فى غير «شرح مسلم» وفى «شرح مسلم» فى غير هذا الباب - ما يبين أن فرض المسألة فى قصد المساجد، فيحمل كلام أبى محمد عليه.

أما قصد الأغراض الصحيحة فى المساجد وغيرها من الأمكنة - من الزيارة، والاشتغال والجهاد، وغيرها - فلم يتكلم فيه أبو محمد، ولا يجوز أن ينسب إليه المنع منه، ولو قاله هو أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط لحكمنا بغلظه، وأنه لم يفهم مقصود الحديث، لكنه بحمد الله لم يثبت عندنا أنه قال ذلك، ولا نقله عنه أحد غير ما وقع فى «شرح مسلم» من التمثيل على سبيل السهو والغفلة، ولهذا أجللنا

١- المجموع شرح المهذب للنووى ٨ / ٤٧٧ وانظر نذر الصلاة فى ٦ / ٤٨٨ وانظر ٨ / ٤٧٣ و ٨ / ٤٧٥.

ص: ٢٤١

مالكاً رحمه الله عن أن يستدلّ بالحديث على هذا المقصود، وأوجبنا تأويل كلامه على إرادة البقعة لعينها.

وهكذا القاضي عياض، فإنه قال في «الإكمال» (١): قوله عليه الصلاة والسلام:

«لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد» فيه تعظيم هذه المساجد، وخصوصها بشد الرحال إليها؛ لأنها مساجد الأنبياء عليهم السلام، وتفضيل الصلاة فيها، وتضعيف أجرها، ولزوم ذلك لمن نذره، بخلاف غيرها ممّا لا يلزم ولا يباح شد الرحال إليها؛ لا لناذر، ولا لمتطوّع، بهذا النهي، إلّا ما ألحقه محمّد بن مسلمة من مسجد قباء.

وهذا الكلام من القاضي عياض ليس فيه تعرّض لزيارة الموتى أصلاً، ولا يجوز أن ينقل ذلك عنه بتصريح ولا بإشارة، وإنما أشار به إلى غير الثلاثة من المساجد.

عنوان المسألة في كتب الفقه

فإن قلت: قد قال ابن قدامة الحنبليّ في كتاب «المغنى» (٢): فصل: فإن سافر لزيارة القبور والمشاهد فقال ابن عقيل: لا يباح له الترخّص؛ لأنه منهيّ عن السفر إليها، قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد».

والصحيح إباحته، وجواز القصر فيه؛ لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي قباء ماشياً وراكباً، وكان يزور القبور، وقال: «زوروا تذكروكم الآخرة».

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد» فيحمل على نفى

١- الإكمال للقاضي عياض.

٢- المغنى لابن قدامة ١٠٣/٢.

ص: ٢٤٢

الفضيلة، لا على التحريم، وليست الفضيلة شرطاً في إباحة القصر، ولا يضرّ انتفاؤها.

قلت: قد وقفت على كلام ابن قدامة المذكور، وترجمته بالسفر لزيارة القبور والمشاهد، ولم أقف على كلام ابن عقيل، فإن كان في المشاهد، أو في قصدها مع الزيارة، فلا يرد علينا؛ لأنه من باب قصد الأمكنة، وهذا هو الظاهر من استدلاله بالحديث على ما تقرّر، وكلامنا إنّما هو في مجرد قصد الزيارة للميت من غير قصد البقعة أصلاً، وليس في كلام ابن عقيل ولا ابن قدامة تصريح بذلك، بل كلامه يشير إلى أنه إنّما تكلم في القبور التي بنيت عليها المشاهد، وقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل في ذلك؛ لأنّ مكانه لا يسمّى «مشهداً».

ولو سلّمنا اندراجها في مدلول كلامه فيجب تخصيصه، وحمل كلامه على ما سواه.

وإذا كنّا نخصص كلام الله وكلام رسوله بالأدلة، فأى شيء كلام ابن عقيل حتّى لا نخصص؛ إذا أحسنّا الظنّ به؟!

والموجب لتخصيص هذا القبر الشريف عن سائر القبور، الأدلة الواردة في زيارته على الخصوص، وإطباق الناس على السفر إليه، فإن لم يعتبر ابن عقيل هذه الأدلة لفوّت سهام التخطئة إليه، وردّ كلامه عليه، ولكنّه لم يثبت بحمد الله عندنا ذلك عنه.

فإن قلت: قد أكثرت من التفرقة بين البقعة، وقصد مَنْ فيها، وسلّمت أنّ قصد البقعة داخل تحت الحديث، والزيارة لا بدّ فيها من قصد البقعة، فإنّ السلام والدعاء يحصل من بعد، كما يحصل من قرب، وهو مقصود الزيارة.

قلت: قصد البقعة لما اشتملت عليه ليس بمحذور، ولا نقول بنفي الفضيلة عنه، وإنّما قلنا ذلك في قصد البقعة لعينها، أو لتعظيم لم يشهد به الشرع.

على أنا نقول: إنّ لا يلزم من الزيارة أن يكون للبقعة مدخل في القصد

ص: ٢٤٣

الباعث، بل تارة: يكون ذلك مقصوداً، وتارة: يجرد قصد الشخص المزور من غير شعور بما سواه.

وقوله: «إن مقصود الزيارة يحصل من بُعد» ممنوع؛ فإن الميت يعامل معاملة الحي، فالحضور عنده مقصود، ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج فيه ليلته عائشة إلى البقيع، فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرّات... الحديث المشهور، وفيه: أن عائشة سألته فقال: «إن جبرئيل أتاني فقال: إن ربك عزوجل يأمرك أن تأتي أهل البقيع وتستغفر لهم».

قالت فقلت: كيف أقول لهم يا رسول الله؟

قال: قولي: «السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون» رواه مسلم (١).

فانظر كيف خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى البقيع بأمر الله تعالى يستغفر لأهله، ولم يكتف بذلك من الغيبة، وهذا أصل في الإتيان إلى القبور لزيارة أهلها للاستغفار لهم.

وقد سألت عائشة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف تقول؟ تعني إذا فعلت كفعله، وعلمها، وفي ذلك دليل على أنه يجوز لها وللنساء، الإتيان إلى القبور لهذا الغرض؛ لأن سؤالها ذلك كان بعد رجوعهما إلى البيت، فلم يكن المقصود منه: كيف أقول الآن؟ وإنما معناه كيف أقول مرّة أخرى؟ فلو كان لا يجوز لها ذلك لبيّنه لها.

١- صحيح مسلم ٦٣/٣ كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبر.

ص: ٢٤٤

وليس هذا المقصود هنا، فإننا نذكره إن شاء الله تعالى في موضع آخر «(١)». وإتّما المقصود هنا أنّ الحضور عند القبر لسبب زيارة من فيه والدعاء مطلوب، وليس ذلك من باب قصد الأمكنة، ولا دلّ الحديث على امتناعه، ولا قال به أحد من العلماء.

فتاوى مُتَخَلِّقَةٌ مَزُورَةٌ باسم علماء بغداد

«(٢)»

وقد أحضر إليّ بعض الناس صورة فتاوى منسوبة لبعض علماء بغداد في هذا الزمان، لا أدري هل هي مخلقة من بعض الشياطين الذين لا يحسنون؟ أو هي صادرة ممن هو متّسم بسمه العلم، وليس من أهله؟ فأولها: فتيا مالكي قال فيها: قد نصّ الشيخ أبو محمّد الجويني في كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهو اختيار القاضي الإمام عياض في إكماله «(٣)».

١- يأتي.

٢- نسب هذه الفتاوى ولفظها السلفي محمد بن عبد الهادي الذي انتصر لابن تيمية، وقد نقل نصّ فتواه، ثم عقبها بقوله: وقد وصل ما أجاب به الشيخ في هذه المسألة إلى «علماء بغداد» فقاموا في الانتصار له، وكتبوا بموافقة، ورأيت خطوطهم بذلك، وهذه صورة ما كتبوا، العقود الدرية ص ٣٤٢ ونقله في مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/١٩٣. ثم أوردتها، وهي كما عرفت بلا- سَندٍ ولا- صادرة عن اناسٍ معروفين بل كلّها أسماء نكرات، ومنقولاً-تهم فيها مزيفه وكاذبه، واستدلالاتهم باطله، كما ستعرف.

ولقد أغرق ابن عبد الهادي في التعصب لما ادّعى في الصارم ص ١٥ أن هذه الفتاوى مشهورة! ممّا شاع خبرها وذاع واشتهر أمرها وانتشر! وهي صحيحة ثابتة، متواترة! ولاحظ المقارنة بين قوله مشهورة و متواترة!!

٣- هذا النص في مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/١٩٧ وهو الجواب الثاني، كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادي الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية.

ص: ٢٤٥

ولقد كذب في هذا النقل عن الشيخ أبي محمد والقاضي عياض جميعاً... ثم أطال الكلام بما لا فائدة فيه. وثانيها: فتيا شافعي قال فيها: إنَّ المفهوم من كلام العلماء ونظار العقلاء، أنَّ الزيارة ليست عبادة وطاعة بمجردِها «(١)». فإنَّ أراد المفهوم عنده فلا علينا منه، ونقول له: المفهوم عند العلماء خلافه. ثم قال: إنَّ من اعتقد جواز الشدِّ إلى غير ما ذكر أو وجوبه أو ندبه، كان مخالفاً لصريح النهي، ومخالفة النهي معصية إما كفراً وغيره؛ على قدر المنهَى عنه ووجوبه وتحريمه. ويكفي هذا الكلام ضحكةً على ما قاله أن يجعل المنهَى عنه منقسماً إلى وجوب وتحريم، دع سوء فهمه للحديث. وثالثها: فتيا آخر شارك فيها الأوَّل في النقل عن الشيخ أبي محمد والقاضي عياض. وقد تقدّم جوابه، وأساء الفهم في الحديث، كما أساءه غيره. ورابعها: فتيا آخر ليس فيها طائل. وكلُّهم خلط مع ذلك ما لا طائل تحته، والأقرب أنَّها مختلفة، وأنَّ مثلها لا يصدر عن عالم، وإنَّما ذكرتها هنا لتضمَّنْها النقل عن الشيخ أبي محمد والقاضي عياض الذي تعرَّضت هنا لإفساده.

١- هذا النص في مجموع فتاوى ابن تيمية ١٣/ ١٩٦ وهو الجواب الأوَّل لمحرِّره ابن الكتبي الشافعي.

ابن تيمية يمنع الزيارة مطلقاً، لا شدّ الرحل إليها فقط

«(١)»

تنبيه: قد يتوهم من استدلال الخصم بهذا الحديث: أن نزاعه قاصر على السفر للزيارة، دون أصل الزيارة. وليس كذلك، بل نزاعه في الزيارة أيضاً؛ لما سذكركه في الشبهتين الثانية والثالثة، وهما: كون الزيارة على هذا الوجه المخصوص بدعاً.

وكونها من تعظيم غير الله المفضى إلى الشرك، وما كان كذلك كان ممنوعاً. وعلى هاتين الشبهتين بنى كلامه، وأصل الخيال الذي سرى إليه منهما لا غير، وهو عام في الزيارة والسفر إليها.

١- لقد كذب ابن عبد الهادي هذه النسبة، ونفى أن يكون ابن تيمية منع عن مطلق الزيارة، وهو عمدة عمله في الصارم المنكى، لكن ما نقله المصنف من كلام ابن تيمية واضح الدلالة على ذلك، وقد أفردنا له كتاب «الزيارة» فراجع. ثم أورد ابن عبد الهادي أجوبة أخرى بعنوان: «ووقفت على كتاب ورد مع أجوبة أهل بغداد وصورته: ...»، وقد ذكر هذا مكرراً، وذكر أجوبة ليس فيها طائل، كما ذكر المؤلف الإمام السبكي.

وهكذا يعتمد على الرقاع والمكاتب التي لا سند لها ولا خطم ولا أزمه، ويعتبرها شيئاً، بينما لو فعل غير السلفية هذا، لأقامت الدنيا وما أقعدتها؟ باعتبار اعتماد شيء لا-سند له، وهى الرقاع، والمكاتب، إلى آخر حملاتهم الشنعاء على أهل العلم وكتب العلم، وأنهم صحفيون!!

ثم ما حجة كلام هؤلاء، أمام الحجج الشرعية والنصوص الإلهية والنبوية الدالة على مشروعية أعمال العباد القاصدين بها القربة وامتثال أوامر الرسول والأئمة الامناء على الناس ديناً ودينياً.

ثم لماذا خصت بغداد وعلماؤها الأعلام! بهذا النقض للأحكام الصادرة من سلطان مصر؟ أليس يستشتم منها رائحة السياسة التي يسير في فلکها السلفية الأميريون أتباع الحكام الظلمة والامراء الفسقة في كل عصر ومصر

ص: ٢٤٧

ولهذا يدعى هو: أن الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلها ضعيفة، بل موضوعه «(١)». ويستدل بقوله: «لا تتخذوا قبوري عيداً» ويقول: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وبأن هذا كله محافظة على التوحيد، وأن أصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما سنذكر ذلك في نص كلامه المنقول عنه. وقد رأيت أيضاً فتياً بخطه، ونقلت منها ما أنا ذاكره، قال فيها- ومن خطه نقلت:-

نص فتوى قديمة لابن تيمية

وأما السفر للتعريف عند بعض القبور، فهذا أعظم من ذلك، فإن هذا بدعة وشرك، فإن أصل السفر لزيارة القبور ليس مشروعاً، ولا استحبه أحد من العلماء، ولهذا لو نذر ذلك لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع بين الأئمة. ثم قال: ولهذا لم يكن أحد من الصحابة والتابعين - بعد أن فتحوا الشام، ولا قبل ذلك - يسافرون إلى زيارة قبر الخليل عليه السلام ولا غيره من قبور الأنبياء التي بالشام، ولا زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك ليلة أسرى به. والحديث الذي فيه: «هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصل فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى، انزل فصل فيه» كذب لا حقيقه له. وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين سكنوا الشام، أو دخلوا إليه ولم يسكنوه، مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وغيره، لم يكونوا يزورون شيئاً من هذه

١- لاحظ مواضع هذه العبارة في كلام ابن تيمية وجروه ابن عبد الهادي في أول تعليقه لنا على هذا الكتاب ص ٦٠.

ص: ٢٤٨

البقاع والآثار المضافة إلى الأنبياء.

ثم قال: ولم يتخذ الصحابة شيئاً من آثاره مسجداً ولا مزاراً؛ غير ما بيناه من المساجد، ولم يكونوا يزورون غار حراء، ولا غار ثور. ثم قال: حتى أن قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفظ بزيارته، وإنما صح عنه «الصلوة عليه والسلام»؛ موافقة لقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا الآية.

ثم قال: ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يُزار؛ لا على قبر نبي، ولا غير نبي، فضلاً عن أن يُسافر إليه؛ لا بالحجاز، ولا بالشام ولا اليمن، ولا العراق، ولا مصر، ولا المشرق!

ثم قال: ولهذا كانت زيارة القبور على وجهين: زيارة شرعية، وزيارة بدعية:

فالزيارة الشرعية مقصودها السلام على الميت، والدعاء له إن كان مؤمناً، وتذكر الموت سواء كان الميت مؤمناً أم كافراً.

وقال بعد ذلك: فالزيارة لقبر المؤمن نبياً أو كان غير نبي، من جنس الصلاة على جنازته، يدعى له كما يدعى إذا صلى على جنازته. وأما الزيارة البدعية، فمن جنس زيارة النصارى مقصودها الإشراك بالميت، مثل طلب الحوائج منه، أو به، أو التمسح بقبره، وتقيله، أو السجود له، ونحو ذلك، فهذا كله لم يأمر الله به ورسوله، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، ولا كان أحد من السلف يفعله؛ لا عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا غيره.

ثم قال: ولم يكونوا يقسمون على الله بأحد من خلقه؛ لا نبي، ولا غيره، ولا يسألون ميتاً، ولا غائباً، ولا يستغيثون بميت، ولا غائب؛ سواء كان نبياً، أو غير نبي، بل كان فضلاًؤهم لا يسألون غير الله شيئاً.

ص: ٢٤٩

انتهى ما أردت نقله من كلام ابن تيمية رحمه الله من خطه، وأنا عارف بخطه «(١)». وهو يدل على ما ذكرناه: من أن نزاعه في السفر والزيارة جميعاً، غير أنه كلام مختبط؛ فيصدره ما يقتضى منع الزيارة مطلقاً، وفي آخره ما يقتضى أنها إن كانت للسلام عليه والدعاء له جازت، وإن كانت على النوع الآخر الذى ذكره لم يجز. وبقي قسم لم يذكره: وهو أن تكون للتبرك به من غير إشراك به. فهذه ثلاثة أقسام:

أولها: السلام والدعاء له.

وقد سلم جوازه، وأنه شرعى، ويلزمه أن يسلم جواز السفر له، فإن فرّق في هذا القسم بين أصل الزيارة وبين السفر - محتجاً بالحديث المذكور - فقد سبق جوابه.

والقسم الثانى: التبرك به والدعاء عنده للزائر.

وهذا القسم يظهر من فحوى كلام ابن تيمية رحمه الله أنه يلحقه بالقسم الثالث، ولا دليل له على ذلك، بل نحن نقطع ببطان كلامه فيه، وأنّ المعلوم من الدين وسير

١- هذه الفتوى لم ينقلها أحد من أتباع ابن تيمية، والظاهر أنها الفتوى القديمة فى مسألة الزيارة التى قال عنها ابن عبد الهادى فى العقود ص ٣٢٧ «وكان للشيخ فى هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير، وذكره فى كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» وغيره وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذى ظفروا به.

أقول: وقد ذكرنا أن الإمام السبكي إنما ألف كتاب شفاء السقام فى مصر حوالى سنة ٧١٦ واعتمد كما يقول هنا، على هذه الفتوى، وهى صريحة فى منع ابن تيمية لمطلق زيارة القبر المعظم، مضافاً إلى منعه لشد الرحال إلى زيارته، كما أثبتته السبكي هنا.

ونفس هذه المقاطع الدالة على منعه لمطلق الزيارة، مبثوثة فى كتبه، ومجموع فتاواه، وفى النقول عنه، فلاحظ كتابه: الجواب الباهر - وهو الذى كتبه بعد تكفير علماء الامّة له - وطبع فى مجموع الفتاوى ٢٧/٤١٤ - ٤٤٤ ج ١٧ ص ٤٦١ وانظر ١٥/١٥٤ و ١٤٣ - ١٤٤ والرّد على الأحنائى ومختصره فى المجموع ٢٧/١١٤ - ٢٨٨ واقتضاء الصراط، وغيرها.

ص: ٢٥٠

السلف الصالحين، التبرك ببعض الموتى من الصالحين، فكيف بالأنبياء والمرسلين؟! ومن ادعى أن قبور الأنبياء وغيرهم من أموات المسلمين سواء، فقد أتى أمراً عظيماً نقطع ببطلانه وخطئه فيه، وفيه حطٌ لدرجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى درجة من سواه من المسلمين، وذلك كفر متيقن، فإن من حط رتبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عما يجب له، فقد كفر.

فإن قال: إن هذا ليس بحط، ولكنه منع من التعظيم فوق ما يجب عليه.

قلت: هذا جهل وسوء أدب، وقد تقدم في أول الباب الخامس «(١)» الكلام في ذلك، ونحن نقطع بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستحق من التعظيم أكثر من هذا المقدار في حياته وبعد موته، ولا يرتاب في ذلك من كان في قلبه شيء من الإيمان.

وأما القسم الثالث: وهو أن يقصد بالزيارة الإشراك بالله تعالى:

فنعود بالله منها وممن يفعلها، ونحن لا نعتقد في أحد من المسلمين - إن شاء الله - ذلك.

وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد» ودعاؤه صلى الله عليه وآله وسلم مستجاب، وقد أيسر الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب «(٢)».

فهذا شيء لا نعتقد إن شاء الله في أحد ممن يقصد زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما التمسح بالقبر وتقبيله والسجود عليه ونحو ذلك:

فإنما يفعله بعض الجهال، ومن فعل ذلك ينكر عليه فعله ذلك، ويعلم آداب الزيارة، ولا ينكر عليه أصل الزيارة، ولا السفر إليها، بل هو مع ما صدر منه من

١- الباب الخامس ص ١٧٩-٢٠٠.

٢- لاحظ سنن الترمذى ٤/٤٠١ ح ٢١٥٩ كتاب الفتن، وسنن ابن ماجه ٢/١٠١٥ ح ٣٠٥٥ كتاب المناسك، وسنن النسائي ٦/٣٥٣ ح

١١٢١٣ كتاب التفسير، ومسند أحمد ٢/٣٦٨.

ص: ٢٥١

الجهل محمود على زيارته وسفره، مذموم على جهله وبدعته «(١)».

وأما طلب الحوائج عند قبره صلى الله عليه وآله وسلم، فسنذكره في باب الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم «(٢)»:
ولتكلم على الشبهة الثانية والثالثة اللتين بنى ابن تيمية رحمه الله كلامه عليهما:

مشروعية الزيارة

أما الشبهة الثانية:

وهي كون هذا ليس مشروعاً، وأنه من البدع التي لم يستحبها أحد من العلماء؛ لا من الصحابة، ولا من التابعين ومن بعدهم. فقد قدمنا سفر بلال من الشام إلى المدينة لقصده الزيارة.

وأن عمر بن عبدالعزيز كان يجّهز البريد من الشام إلى المدينة للسلام على النبى عليه الصلاة والسلام. وأن ابن عمر كان يأتي قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيسلم عليه وعلى أبى بكر وعمر رضى الله عنهم. وكل ذلك يكذب دعوى: أن الزيارة والسفر إليها بدعة.

ولو طوب ابن تيمية رحمه الله بإثبات هذا النفى العام، وإقامة الدليل عليصحة، لم يجد إليه سبيلاً. فكيف يحلّ لذي علم أن يُقدم على هذا الأمر العظيم بمثل هذه الظنون، التي مستنده فيها أنه لم يبلغه، وينكر به ما أطبق عليه جميع المسلمين شرقاً وغرباً في سائر الأعصار؛ ممّا هو محسوس خلفاً عن سلف، ويجعله من البدع؟!

١- لاحظ ما ذكره الذهبى، ونقلناه ص ١٧٤.

٢- سيأتى في الباب الثامن.

ص: ٢٥٢

فإن قلت: إن الذي كان يفعله السلف من النوع الأول؛ وهو السلام والدعاء له، دون النوع الثاني والثالث. قلنا: أما الثالث فلا استرواح إليه؛ لأننا نبعد كل مسلم منه.

وأما النوع الأول والثاني، فدعوى كون السلف كلهم كانوا مطبقين على النوع الأول؛ وأنه شرعي، وكون الخلف كلهم مطبقين على الثاني؛ وأنه بدعي، من التخصّص الذي لا يقدر على إثباته، فإن المقاصد الباطنة لا يطلع عليها إلا الله تعالى.

فمن أين له أن جميع السلف لم يكن أحد منهم يقصد التبرّك، أو أن جميع السلف لا يقصدون إلا ذلك؟!!

ثم إنه قال فيما سنحكيه من كلامه: «إن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك»؛ يعني لاعتقاده أنها قريبة، وأنه متى كان كذلك كان حراماً.

ولا شك أن بلائاً وغيره من السلف - وإن سلمنا أنهم ما قصدوا إلا السلام - فإنهم يعتقدون أن ذلك قريبة.

فلو شعر ابن تيمية رحمه الله أن بلائاً وغيره من السلف فعل ذلك، لم ينطق بما قال، ولكنه قام عنده خيال: أن هذه الزيارة فيها نوع من الشرك، ولم يستحضر أن أحداً فعلها من السلف، فقال ما قال وغلط رحمه الله فيما حصل له من الخيال، وفي عدم الاستحضر.

ودعوا: «أنه لو نذر ذلك، لم يجب عليه الوفاء به بلا نزاع من الأئمة».

نحن نطالبه بنقل هذا عن الأئمة.

وتحقيق أنه لا نزاع بينهم فيه.

ثم بتقرير كون ذلك عامّاً في قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره.

ليحصل مقصوده في هذه المسألة التي تصدّينا لها.

ص: ٢٥٣

ومتى لم تحصل هذه الأمور الثلاثة لا يحصل مقصوده، وليس إلى حصولها سبيل. ونحن قد نقلنا أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلزم بالندرة، وعلى مقتضاه يلزم السفر إليها أيضاً بالندرة؛ على الضد مما قال. وأما قوله: «إن الصحابة لما فتحوا الشام، لم يكونوا يسافرون إلى زيارة قبر الخليل وغيره من قبور الأنبياء التي بالشام». فلعله لأنه لم يثبت عندهم موضعها، فإنه ليس لنا قبر مقطوع به إلا قبره صلى الله عليه وآله وسلم. وأما قوله: «ولا زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من ذلك ليلة أسرى به». فلعله لاشتغاله بما هو أهم.

وقد تحققنا زيارته صلى الله عليه وآله وسلم القبور بالمدينة وغيرها في غير تلك الليلة، فليس ترك زيارته في تلك الليلة دليلاً على أن الزيارة ليست بسنة، فالتشاغل بالاستدلال بذلك تشاغل بما لا يجدى.

وأما قوله: «إن الحديث الذي فيه: «هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصل فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه» كذب لا حقيقة له. فصدق فيما قال.

وهذا الحديث يرويه بكر بن زياد الباهلي، قال ابن حبان: شيخ دجال يضع الحديث على الثقات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدر فيه.

وذكر ابن حبان من طريقه الحديث المذكور، وفيه: «ثم أتى بي إلى الصخرة فقال: يا محمّد، من ها هنا عرج ربك إلى السماء...» وذكر كلاماً طويلاً كره ابن حبان ذكره.

قال ابن حبان: وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع،

ص: ٢٥٤

فكيف البزل في هذا الشأن؟! هذا كلام ابن حبان (١)».

وقد ذكر هذا الحديث أبو القاسم المكي بن عبدالسلام بن الحسين بن القاسم المقدسي الرميلى في «كتابصنّفه في فضائل زيارة قبر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام».

والرميلى هذا بضمّ الراء، وفتح الميم، وسكون الياء، نسبة إلى الرميلى من الأرض المقدسة.

وذكره أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور ابن السمعاني في كتاب «الأنساب» (٢) فقال: كان حافظاً كثيراً، رحل إلى مصر، والشام، والعراق، والبصرة، قال ابن ناصر: وصّف كتاباً في تأريخ بيت المقدس، وسمع من الخطيب بالشام وبغداد، وكان فاضلاً صالحاً ثبّاً وعاد إلى بيت المقدس، وأقام بها يدرّس الفقه على مذهب الشافعي، ويروي الحديث، إلى أن غلبت الفرنج على بيت المقدس، ثم قتل شهيداً.

قال ابن السمعاني: روى عن مكي بن عبدالسلام: محمد بن علي الاسفراييني، وأبو سعيد عمّار التاجر، ولم يحدث عنه سواهما.

وقال ابن النجار (٣): عزم على أن يعمل تأريخاً لبيت المقدس، فحالت دونه مميته، قتلته الفرنج بالحجارة في اليوم الثاني عشر من شوال سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة.

وذكر أبو القاسم عمر بن أبي جرادة في «تأريخ حلب» (٤): أنه ولد في المحرم يوم

١- كتاب المجروحين لابن حبان.

٢- الأنساب للسمعاني الرميلى ظهر ص ٢٥٩. من طبعة مرجليوث.

٣- ذيل تاريخ بغداد لابن النجار.

٤- تاريخ حلب لابن أبي جرادة.

ص: ٢٥٥

عاشوراء سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة بيت المقدس.

قلت: وذكر في هذا التصنيف آثاراً في زيارة قبر إبراهيم الخليل، منها الحديث المذكور، قال: أنا الشيخ الصالح الثقة أبو محمد عبدالعزيز بن أحمد بن عمر بن إبراهيم المقدسي قراءة عليه رحمه الله، أنا محمد بن أحمد أبو بكر بن محمد الواسطي الخطيب قراءة عليه، ثنا أبو القاسم عيسى بن عبيد الله بن عبدالعزيز الموصلي المعروف ب «المصاحفي» (١) ثنا أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي وكيل المسجد الأقصى، ثنا العباس بن أحمد بن عبد الله وأنا سألته، ثنا عبد الله بن أبي عمرة المقدسي، ثنا بكر بن زياد الباهلي، عن عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما أسرى بي إلى بيت المقدس، مرّ بي جبرئيل إلى قبر إبراهيم عليهما الصلاة والسلام فقال: انزلصلّ ها هنا ركعتين؛ فإنّ هنا قبر أبيك إبراهيم عليه السلام، ثمّ مرّ بي إلى بيت لحم فقال: انزلصلّ ها هنا ركعتين؛ فإنّ ها هنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثمّ أتى بي إلى الصخرة...» قال: وذكر الحديث.

ورواه ابن حبان، عن محمد بن أحمد بن إبراهيم، ثنا عبد الله بن سليمان بن أبي عمرة، ثنا بكر بن زياد.

وإنّما تكلمنا على هذا الحديث للتنبيه على الفائدة فيه، وليس بنا ضرورة إلى إثباته أو نفيه في تحقيق المقصود، لما سبق أنّ عدم الزيارة في وقت خاص لا يدلّ على عدم الاستحباب.

وقوله: «إنّ الصحابة لم يكونوا يزورون شيئاً من هذه البقاع والآثار».

فكلامنا إنّما هو في زيارة ساكن البقعة، لا في زيارة البقعة، وقد تقدّم التنبيه

ص: ٢٥٦

على الفرق بينهما.

ثم إن هذه شهادة على نفي، يصعب إثباتها؛ وإن كنا مستغنين عن منعها أو تسليمها.

وقوله: «حتى أن قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم».

هذا هو المقصود في هذه المسألة.

وقوله: «لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفظ بزيارة».

قد تقدم إبطال هذه الدعوى؛ وتحقيق ثبوت الحديث فيها.

وقوله: «ولهذا لم يكن على عهد الصحابة والتابعين مشهد يُزار على قبر نبي، ولا غير نبي، فضلاً عن أن يسافر إليه...» إلى آخر كلامه.

إن أراد ما يسمّى «مشهداً» فموضع قبره صلى الله عليه وآله وسلم لا يسمّى «مشهداً» وكلامنا إنما هو فيه، وإن أراد أنه لم يكن في

ذلك الزمان زيارة لقبر نبي من الأنبياء، فهذا باطل لما قدمناه.

وبقيته كلامه؛ وتقسيمه الزيارة إلى: شرعية، وبدعية، سبق الكلام عنه.

وفيه اعتراف بمطلق الزيارة، ويلزمه الاعتراف بالسفر إليها، ولا يمنع من ذلك كون نوع منها، يقترب به من بعض الجهال ما هو منهى

عنه.

فمن ادعى الزيارة من غير انضمام شيء آخر إليها بدعة، فقد كذب وجهل.

ومن حرّمها فقد حرّم ما أحله الله تعالى.

ومن أطلق التحريم عليها- لأنّ بعض أنواعها محرّم، أو يقترب به محرّم- فهو جاهل.

وهكذا من امتنع من إطلاق الاستحباب على الزيارة من حيث هي- لوقوع بعض أنواعها من بعض الناس على وجه التحريم- فهو جاهل

أيضاً، فإنّ الصلاة قد تقع على وجه النهي عنه، كالصلاة في الدار المغصوبة، وما أشبه ذلك، ولا يمنع

ص: ٢٥٨

عند الله «(١)».

وأما الزيارة والدعاء والسلام، فلا يؤدي إلى ذلك، ولهذا شرعه الله تعالى على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما ثبت من الأحاديث المتقدمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلًا، وتواتر ذلك، وإجماع الأمة عليه. فلو كانت زيارة القبور من التعظيم المؤدى إلى الشرك - كالتصوير ونحوه - لم يشرعها الله تعالى في حق أحد من الصالحين، ولا فعلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والصحابة في حق شهداء احد والبقيع وغيرهم. وليس لنا أن نحرم إلا ما حرمه الله وإن تخيلنا: أنه يفضى إلى محذور، ولا نبيح إلا ما أباحه الله وإن تخيلنا: أنه لا يفضى إلى محذور. ولما أباح الزيارة وشرعها، وسنّها رسوله، وحظر اتخاذ القبور مساجد، وتصوير الصور عليها، قلنا بإباحة الزيارة ومشروعيتها، وتحريم اتخاذ القبور مساجد والتصوير.

فمن قاس الزيارة على التصوير في التحريم، كان مخالفًا للنص، كما أن شخصاً لو قال بإباحة اتخاذ القبور مساجد إذا لم يفض إلى الشرك، كان مخالفًا للنص أيضاً.

والوسائل التي لا يتحقق بها المقصود، ليس لنا أن نجرى حكم المقصود عليها إلا بنص من الشارع؛ فإن هذا من باب سدّ الذرائع الذي لم يقم عليه دليل.

فالمفضى إلى الشرك حرام بلا إشكال، وأما الأمور التي قد تؤدي إليه، وقد لا تؤدي، فما حرمه الشرع منها كان حراماً، وما لم يحرمه كان مباحاً؛ لعدم استلزامه للمحذور.

وهذه الأمور التي نحن فيها من هذا القبيل:

١- لاحظ صحيح البخارى ١/ ١١١ و ١١٢ و ٢٤٥/٤ و صحيح مسلم ١/ ٢٦٦.

ص: ٢٥٩

حرم الشرع منها اتخاذ القبور مساجد، والتصوير، والعكوف على القبور.
وأباح الزيارة، والسلام، والدعاء.

وكل عاقل يعلم الفرق بينهما، ويتحقق أن النوع الثاني إذا فعل مع المحافظة على آداب الشريعة، لا يؤدي إلى محذور، وأن القائل بمنع ذلك جملة - سداً للذريعة - متقول على الله، وعلى رسوله، منتقص ما ثبت لذلك المزور من حق الزيارة.
واعلم: أن ها هنا أمرين لا بدّ منهما:

أحدهما: وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورفع رتبته عن سائر الخلق.

والثاني: إفراد الربوبية؛ واعتقاد أن الربّ تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه.

فمن اعتقد في أحد من الخلق مشاركة الباري تعالى في ذلك، فقد أشرك وجنى على جانب الربوبية فيما يجب لها، وعلى الرسول فيما أدى إلى الأمة من حقها.

ومن قصر بالرسول عن شيء من رتبته، فقد جنى عليه فيما يجب له، وعلى الله تعالى بمخالفته فيما أوجب لرسوله.

ومن بالغ في تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنواع التعظيم، ولم يبلغ به ما يختص بالباري تعالى، فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً، وذلك هو العدل الذي لا إفراط فيه ولا تفریط.

ومن المعلوم: أن الزيارة بقصد التبرك والتعظيم، لا تنتهي في التعظيم إلى درجة الربوبية، ولا تزيد على ما نص عليه في القرآن والسنة، وفعل الصحابة من تعظيمه في حياته وبعد وفاته، وكيف يتخيل امتناعها؟!

إنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا الرجل قد تخيل: أن الناس بزيارتهم متعرضون للإشراك بالله تعالى،

ص: ٢٦٠

وبنى كلامه كله على ذلك، وكلّ دليل ورد عليه يصرفه إلى غير هذا الوجه، وكلّ شبهة عرضت له يستعين بها على ذلك. فهذا داء لا دواء له إلا بأن يلهمه الله الحقّ. أيرى هو لما زار: قصد ذلك، وأشرك مع الله غيره؟!

الفصل الثاني: في تتبع كلماته

وقد سبق تتبع ما نقلته من خطّه في فتيا لم يسأل فيها عن الزيارة قصداً، بل جاء ذكرها تبعاً للكلام في المشاهد. والذي اتصل عنه بالدولة نسخة فتيا نقلت من خطّه، وعلى رأسها بخطّ قاضى القضاء جمال الدين ماصورته: قابلت الجواب عن هذا السؤال المكتوب دونه، في هذه الورقة، على خطّ تقىّ الدين ابن تيمية، فصّح، سوى ما علّم عليه بالأحمر، فإنّ مواضعه من الورقة التي بخطّه وجدتها واهية، وليس ذلك بمحزّ، إنّما المحزّ جعله زيارة قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وقبور سائر الأنبياء عليه السلام معصية بالإجماع، مقطوعاً بها. وكتب محمّد بن عبدالرحمان القزوينيّ الشافعيّ.

ص: ٢٦٢

وقد علّم عليها الآن بالأسود في هذه النسخة «(١)»:

بسم الله الرحمن الرحيم

ما يقول السادة العلماء أئمة الدين - نفع الله بهم المسلمين - في رجل نوى زيارة (قبر نبي من الأنبياء) «(٢)» مثل نبينا محمد صلى الله

عليه وآله وسلم وغيره، فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» و «من زارني بعد موتي كمن زارني في حياتي».

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تشد الرحال إلّا [إلى ثلاثة مساجد] المسجد الحرام، والمسجد الأقصى «(٣)»،

ومسجدي هذا».

أفتونا مأجورين.

صورة فتوى ابن تيمية التي استنكرها علماء الملة الإسلامية

صورة ما وجد بخط تقي الدين بن تيمية رحمه الله مكتوباً تحت هذا السؤال، جواباً عنه:

الحمد لله [رب العالمين].

أمّا من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين:

١- أورد هذه الفتوى ابن عبد الهادي في العقود الدرية ص ٣٣٢ - ٣٤٠ ونقلها في مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧ / ١٨٢ وقد قابلنا المطبوع

في كتابنا بما فيهما، ووضعنا ما أضيف بين المعقوفين.

٢- في المجموع: قبور الأنبياء والصالحين.

٣- فيه تأخير والمسجد الأقصى.

ص: ٢٦٣

أحدهما: - وهو قول متقدمى العلماء الذين لا يجوزون القصر فى سفر المعصية، كأبى عبد الله بن بطة، وأبى الوفاء بن عقيل، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين - أنه لا يجوز القصر فى مثل هذا السفر؛ لأنه سفر منهى عنه. ومذهب مالك والشافعى وأحمد: أن السفر المنهى عنه فى الشريعة لا يقصر فيه.

والقول الثانى: أنه يقصر فيه، وهذا قول من يجوز القصر فى السفر المحرم، كأبى حنيفة رحمه الله، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى وأحمد ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، كأبى حامد الغزالى، وأبى الحسين بن عبدوس الحرانى، وأبى محمد بن قدامة المقدسى، وهؤلاء يقولون: إن هذا السفر ليس بمحرم؛ لعموم قولهم صلى الله عليه وآله وسلم: «زوروا القبور». وقد يحتج بعض من لا يعرف الأحاديث بالأحاديث المروية فى زيارة قبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم كقوله: «من زارنى بعد مماتى فكأتما زارنى فى حياتى» رواه الدارقطنى وابن ماجه (١).

وأما ما يذكره بعض الناس من قوله: «من حج ولم يزرنى فقد جفانى» فهذا لم يروه أحد من العلماء، وهو مثل قوله: «من زارنى وزار أبى إبراهيم فى عام واحد، ضمنت له على الله الجنة» فإن هذا باطل باتفاق العلماء لم يروه أحد، ولم يحتج

١- سنن الدارقطنى

وهكذا نقله ابن تيمية عن ابن ماجه، وسيأتى ص ٢٧٢ رد المصنف عليه أنه ليس فى سنن ابن ماجه، وهو كذلك، ولكن المحقق السلفى الأمين! للفقود الدرية حذف كلمة وابن ماجه فلاحظ ص ٣٣٣!! والغريب ان ابن عمه جامع مجموع فتاوى ابن تيمية أثبت فيه ٢٧ / ١٨٥ فلاحظ الجمع بين الخيانة والغباء.

وقد مرّ نقله عن العقيلي فى الضعفاء فى الحديث ١٣ من الباب الأول، فراجع.

ص: ٢٦٤

به واحد «(١)»، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني «(٢)».

وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة (قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبور الأنبياء: بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم) «(٣)» كان يزور مسجد قباء، وأجاب عن حديث: «لا تشد الرحال» بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب. وأمّا الأولون فإنهم يحتجون بما في «الصحيحين» عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تشد الرحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدى هذا». وهذا الحديث مما اتفق الأئمة عليه عليه الصلاة والسلام والعمل به.

فلو نذر الرجل أن يصلى فى مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه، أو يسافر إليه «(٤)» غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة. ولو نذر أن [يسافر و] يأتى المسجد الحرام بحج أو عمرة، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء. ولو نذر أن يأتى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي [فى أحد قوليه] وأحمد، ولم يجب عند أبي حنيفة؛ لأنه لا يجب عنده بالنذر إلّا ما كان (من) جنسه واجباً بالشرع. وأمّا الجمهور فيوجبون الوفاء بكل طاعة؛ لما ثبت فى «صحيح البخارى» «(٥)» عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن

١- فى المجموع والعقود: أحد، بدل واحد.

٢- أضاف فى المجموع والعقود هنا: ونحوه.

٣- فى المجموع والعقود: القبور بأنه بدل ما بين القوسين.

٤- حرف فى العقود هذه الفقرة إلى هنا، فلاحظ.

٥- صحيح البخارى ٨ / ٥٤٠ ح ١٥٤٥ كتاب الايمان والنذور باب ٨٦٧ النذر فى الطاعة.

ص: ٢٦٥

يعصى الله فلا يعصه» والسفر إلى المسجدين طاعة، فلهذا وجب الوفاء به.

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره؛ حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنه ليس من [المساجد] الثلاثة، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان في المدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل، كما في الحديث الصحيح: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء لا يريد إلا الصلاة فيه، كان كعمرة».

قالوا: ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة؛ لم يفعلها أحد من الصحابة والتابعين، ولا أمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها «(١)» فهو مخالف للسنة، ولإجماع الأمة.

وهذا مما ذكره أبو عبد الله بن بطة في «إبانته الصغرى» من البدع المخالفة للسنة والإجماع.

وبهذا يظهر ضعف «(٢)» حجة أبي محمد [المقدسى]، فإن زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمسجد قباء لم تكن بشد رحل، وهو يدلهم «(٣)» أن السفر إليه لا يجب بالنذر.

وقوله: إن قوله: «لا تشد الرحال» محمول على نفى الاستحباب، يحتمل «(٤)» وجهين:

أحدهما: أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قربة، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات، فإذن من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنها قربة وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أنها

١- في المجموع والعقود وفعله.

٢- في العقود والمجموع: بطلان بدل: ضعف.

٣- في المجموع يسلم لهم بدل: يدلهم، ولم يرد في العقود؛ وفيه: شد رحل، ولأن السفر.

٤- في العقود والمجموع: يجاب عنه، بدل: يحتمل.

ص: ٢٦٦

طاعة كان ذلك محرماً بإجماع المسلمين، فصار التحريم (من الأمر المقطوع به) «(١)»، ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلاًلذلك. وأما إذا قدر «(٢)» أن الرجل يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب.

الوجه الثاني: أن (النفى يقتضى النهى) «(٣)»، والنهى يقتضى التحريم.

وما ذكره من الأحاديث فى زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هى موضوعة! لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها! ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها!! «(٤)» بل مالك- إمام أهل المدينة النبوية، الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة- كره أن يقول: «زرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» ولو كان هذا اللفظ هو معروفاً عندهم، أو مشروعاً، أو مأثوراً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكرهه عالم [أهل] المدينة!!

والإمام أحمد- أعلم الناس فى زمانه بالسنة- لما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه، [فى ذلك من الأحاديث] إلاًلحديث أبى هريرة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

١- فى العقود والمجموع بدل ما بين القوسين: من جهة اتخاذه قرية.

٢- فى العقود والمجموع: نذر الرجل أن يسافر بدل: قدر أن الرجل يسافر.

٣- فى العقود والمجموع: بدل ما بين القوسين: «أن هذا الحديث يقتضى النهى». والأصوب ما فى كتابنا، لأن المذكور فى الحديث هو النفى، فلاحظ.

٤- لاحظ ما علقناه فى صدر الحديث الأول من الباب الأول من كتابنا هذا ص ٦٠ وقال العلامة ممدوح: شاع بين كثير من الناس! أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة، بل موضوعة!!

وهو خطأ بلا ريب، ومصادم لقواعد الحديث بلا مين، ويكفى اللبيب قول الذهبى الحافظ الناقد عن حديث الزيارة: طرقه كلها لينة، لكن يتقوى بعضها ببعض لأن ما فى روايتها متهم بالكذب! نقله عنه السخاوى، وأقره، فى المقاصد الحسنة ص ٤١٣ لاحظ رفع المنارة

ص ٩.

ص: ٢٦٧

«ما من رجل يسلم على إله الله على رُوحى حتى أُرِدَّ عليه السلام» وعلى هذا اعتمد أبو داود فى سننه [\(١\)](#). وكذلك مالك فى «الموطأ» [\(٢\)](#) روى عن عبدالله بن عمر: أنه كان إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف.

وفى ٧ «سنن أبى داود»: عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «لا تتخذوا قبرى عيداً، وصلوا علىّ، فإنّصلاتكم تبلغنى حيث ما كنتم» [\(٣\)](#).

وفى «سنن سعيد بن منصور» [\(٤\)](#): أن عبدالله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، رأى رجلاً يختلف إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم [و] يدعو عنده، فقال: يا هذا، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «لا تتخذوا قبرى عيداً، وصلوا علىّ حيث ما كنتم؛ فإنّصلاتكم تبلغنى» فما أنت ورجل بالأندلس إلساء.

وفى «الصحيحين»: عن [عائشة، عن] النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال فى مرض موته:

«لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [\(٥\)](#) يحذر ما فعلوا.

قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كره أن يتخذ مسجداً.

فهم دفنوه صلى الله عليه وآله وسلم فى حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحراء؛ لئلا يصلّى أحد عند قبره، ويتخذ مسجداً، فيتخذ قبره وثناً.

١- سنن أبى داود ٢/ ٢١٨ كتاب المناسك، باب زيارة القبور ح ٢٠٤٢ من حديث أبى هريرة. ولاحظ ما ذكره أحمد.

٢- الموطأ لمالك، لم نجده فى الموطأ المطبوع!

٣- سنن أبى داود الموضع الأسبق.

٤- سنن سعيد بن منصور.

٥- صحيح البخارى ١/ ٢٥٠ باب ٢٩٦ حلّ نبش قبور مشركى الجاهلية ح ٤١٧.

ص: ٢٦٨

وكان الصحابة والتابعون- لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد إلى زمان الوليد بن عبد الملك- لا يدخل أحد (إلى عنده) «(١)» لا لصلاة هنالك، ولا لمسح بالقبر، ولا دعاء هناك، بل هذا جميعه إنما يفعلونه في المسجد.

وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلي القبلة، ولم يستقبلوا القبر.

وأما وقت «(٢)» السلام عليه، فقال أبو حنيفة رحمه الله: يستقبل القبلة أيضاً، ولا يستقبل القبر.

وقال أكثر الأئمة: (بل يستقبل القبر عند السلام خاصة، ولم يقل أحد من الأئمة: إنه يستقبل القبر) «(٣)» عند الدعاء، إلفي حكاية مكذوبة تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها.

وانفق الأئمة على أنه لا يتمسح بقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يقبله.

وهذا كله محافظة على التوحيد؛ فإن من اصول الشرك بالله اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف في قوله تعالى: وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا.

قالوا: هؤلاء كانوا قومًا صالحين في قوم نوح، فلمّا ماتوا عكفوا على قبورهم، ثمّ صوروا على صورهم تماثيل، ثمّ طال عليهم الأمد فعبدها.

وقد ذكر هذا المعنى البخاري في صحيحه «(٤)» عن ابن عباس، وذكره ابن جرير

١- في العقود والمجموع: إليه بدل ما بين القوسين.

٢- في العقود والمجموع الوقوف للسلام بدل: وقت السلام.

٣- في العقود بدل ما بين القوسين يستقبل القبر عند الدعاء فلاحظ.

٤- صحيح البخاري ٩٣ / ٢ باب بناء المساجد على القبر.

ص: ٢٦٩

الطبري (١) وغيره في التفسير عن غير واحد من السلف، وذكره وثيمه وغيره في «قصص الأنبياء» من عدة طرق، وقد بسط الكلام على اصول هذه المسائل في غير هذا [الموضع] (٢).

[وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد التي على القبور هم أهل البدع من الرفضه ونحوهم، الذين يعطلون المساجد، ويعظمون المشاهد، يدعون بيوت الله التي أمر أن يذكر فيها اسمه ويُعبد وحده لا شريك له، ويعظمون المشاهد التي يُشرك فيها ويُكذب فيها ويُبتدع فيها ما (٣) لم ينزل الله به سلطاناً].

والكتاب والسنة إنما فيهما ذكر المساجد دون المشاهد، كما قال الله تعالى: قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ.

وقال الله تعالى: إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ... الآية.

وقال الله تعالى: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا.

وقال الله تعالى: وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ.

وقال الله تعالى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا... الآية.

وقد ثبت عنه في الصحيح أنه كان يقول: «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك».

١- تفسير الطبري

الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٦٩ عن ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى ولا تدرنّ ودًا ولا سواعًا....

٢- علق في العقود الدرية: في قاعدة جليئة في التوسل والوسيلة، وفي الرد على الأحنائي والبكري وفي اقتضاء الصراط المستقيم، وفي منهاج السنة، وغير ذلك كثير.

٣- في العقود والمجموع: «دين»! بدل ما.

ص: ٢٧٠

والله سبحانه أعلم، كتبه أحمد بن تيمية.
هذاصورة خطّه من أوّل الجواب إلى هنا «(١)».

الردّ على فتوى ابن تيمية

قلت: أمّا قوله: «من سافر بمجرّد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين». فيرد عليه فيه أسئلة:

أحدها: أن زيارة قبور الأنبياء والصالحين إمّا أن تكون عنده قربه، أو مباحه، أو معصية.

فإن كانت معصية فلا حاجة إلى قوله: «مجرّد» فإنّ القولين في سفر المعصية سواء تجرّد قصد المعصية، أم انضم إليه قصد آخر. وإن كانت قربه لم يجر فيها القولان، بل يقصر بلا خلاف.

وإن كانت مباحه، فالمسافر لذلك له حالتان:

إحدهما: أن يسافر معتقداً أنّ ذلك من المباحات المستوية الطرفين، فيجوز القصر أيضاً بلا خلاف، ولا إشكال في ذلك، كالسفر لسائر الأمور المباحه.

والثانية: أن يسافر معتقداً أنّ ذلك قربه وطاعة، وهذا سيأتي الكلام فيه.

وعلى تقدير أن يسلم له ما يقول، يكون كلامه هنا مطلقاً في موضع التفصيل، فهو على التقديرين الأولين خطأ صريح، وعلى التقدير الثالث خطأ بالإطلاق في موضع التفصيل.

السؤال الثاني: أنّه بنى كلامه في ذلك على أنّ هذا السفر مختلف في تحريمه،

١- قابلناه على النسخة المطبوعة في مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٧/ ص ١٨٤-١٩٢ وأثبتنا الفوارق هنا باسم المجموع.

ص: ٢٧١

فقد قدمنا إنكار هذا الخلاف، وأنه لم يتحقق صحته إلّا ما وقع في كلام ابن عقيل، وقد قدمنا الكلام عليه. وعلى تقدير صحته وعدم تأويله، لم يتعرّض فيه لقبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يجوز أن ينقل عنه فيه بخصوصه شيء، من إطباق الناس على السفر إليه.

وابن تيمية رحمه الله نقل المنع من القصر فيه عن ابن بطة، وابن عقيل، وطوائف كثيرين من العلماء المتقدمين.

وهو مطلوب بتحقيق هذا النقل؟ وتبيين هؤلاء الطوائف الكثيرين من المتقدمين؟

السؤال الثالث: أنه جعل المنع من القصر قول متقدمي العلماء، كابن بطة، وابن عقيل، فجعل ابن عقيل من المتقدمين.

ثم جعل القول بجواز القصر قول أبي حنيفة رحمه الله وبعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد، كالغزالي وغيره.

والغزالي في طبقة ابن عقيل، بل تأخرت وفاته عنه، فإنّ وفاة الغزالي في سنة خمس وخمسمائة، ووفاء ابن عقيل في سنة ثلاث عشرة

وخمسمائة، فكيف يجعل ابن عقيل من المتقدمين، والغزالي من المتأخرين؟!

وليس ابن تيمية رحمه الله ممن يخفى عنه طبقتهما، فإن كان مراده بجعله ابن عقيل من المتقدمين أن [يقوى] قوله عند العوام لاختياره

إياه، ويجعله الغزالي من المتأخرين أن يضعف قوله عند العوام، فليس ذلك صنيع أهل العلم!

وقوله: إن «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» رواه ابن ماجه، ليس كذلك؛ لم أره في «سنن ابن ماجه» (١).

١- لم يخرج ابن ماجه. وقد مرّ أنّ هذا من جهل ابن تيمية بالحديث وهذا من موارد جهل ابن تيمية بتخريج الحديث ومصادره، ونسبته لما يشتهي إلى المحدثين الكبار ترويحاً لرأيه، لاحظ ص ٢٦٣ وقد مرّ الحديث في الباب الأول برقم ١٣ عن الضعفاء للعقيلي.

ص: ٢٧٢

قوله: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني» لم يروه أحد من العلماء!

ليس بصحيح، وقد قدّمنا «(١)» من رواه وإن كان ضعيفاً.

قوله: «لو نذر الرجل أن يصلّي في مسجد أو مشهد، أو يعتكف فيه، أو يسافر إليه غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة».

ليس بصحيح، فإنّ في مذهب الشافعيّ وجهين مشهورين فيما إذا نذر الاعتكاف في مسجد معيّن غير المساجد الثلاثة، هل يتعيّن كما تتعيّن المساجد الثلاثة، أو لا؟

قوله: «حتّى نصّ العلماء على أنّه لا يسافر إلى مسجد قباء؛ لأنّه ليس من الثلاثة».

ليس كذلك عن العلماء كلّهم، فإنّ المنقول عن الليث بن سعد: أنّه متى نذر مسجداً لزمه من المساجد الثلاثة وغيرها.

والمنقول عن بعض المالكية: أنّه يجوز إعمال المطىّ لغير الناذر مطلقاً، وحمل على ذلك إتيان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مسجد قباء، فإنّه كان بغير نذر.

فهذان المذهبان يردّان قوله: «إنّ العلماء نصّوا على أنّه لا يسافر إلى مسجد قباء».

قوله: «قالوا: ولأنّ السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، بدعة لم يفعلها أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا أمر بها رسول اللّٰه صلى

الله عليه وآله وسلم ولا استحَبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها فهو مخالف للسنة، ولإجماع الأمة».

ص: ٢٧٣

هذا من البهت الصريح، وقد قدّمنا من فعل ذلك من الصحابة والتابعين، ومن استحبّه من علماء المسلمين وأئمّتهم، فوجد ذلك مباحته.

ثمّ قوله: «قالوا»

وجعله ذلك على لسان غيره، إن كان مراده به أن يخلص من تبعته عند المخالفة، فليس ذلك من دأب العلماء.

ثمّ هو مطلوب بنقل هذا القول برمّته عن المتقدّمين الذين نسبه إليهم، أو عن بعضهم!

ثمّ نسبة ذلك إلى غيره لا- تخلّصه؛ لأنّه إنّما حكاها حكاية من يرتضيه وينتصر له، ويفتى به العوامّ، ويغريهم على اعتقاده، ولا يفرّق العامّي الذي يسمع هذه الفتيا بين أن يذكره عن نفسه، أو حاكياً عن غيره.

وقوله: «وهذا ممّا ذكره أبو عبد الله بن بطة في «إبانته الصغرى».

قلنا: قد ذكرنا عن ابن بطة في الإبانة ما يخالف هذا في حقّ قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.

ورأيت من يذكر أن لابن بطة إبانتين، وأنّ الذي نقله ابن تيميّه رحمه الله من الصغرى، والذي نقلناه من الكبرى، فإنصح ذلك، وصحّ ما نقله ابن بطة في الصغرى، فيحمل على غير قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم توفيقاً بين الكلامين.

وإن قال ابن بطة خلاف ذلك، لم يلتفت إليه.

وقد ذكر الخطيب ابن بطة في «تاريخ بغداد» (١) وحكى كلام المحدثين فيه من جهة دعوى سماع ما لم يسمع، وقول أبي القاسم الأزهرى فيه: إنّهُ ضعيف، ضعيف، ضعيف، ليس بحجّة.

وذكر عنه، عن البغوى، عن مصعب، عن مالك، عن الزهرى، عن أنس،

ص: ٢٧٤

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» وقال: إنّه باطل من حديث مالك ومن حديث مصعب عنه، ومن حديث البغوي عن مصعب، وهو موضوع بهذا الإسناد، والحمل فيه على ابن بطه، هكذا قال في التاريخ. وحكى مع ذلك أيضاً: أنّه كان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة، فالله تعالى يسلمنا من إثمه. وإنّما أردنا أن نبيّن حاله ليعلم الناظر: أنّه على تقدير صحّة النقل عنه ليس ممّن يبعد في كلامه الخطأ. وقوله: «إنّ قول أبي محمّد المقدسيّ: إنّ قوله: «لا تشدّ الرحال» محمول على نفى الاستحباب، يحتمل وجهين: أحدهما: أنّ هذا تسليم منه أنّ هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قربة، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات، فإذن من اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين أنّها قربة وعبادة وطاعة، فقد خالف الإجماع. واعلم: أنّ هذا الكلام في غاية الإيهام والفساد. أمّا الإيهام، فلأنّ بعض من يراه يتوهم: أنّه استنتج ممّا سبق انعقاد الإجماع على أنّ ذلك ليس بقربة، ونحن قد قدّمنا عن الليث بن سعد وبعض المالكية ما يقتضي: أنّ السفر إلى غير المساجد الثلاثة قربة، فبطل التعرّض لدعوى الإجماع، وإنّما مقصود ابن تيمية رحمه الله إلزام أبي محمّد المقدسيّ على قوله: إنّ «لا تشدّ الرحال» محمول على نفى الاستحباب. وعلى تقدير أنّ هذا تسليم منه، لأنّ هذا السفر ليس بعمل صالح، فغاية ما يلزم من هذا أنّ هذا السفر ليس بقربة، وأنّ من اعتقد أنّه قربة فقد خالف أبا محمّد.

وأيّن ذلك من مخالفة الإجماع!؟

وأما فساده، فلأنّ أبا محمّد إنّما تكلم في جواز القصر، ومقصوده إثبات

ص: ٢٧٥

الإباحة، فإنها كافية فيه، فنفي توهم التحريم بحمل الحديث على نفى الفضيلة؛ أي لا يستحب شد الرحال إلى مكان إلا إلى الثلاثة. ومع هذا لا بد فيه من تأويل؛ لأن السفر مستحب لطلب العلم وغيره إلى غيرها. فالمقصود لا يستحب إليها من حيث هي، وقد يكون هناك أمر آخر يقتضى الاستحباب أو الوجوب، ولا مانع بكون قصد زيارة شخص مخصوص أو أشخاص، مما يقتضى الاستحباب، ولم يتعرض أبو محمد لذلك؛ لأنه لم يتكلم فيه، وإنما تكلم في جواز القصر، فاقصر على ما يكفي فيه؛ وهو إثبات الإباحة. وقوله: «وإذا سافر لاعتقاده أنها طاعة، كان ذلك محرماً بإجماع المسلمين، فصار التحريم من الأمر المقطوع به». هذا أيضاً موهم وفساد:

أمّا إيهامه، فلأن كثيراً ممن يسمعه يظن أن هذا كلام مبتدأ، ادعى فيه انعقاد الإجماع على التحريم، وأن ذلك مقطوع به، وكأن ابن تيمية أراد ذلك، وجعله معطوفاً على إجماع الشيخ أبي محمد، حتى إذا حوقق فيه يتخلص من دركه بجعله معطوفاً. وليس هذا دأب من يبغى الإرشاد، بل من يبغى الفساد. وأمّا فساده، فلأننا لو سلمنا أن السفر ليس بطاعة بالإجماع، فسافر شخص معتقداً أنه طاعة، كيف يكون سفره محرماً بإجماع المسلمين، أو على قول عالم من علماء المسلمين؟! فإن من فعل مباحاً معتقداً أنه قربة لا يأثم، ولا يوصف ذلك بكونه محرماً، بل إن كان اعتقاده ذلك لما ظنه دليلاً، وليس بدليل، وقد بذل وسعه في ذلك، كان مثاباً عليه بمقتضى ظنه، وإلا كان جهلاً، ولا إثم عليه فيه، ولا أجر، وفعله

ص: ٢٧٦

موصوف بالإباحة على حاله.

فمن أين يأتي وصفه بالتحريم؟!

وإنما يأتي هذا الكلام في المباح إذا فعله على وجه العبادة، مع اعتقاده أنه ليس بعبادة، فهذا يَأثم به، ويكون حراماً؛ لأنه تقرب إلى الله تعالى بما ليس بقربه عند الله تعالى، ولا في ظنه.

ومن هنا نشأ الغلط في هذه المسألة وهكذا سائر البدع.

ومن ابتدع عبادة فعليه إثم ابتداعه؛ لأنه أدخل في الدين ما ليس منه، وإثم فعله؛ لأنه تقرب بما يعتقد أنه ليس من الدين.

وأما من قلده من العوام:

فإن كان ذلك ممّا يسوغ فيه التقليد كالفروع، وفعله معتقداً بأنه عبادة شرعية، فلا إثم عليه.

وإن كان ممّا لا يسوغ فيه التقليد، كاصول الدين، فعليه الإثم.

ومسألتنا هذه من الفروع، فلو فرضنا أنه لم يقل أحد باستحباب السفر، وفعله شخص على جهة الاستحباب، معتقداً ذلك لشبهه عرضت له، لم يحرم، ولم يَأثم.

فكيف، وكلّ الناس قائلون باستحبابه؟!

وقوله: «ومعلوم أنّ أحداً لا يسافر إليها إلالذلك».

هذا يقتضى أنّ كلامه ليس في أمر مفروض، بل في الواقع الذى عليه الناس، وأنّ الناس كلّهم إنّما يسافرون لاعتقادهم أنّها طاعة، والأمر كذلك.

ويقتضى على زعمه أنّ سفر جميعهم محرّم بإجماع المسلمين!

فإنّا لله، وإنّا إليه راجعون، أياكون جميع المسلمين في سائر الأعصار، من سائر أقطار الأرض، مرتكبين لأمر محرّم، مجمعين عليه؟!

ص: ٢٧٧

فهذا الكلام من ابن تيمية رحمه الله يقتضى تضليل الناس كلهم، القاصدين لزيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعصيتهم. وهذه عثرة لا تقال، ومصيبة عظيمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقوله: «وأما إذا قدر أن الرجل يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب».

مفهوم هذا الكلام أن غرض الزيارة ليس بمباح.

وقوله: «الوجه الثاني: أن النفي يقتضى النهي، والنهي يقتضى التحريم».

ظاهر صدر كلامه أن كلام أبي محمد يحتمل وجهين هذا ثانيهما، وإنما يتجه هذا الوجه الثاني على سبيل الرد لقول أبي محمد؛ يعنى أن حمله على نفي الاستحباب خلاف الظاهر؛ لأنه نفي، والنفي يقتضى النهي، والنهي يقتضى التحريم.

وجواب هذا بالدليل المانع من حمله على التحريم، وتعين المصير إلى المجاز.

على أن هذه العبارة فاسدة؛ لأن النفي لا يقتضى النهي، وإنما يستعمل فيه على سبيل المجاز، نعم قد يقال: بأن النهي يقتضى النفي على العكس مما قال، أما كون النفي يقتضى النهي فلا يقول به أحد، وإنما مراده أنه نفي بمعنى النهي.

وإذا عرف هذا، فلا بى محمد أن يقول: لا شك أن حقيقة النفي خبر؛ لا يقتضى تحريماً، ولا كراهة.

والنهي له معنيان؛ أحدهما: هو فيه حقيقة؛ وهو التحريم، والآخر: هو فيه مجاز؛ وهو الكراهة.

فإذا صرف النفي عن حقيقة الخبرية إلى معنى النهي، احتمل أن يستعمل فى التحريم أو الكراهة، وأياً ما كان فاستعماله فيه مجاز؛ لأن

الخبر غير موضوع له، فإن رجح استعماله فى التحريم لبعض المرجحات، كان ذلك من باب ترجيح بعض المجازات على بعض، وقد

يكون ذلك الترجيح معارضاً بترجيح آخر.

ص: ٢٧٨

فلأبى محيد أن يمنع كون اللفظ المذكور حقيقة في التحريم أو ظاهراً فيه؛ فإنّ الخبر ليس مستعملاً في لفظ النهي، بل في معناه، ومعناه منقسم إلى الحقيقي والمجازي.

فإن قيل: النهي النفساني شيء واحد؛ وهو طلب الترك الجازم المانع من النقيض، وما سواه ليس بنهي حقيقة، فإذا ثبت أن المراد بالخبر النهي ثبت التحريم.

قلنا: حينئذٍ، يمنع أن المراد بالخبر النهي.

وقوله: «إنّ ما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكُلّها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة؛ لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها».

قد بينا بطلان هذه الدعوى في أوّل هذا الكتاب (١).

وما روى [عن] مالك من كراهة قوله: «زرت قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم» بينا مراده في الباب الرابع (٢).

قوله: «ولو كان هذا اللفظ مشروعاً... إلى آخره».

كلام في غير محلّ النزاع؛ لأنّ النزاع ليس في اللفظ، ولم يسأل عنه، وإنّما هو في المعنى.

وما ذكره عن أحمد وأبي داود ومالك في «الموطأ» فكُلّه حجة عليه، لا له؛ لأنّ المقصود معنى الزيارة، وهو حاصل من تلك الآثار.

وأما حديث «لا تتخذوا قبري عيداً» فقد تقدّم الكلام عليه (٣).

١- تقدّم في جميع الباب الأوّل، وكذا الباب الثاني من هذا الكتاب. ص ٦٠.

٢- مرّ في الباب الرابع. ص ١٦٩-١٧٠.

٣- تقدّم لاحظ ص ١٧٧ و ٢٤٧.

ص: ٢٧٩

وحديث «لعن الله اليهود والنصارى؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

لا يدلّ على مدّعا؛ لأننا لم نتّخذ مسجداً، فإن أراد قياس الزيارة عليه فقد سبق الكلام في ذلك.

قوله: «فهم دفنوه في حجرة عائشة خلاف ما اعتادوه من الدفن في الصحراء؛ لئلا يصلّى أحد عنده قبره، ويتّخذ مسجداً، فيتّخذ قبره وثناً».

هذا ليس بصحيح، وإنما دفنوه في حجرة عائشة لما روى لهم: «إنّ الأنبياء يُدفنون حيث يُقبضون» بعد اختلافهم في أين يدفن؟ فلمّا روى لهم الحديث المذكور دفنوه هناك، وهذا من الامور المشهورة التي يعرفها كلّ أحد، ولم يقل أحد: إنّهم دفنوه هناك للغرض الذي ذكره.

قوله: «وكان الصحابة والتابعون لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد، لا يدخل أحد إلى عنده لا لصلاة هنالك، ولا لمسح بالقبر، ولا دعاء هناك».

فنقول: إنّ هذا لا يدلّ على مقصوده، ونحن نقول: إنّ من أدب الزيارة ذلك، ونهى عن التمسّح بالقبر والصلاة عنده.

على أنّ ذلك ليس ممّا قام الإجماع عليه.

فقد روى أبو الحسين يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله الحسيني في كتاب «أخبار المدينة» قال: حدّثني عمر بن خالد، ثنا أبو نباتة، عن كثير بن زيد، عن المطّلب بن عبدالله بن حنّط قال: أقبل مروان بن الحكم، فإذا رجل ملتزم القبر، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ماذا تصنع؟!

فأقبل عليه فقال: نعم، إنّى لم آت الحجر، ولم آت اللبن، إنّما جئت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

ص: ٢٨٠

قال المطلب: وذلك الرجل أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه [\(١\)](#).

قلت: وأبو نباتة يونس بن يحيى ومن فوّه ثقات.

وعمر بن خالد: لم أعرفه، فإنصح هذا الإسناد لم يكره مسّ جدار القبر.

وإنما أردنا بذكره القدح في القطع بكرهه ذلك.

قوله: «وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلّموا عليه وأرادوا الدعاء، دعوا مستقبلي القبلة، ولم يستقبلوا القبر».

هذا فيه اعتراف بدعاء السلف عند السلام، وتركهم الدخول إلى الحجره مبالغه في الأدب، وتركهم استقبال القبر عند الدعاء - إنصح -

لا يدلّ على إنكار الزيارة، ولا على إنكار السفر لها.

قوله: «وأما وقت السلام عليه فقال أبو حنيفه رحمه الله: يستقبل القبلة أيضاً».

هو كذلك، ذكره أبو الليث السمرقندي في الفتاوى، عطفاً على حكاية حكاها الحسن بن زياد عن أبي حنيفه رحمه الله.

وقال السروجي الحنفي: يقف عندنا مستقبل القبلة.

قال الكرمانى: وعن أصحاب الشافعي وغيره: يقف وظهره إلى القبلة، ووجهه إلى الحظيرة، وهو قول ابن حنبل.

واستدلّت الحنفية: بأن ذلك جمع بين عبادتين.

وقول أكثر العلماء: استقبال القبر عند السلام، وهو الأحسن والآدب؛ فإنّ الميت يعامل معاملة الحيّ، والحيّ يسلم عليه مستقبلاً،

فكذلك الميت، وهذا لا

١- حديث أبي أيوب الأنصاري، والتزامه القبر واحتضانه. رواه المحرّثون الأئمة الكبار في مصنّفاتهم، مثل: مسند أحمد ٥/ ٤٢٢ مسند

أبي أيوب. ومستدرّك الحاكم ٤/ ٥١٥ وكنز العمال ٦/ ٨٨ عن أحمد والحاكم ومجمع الزوائد ٥/ ٢٤٥ عن أحمد والطبراني في الكبير

والأوسط.

ص: ٢٨١

ينبغي أن يتردد فيه.

وقوله: «إن أكثر العلماء قالوا: يستقبله عند السلام خاصّة».

التقييد بقوله: «خاصّة» يُطلب بنقله؟

بل مقتضى كلام أكثر العلماء من الشافعية والمالكية والحنابلة: الاستقبال عند السلام والدعاء.

وذكر النقل في استقبال القبلة عن أبي حنيفة رحمه الله ليس في المشهور من كتب الحنفية، بل غالب كتبهم ساكنة عن ذلك.

وقد قدّمنا «(١)» عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال: جاء أيوب السخيتاني فدنا من قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستدبر القبلة، وأقبل بوجهه إلى القبر.

وقال إبراهيم الحربي في مناسكه: تولى ظهر ك القبلة، وتستقبل وسطه؛ يعنى القبر، ذكره الأجرى عنه في كتاب الشريعة «(٢)»، وذكر السلام والدعاء.

قوله: «ولم يقل أحد من الأئمة: أنه يستقبل القبر عند الدعاء، إلّا في حكاية مكذوبة تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها».

أما إنكاره ذلك عن أحد من الأئمة: فقد قدّمنا «(٣)» عن أبي عبد الله السامري الحنبلية صاحب كتاب «المستوعب في مذهب أحمد» أنه قال: يجعل القبر تلقاء وجهه، والقبلة خلف ظهره، والمنبر عن يساره، وذكر كيفية السلام والدعاء إلى آخره.

وظاهر ذلك أنه يستقبل القبلة في السلام والدعاء جميعاً.

وهكذا أصحابنا وغيرهم، إطلاق كلامهم يقتضى أنه لا فرق في استقبال القبر

١- قدّمناه ص ١٧٠.

٢- ص ١٤٩.

٣- ص ١٥٧.

ص: ٢٨٢

بين حالتى السلام والدعاء، وكذا ما قدّمناه الآن عن إبراهيم الحربى.

وقد صرح أصحابنا بأنه يأتى القبر الكريم، فيستدبر القبلة، ويستقبل جدار القبر، ويبعد من رأس القبر نحو أربعة أذرع، فيسلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يتأخر عنصوب يمينه، فيسلم على أبى بكر رضى الله عنه، ثم يتأخر أيضاً، فيسلم على عمر رضى الله عنه، ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتوسل به فى حق نفسه، ويستشفع به إلى ربه سبحانه وتعالى ويقول حكاية العتبى (١)، ثم يتقدم إلى رأس القبر، فيقف بين القبر والاسطوانة التى هناك، ويستقبل القبلة، ويحمد الله تعالى ويمجده، ويدعو لنفسه ولوالديه ومن شاء بما أحب.

وحاصله: أن استقبال القبلة فى الدعاء حسن، واستقبال القبر أيضاً حسن، لا سيما حالة الاستشفاع به ومخاطبته، ولا أعتقد أن أحداً من العلماء كره ذلك، ومن ادعى ذلك فليثبته.
وقوله: «إن الحكاية عن مالك مكذوبة».

فقد قدّمنا أن هذه الحكاية رواها القاضى عياض، عن القاضى أبى عبد الله محمد بن عبدالرحمان الأشعرى، وأبى القاسم أحمد بن بقى الحاكم، وغير واحد فيما أجازوه، قالوا: ثنا أحمد بن عمر بن دلهات، ثنا على بن فهر، ثنا محمد بن أحمد بن الفرج، ثنا أبو الحسن عبد الله بن المنتاب، ثنا يعقوب بن إسحاق بن أبى إسرائيل،

١- قصيدة العتبى المذكورة فى أكثر مصادر مسألة الزيارة، وجاءت فى كتب الحديث، والفقهاء، والتاريخ، فذكرها النووى فى الأذكار ٥/٤٢-٤٣ المطبوع مع الفتوحات الربانية وانظر هامشه ص ٣٩. لكنها محذوفة من طبعة السعوديين السلفيين، الامناء! فى الرياض عام ١٤٠٩ هـ.

وانظر المغنى لابن قدامة ٣/٥٨٩ والشرح الكبير ٣/٤٩٤ وكشاف القناع للبهوتى ٢/٥١٥ والثلاثة الأخيرات من كتب فقه الحنبلىة. وانظر الأحكام السلطانية للماوردى ص ١٠٩-١١٠ ودفع الشبه للحصنى ص ١٤٢-١٤٤.

ص: ٢٨٣

ثنا ابن حميد قال: ناظر أبو جعفر أمير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... فذكرها.

إلى أن قال أبو جعفر: يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟! بل استقبله واستشفع به، فيشفعك الله تعالى.

هكذا ذكرها القاضي عياض في «الشفاء» في الباب الثالث في تعظيم أمره، ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وآله وسلم «(١)» ولم يعقبها بإنكار، ولا قال: إن مذهبه بخلافها، بل قال في الباب الرابع «(٢)» في فصل في حكم زيارة قبره: قال مالك في رواية ابن وهب: وهو إذا سلم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا، يقف وجهه إلى القبر، لا إلى القبلة، ويدنو ويسلم، ولا يمس القبر بيده. فهذا نص عن مالك من طريق أجل أصحابه - وهو عبد الله بن وهب أحد الأئمة الأعلام - صريح في أنه يستقبل عند الدعاء القبر، لا القبلة.

وذكر القاضي عياض أنه قال في «المبسوط»: لا أرى أن يقف عند القبر يدعو، ولكن يسلم ويمضي «(٣)».

قلت: فالاختلاف بين «المبسوط» ورواية ابن وهب في كونه يقف للدعاء أو لا، وليس في الاستقبال. وقد قدمنا عن كثير من كتب المالكية أنه يقف ويدعو، ولم نر أحدا منهم قال: بأنه إذا وقف عند القبر يستدبره ويدعو، ولا يجعله إلى جانبه.

١- الشفاء للقاضي عياض، الباب الثالث ٢/ ١٩٨ الفصل ٩.

٢- الشفاء للقاضي عياض، الباب الرابع.

٣- الشفاء ٢/ ١٩٩.

ص: ٢٨٤

فكيف يحلّ لدى علم أن يدعى: أن مذهب مالك، بل مذهب جميع العلماء، بخلاف الحكاية المذكورة.

ويجعل ذلك وسيلة إلى تكذيبها وتكذيب ناقلها بمجرد الوهم والخيال! من غير دليل اقتضى له ذلك إلا مجرد شيء قام في نفسه؟!

وقد ذكر القاضي عياض إسنادهما، وهو إسناده جيد:

أما القاضي عياض: فناهيك به نبلاً وجلالة وثقّة وأمانه وعلماً ومجمعاً عليه.

وشيخه أبو القاسم أحمد بن محمّد بن أحمد بن مخلّد بن عبدالرحمان بن أحمد ابن بقيّ بن مخلّد: من بيت العلم والجلالة، ذكره ابن بشكوال، وذكر شيوخه الذين سمع منهم، ثم قال: وكتب إليه أبو العباس العذريّ بالإجازة، وشوور بالأحكام بقرطبة، فصار صدر المفتين بها لسنته وتقدّمه، وهو من بيت علم ونباهة، وفضل وصيانته، وكان ذاكرًا للمسائل والنوازل، درياً بالفتوى، بصيراً بنقد الشروط وعللها، مقدّماً في معرفتها، أخذ الناس عنه، ولد في شعبان سنة ستّ وأربعين وأربعمائة، وتوفّي في سلخ سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة. وذكر ابن بشكوال أيضاً أبا عبدالله محمّد بن عبدالرحمان بن عليّ بن سعيد بن عبدالله بن سيرين: يكنى أبا عبدالله، كان من أهل العلم والمعرفة والفهم، عالماً بالفروع والاصول، واستقضى بإشبيلية، وحمدت سيرته، توفّي سنة ثلاث وخمسمائة، كتب إلى القاضي أبو الفضل بوفاته [\(١\)](#).

قلت: والظاهر أنّه الذي وصفه القاضي عياض بالأشعريّ.

وشيخهم أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث العدويّ: قال أبو

ص: ٢٨٥

القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال: رحل إلى المشرق مع أبويه سنة سبع وأربعمائة، وصلوا إلى بيت الله الحرام في شهر رمضان سنة ثمان، وجاوروا أعواماً، وانصرف عن مكة سنة ست عشرة، فسمع بالحجاز سماعاً كثيراً، وصحب الشيخ الحافظ أبا ذر الهروي، وسمع منه «صحيح البخاري» سبع مرّات، وكان معتنياً بالحديث ونقله، وروايته وضبطه، مع ثقته وجلالة قدره، وعلو إسناده، سمع الناس منه، وحدث عنه كبار العلماء: ابن عبد البر، وابن حزم، وأبو علي الغساني وجماعة.

قال أبو علي: أخبرني أبو العباس أن مولده في ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، وتوفي في آخر شعبان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، ودفن بالمدينة.

وشيخه أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن فهر الرازي المصري الحافظ:

روى عن الحسن بن رشيق، وإسماعيل بن أبي محمد الأردّي، وروى مسند «الموطأ» عن مؤلفه [في] «(١)» الحرم، وسمعه منه بمصر، روى عنه البيهقي.

وشيخه محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج؛ أبو بكر المعزّي الجزائري القماح «(٢)»، توفي في ذي القعدة سنة ثمان وستين وثلاثمائة، وذكره ابن السمعاني في الجزائري «(٣)»، ذكره القراب عن الماليني قال: وقال ابن المنذر: هو ثقة.

وشيخه أبو الحسن عبد الله بن المنتاب؛ هو عبد الله بن محمد بن المنتاب القاضي، روى عنه أبو الحسن الجوزي - أحد أئمة أصحابنا - مقروناً بأبي بكر النيسابوري حديث: «الإسلام أن تسلم وجهك، فتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت وتعتمر».

١- كلمة [في] ساقطة من النسخ، فلتلاحظ.

٢- في ه: العماج.

٣- الأنساب للسمعاني الجزائري ظهر ص ١٢٩، من طبعة مرجليوث.

ص: ٢٨٦

وشيخه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن كامجر المعروف والده ب «إسحاق بن أبي إسرائيل»: حدّث عن أبيه، وداود بن رشيد، وأحمد بن عبد الصمد الأنصاري، والحسن بن شبيب، وعمر بن شبة النميري، روى عنه المفضل بن سلمة، وعبد الصمد الطنبيي (١)، وأبو القاسم الطبراني، قال الدارقطني: لا بأس به، ذكره الخطيب (٢).

وشيخه ابن حميد: أظنّ أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمرى؛ فإنّ الخطيب ذكره في الرواه عن مالك، وأنه قال: كتب عن مالك موطأه، أرائيه فجعل يعرضه عليّ ويقول: قلت في كسوة المسلمين في كفارة اليمين كذا، أليس هذا حسناً؟ فإن يكنه فهو ثقة، روى له مسلم، توفي سنة اثنتين ومائتين، وقيل له: المعمرى، لأنّه رحل إلى معمر.

فانظر إلى هذه الحكاية، وثقة روايتها، وموافقها لما رواه ابن وهب عن مالك، وحسبك بابن وهب! فقد قيل: كان الناس بالمدينة؛ يختلفون في الشيء عن مالك، فينتظرون قدوم ابن وهب حتّى يسألوه عنه.

وقال ابن بكير: ابن وهب أفقه من ابن القاسم.

ولنا هنا طرق:

إحداها: الأخذ برواية ابن وهب فقط؛ لرجحانها.

الثانية: الاعتراف بالروايتين، وأنّ هذا ليس من الاختلاف في حلال وحرام، ولا في مكروه، فإنّ استقبال القبلة حسن، واستقبال القبر حسن.

الثالثة: لو ثبت له ما زعمه من استقبال القبلة خاصية، وعدم استقبال القبر عند الدعاء، فأى شيء يلزم من ذلك؟ وهل هذا إلّا كما إذا قلت: «المصلّى يستقبل

١- في ه: الطبسي.

٢- تاريخ بغداد ١٤ / ٢٩١ وفيه: الطستي.

ص: ٢٨٧

القبلة، ولا يستقبل القبر» فهل لهذا مدخل في الزيارة؟!
ولفظه [مكذوبة] «(١)».

مَنْ كان من العوام يربأ بنفسه عن هذا الكلام، فضلاً عن علماء الإسلام!؟!

وقد طالعت عدّة كتب من كتب المالكية، فلم أر فيها عن أحد المنع من استقبال القبر في الدعاء، ولا كراهة ذلك، ولا أنّه خلاف الأولى، غير ما قدّمته عن «المبسوط» وليس ذلك في أنّه يدعو غير مستقبل، كما ادعاه ابن تيمية! والذى ادعى ابن تيمية أنّه مذهب مالك، ومذهب جميع العلماء، وأنّه إذا سلّم مستقبل القبر، وأراد الدعاء استدبر القبر، ولأجله ردّ الحكاية المذكورة عنه، لم نلقه في شيء من كتب المالكية! ولا من كتب غيرهم.

وقد قدّمت في الباب الرابع من كلام المالكية في الزيارة جملة، وبقيت جملة أذكرها هنا:

قال أبو الحسن اللخميّ في «التبصرة» في باب من جاء مكّة ليلاً أو بعد العصر أو الصبح: وبتديء في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بركعتين - تحية المسجد - قبل أن يأتي القبر ويسلم، وهذا قول مالك.

وقال ابن حبيب: يقول إذا دخل: «بسم الله، وسلام على رسول الله»؛ يريد أنّه يتديء بالسلام من موضعه، ثمّ يركع، ولو كان دخوله من الباب الذي بناحية القبر ومروره عليه، فوقف فسلم، ثمّ تمادى إلى موضع يصلّي فيه لم يكن ضيقاً، انتهى كلام اللخميّ.

١- ما بين المعقوفين ساقط من النسخ ومحلّه في الهنديّة؟ علامة استفهام بين القوسين، والظاهر أن الإمام السبكي انتقد ابن تيمية في إطلاقه هذه اللفظة على حكاية مالك، كما في نص فتواه التي سبق نقلها في ص ٢٨١ ولاحظ ٢٦٨ و ٢٨٢.

ص: ٢٨٨

وقال ابن بشير المالكي في كتاب «التنبيه على مبادئ التوجيه» في دخول مكة، وحكم الطواف والركوع والسعي: والأولى لمن دخل المدينة الابتداء بالركوع في مسجده، ثم ينصرف الداخل إلى القبر، فيسلم على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويكثر من الصلاة عليه، ثم يدعو في نفسه بما أحب، ثم يسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويستحب له أن يفعل ذلك عند خروجه من المدينة. وظاهر هذا الكلام أنه يدعو مستقبل القبر.

وقال ابن يونس المالكي في باب فرائض الحج، والغسل لها، ودخول المدينة، وصفة الإحرام والتلبية: قال ابن حبيب: ويقول إذا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم: بسم الله، السلام على رسول الله، السلام علينا من ربنا، صلى الله وملائكته على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك، واحفظني من الشيطان.

ثم أقصد إلى الروضة - وهي ما بين القبر والمنبر - فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر؛ تحمد الله تعالى، وتسأله تمام ما خرجت له، والعون عليه، وإن كانت ركعتان في غير الروضة اجزأتا عنك، وفي الروضة أفضل، وقد قال عليه السلام: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة».

قال ابن حبيب: ثم أقصد إذا قضيت ركعتيك إلى القبر من وجاه القبلة، فأذن منه، ثم سلم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأثن عليه، وعليك السكينة والوقار؛ فإنتهى صلى الله عليه وآله وسلم ويسمع ويعلم وقوفك بين يديه، وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وتدعو لهما، وأكثر الصلاة في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالليل والنهار، ولا تدع أن تأتي مسجد قباء وقبور الشهداء، انتهى.

وناهيك بهذا الكلام من ابن حبيب رحمه الله، وتصريحه وجزمه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعلم كلام المسلم عليه، ويعلم وقوفه بين يديه.

ص: ٢٨٩

وابن حبيب رحمه الله من أجله العلماء.

وقال النووي في كتاب «رؤوس المسائل» عن الحافظ أبي موسى الأصبهاني:

إنه روى عن مالك بن أنس الإمام رحمه الله أنه قال: إذا أراد الرجل أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيستدبر القبلة، ويستقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويصلي عليه ويدعو.

ورأيت في شرح كتاب عبدالله بن عبدالحكم الكبير، لأبي بكر محمد بن عبدالله بن صالح الأبهري في كتاب الجامع: قال ابن وهب:

سئل مالك: أين يقف من أراد التسليم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من القبر؟

قال: عند الزاوية التي تلي القبلة مما يلي المنبر مستقبل القبلة، ولا أحب أن يمسه القبر بيده.

إنما قال ذلك لأنه شاهد الناس يسلمون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاستحب الاقتداء بهم، ولا يمسه قبره ولا حائطه؛ تعظيماً له، ولأن ذلك لم يكن عليه فعل من مضى.

وهذه النسخة يحتمل أن تكون غلطاً؛ لأن رواية ابن وهب عن مالك - كما تقدم [\(١\)](#) - أن المسلم يستقبل القبر، لا القبلة، ويشهد لها رواية أبي موسى، وكلام المالكية.

ويحتمل أن يكون عنه في ذلك روايتان، إحداهما: كمن ذهب أبي حنيفة رحمه الله والآخرى: هي المشهورة.

ولو ثبت عن مالك وعن غيره أن الأولى استقباله القبلة في الدعاء لا القبر، لم يكن في ذلك شيء من منع الزيارة ولا السفر، ولا مانعاً من تعظيم القبر.

ومن اعتقد ذلك فقد ضل.

وكل ما ذكره بعد ذلك تقدم الجواب عنه، وأنه لا يدل على مقصوده.

ص: ٢٩٠

صفحة سفيد

ص: ٢٩١

الباب الثامن: فى التوسل، والاستغاثة، والتشفع بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم

إشارة

ص: ٢٩٣

اعلم: أنه يجوز ويحسن التوسل، والاستغاثه، والتشفع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ربّه سبحانه وتعالى. وجواز ذلك وحسنه من الامور المعلومه لكلّ ذى دين، المعروفه من فعل الأنبياء والمرسلين، وسير السلف الصالحين، والعلماء والعوام من المسلمين.

ولم ينكر أحد ذلك من أهل الأديان، ولا سمع به فى زمن من الأزمان، حتى جاء ابن تيمية، فتكلم فى ذلك بكلام يلبس فيه على الضعفاء الأغمار، وابتدع ما لم يسبق إليه فى سائر الأعصار.

ولهذا طعن فى الحكاية التى تقدم ذكرها عن مالك؛ فإنّ فيها قول مالك للمنصور: «استشفع به».

ونحن قد بيناصحتها، ولذلك أدخلنا الاستغاثه فى هذا الكتاب لما تعرض إليها مع الزيارة.

وحسبك أن إنكار ابن تيمية للاستغاثه والتوسل، قول لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثله!!

ص: ٢٩٤

وقد وقفت له على كلام طويل «(١)» في ذلك رأيت من الرأي القويم أن أميل عنه إلى الصراط المستقيم، ولا- أتبعه بالنقض والإبطال؛ فإنّ دأب العلماء القاصدين لإيضاح الدين وإرشاد المسلمين، تقريب المعنى إلى أفهامهم، وتحقيق مرادهم، وبيان حكمه، ورأيت كلام هذا الشخص بالضدّ من ذلك، فالوجه الإضراب عنه. وأقول: إنّ التوسل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جائز في كلّ حال: قبل خلقه، وبعد خلقه، في مدّة حياته في الدنيا، وبعد موته، في مدّة البرزخ، وبعد البعث في عرصات القيامة والجنّة، وهو على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: أن يتوسل به؛ بمعنى أن طالب العاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أو ببركته.

إشارة

فيجوز ذلك في الأحوال الثلاثة، وقد ورد في كلّ منها خبر صحيح:

حديث توسل آدم عليه السلام بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم

أمّا الحالة الأولى: قبل خلقه، فیدلّ على ذلك آثار عن الأنبياء الماضين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، اقتصرنا منها على ما تبين لناصحتّه؛ وهو ما رواه الحاكم أبو عبد الله بن البيهقي في «المستدرک على الصحيحين أو أحدهما» «(٢)» قال:

١- كلام ابن تيمية في الاستغاثة والتوسل.

في مجموع فتاوى ابن تيمية الجزء الأول صفحات عديدة منها ١٤٠-١٤١ و ٣١٥-٣٢٢ و ٣٤٢-٣٤٣ وغيرها، وله كتاب باسم التوسل والوسيلة مطبوع.

٢- المستدرک على الصحيحين، للحاكم ١/٢، ٦١٥، ورواه الآجری في الشريعة ص ٤٢٧ وانظر ص ٤٢٢، ولاحظ الدر المنثور للسيوطي ١/٦٠.

وقد ذكر الإمام ابن الصديق في الرد المحكم المتين ص ١٣٨-١٣٩ شاهداً للحديث، أخرج ابن الجوزي في الوفا بفضائل المصطفى كما في فتاوى ابن تيمية ١/٢ ١٥٠ نقل ذلك الاستاذ المحمود في رفع المنارة ص ٧-٢٤٨.

ص: ٢٩٥

ثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل «(١)»، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق ابن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهرى، ثنا إسماعيل ابن مسلمة، أنا عبدالرحمان بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما اقترف «(٢)» آدم عليه السلام الخطيئة «(٣)» قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمد لما غفرت لى.

فقال الله: يا آدم، وكيف عرفت محمدًا ولم أخلقه؟

قال: يا ربّ لأنك لما خلقتني بيدك، ونفخت فيّ من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، فعرفت أنّك لم تضيف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك.

فقال الله: صدقت يا آدم، إنّه لأحبّ الخلق إليّ، إذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمان بن زيد بن أسلم فى هذا الكتاب.

ورواه البيهقي أيضاً فى «دلائل النبوة» «(٤)» وقال: تفرد به عبدالرحمان،.

وذكره الطبراني وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك» «(٥)».

١- فى ه: المعدل.

٢- فى ه: اعترف.

٣- فى ه: بالخطيئة.

٤- دلائل النبوة للبيهقي ٥ / ٤٨٩ عن الحاكم.

٥- لم يطبع من المعجم الكبير للطبراني مسند عمر! ولكنه موجود فى المعجم الصغير ٢ / ٨٢، وانظر مجمع الزوائد ٨ / ١٥٣ فقد نقله عن الأوسط والصغير.

توسّل عيسى عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

وذكر الحاكم مع هذا الحديث أيضاً: عن عليّ بن حمّاد (١) العدل، ثنا هارون ابن العباس الهاشمي، ثنا جندل بن القو، ثنا عمرو بن أوس الأنصاري، ثنا سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن سعيد بن المسيّب، عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: «يا عيسى، آمن بمحمّد، وأمر من أدركه من امتك أن يؤمنوا به، فلولا محمّد ما خلقت آدم، ولولا ما خلقت الجنّ والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب، فكتبته عليه: «لا إله إلا الله» فسكن» (٢).

قال الحاكم: هذا حديث حسن صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، انتهى ما قاله الحاكم.

و الحديث المذكور لم يقف عليه ابن تيمية بهذا الإسناد، ولا بلغه أنّ الحاكم صحّحه.

فإنه قال- أعني ابن تيمية:- «أما ما ذكره في قصّة آدم من توسّله، فليس له أصل، ولا نقله أحد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسناد يصلح الاعتماد عليه، ولا الاعتبار، ولا الاستشهاد».

ثم ادعى ابن تيمية أنه كذب، وأطال الكلام في ذلك جداً بما لا حاصل تحته، بالوهم والتخرّص، ولو بلغه أنّ الحاكم صحّحه لما قال ذلك، أو لتعرّض للجواب عنه (٣).

١- في ه حمشاد.

٢- المستدرک للحاكم ٢ / ٦١٥.

٣- لا، بل هو متعمّد الكذب في مثل هذا المجال، وقد تفتّن له الحافظ ابن حجر حيث قال في ترجمته في لسان الميزان: طالعت ردّ ابن تيمية على الحلّي، فوجدته كثير التحامل في ردّ الأحاديث التي يوردها الحلّي، ورد [ابن تيمية] في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد، لسان الميزان ٦ / ٣١٩ من الطبعة الهندية. وانظر الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ٧١.

وقال الاستاذ عبد الفتاح أبو غدة: ولشيخنا الكوثري الإمام الحسن بن زاهد رحمه الله: «التعقب الحثيث لما ينفيه ابن تيمية من الحديث» لا يزال مخطوطاً، كذا في الرفع والتكميل في الجرح والتعديل للكهنوي ص ١٩٩ هامش.

وقال: وانظر لزماً: الأجوبة الفاضلة للأسئلة العشرة الكاملة ص ١٧٤-١٧٦ للمؤلف للكهنوي.

أقول: وانظر رفع المنارة ه ص ٢٠-٢١ وقد ذكر مؤلفه الفاضل: أن له جزءاً في الأحاديث التي ينكرها ابن تيمية، لشططه!

ص: ٢٩٧

وكأني به إن بلغه بعد ذلك: يطعن في «عبدالرحمان بن زيد بن أسلم» راوى الحديث. ونحن نقول: قد اعتمدنا في تصحيحه على الحاكم، وأيضاً: عبدالرحمان بن زيد بن أسلم، لا يبلغ في الضعف إلى الحد الذي ادعاه. وكيف يحلّ لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردّه عقل ولا شرع؟ وقد ورد فيه هذا الحديث؟! وسنزيد هذا المعنيصحةً وتشبيهاً بعد استيفاء الأقسام.

توسّل نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء بنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم

وأما ما ورد من توسّل نوح وإبراهيم وغيرهما من الأنبياء: فذكره المفسرون، واكتفينا عنه بهذا الحديث؛ لجودته وتصحيح الحاكم له.

التعبير عن التوسّل والاستغاثة

ولا فرق في هذا المعنى بين أن يعبر عنه بلفظ «التوسّل» أو «الاستغاثة» أو «التشفّع» أو «التجوّه».

ص: ٢٩٨

والداعي بالدعاء المذكور وما في معناه:

متوسّل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم لأنه جعله وسيلة لإجابة الله دعاءه.

ومستغيث به، والمعنى أنه استغاث الله به على ما يقصده، فالباء هنا للسببية، وقد ترد للتعديء، كما يقول: «من استغاث بك فأغثه». ومستشفع به.

ومتجوّه به، ومتوجه، فإنّ التجوّه والتوجه راجعان إلى معنى واحد.

فإن قلت: المتشفع بالشخص من جاء به ليشفع، فكيف يصحّ أن يقال:

يتشفع به؟

قلت: ليس الكلام في العبارة، وإنما الكلام في المعنى؛ وهو سؤال الله بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد عن آدم، وكما يفهم الناس من ذلك، وإنما يفهمون من التشفع والتوسّل والاستغاثة والتجوّه ذلك، ولا مانع من إطلاق اللغة بهذه الألفاظ على هذا المعنى. والمقصود جواز أن يسأل العبد الله تعالى بمن يقطع أن له عند الله قدراً أو مرتبة.

ولا شك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم له عند الله قدر عظيم، ومرتبة رفيعة، وجاه عظيم.

وفي العادة أن من كان له عند الشخص قدر؛ بحيث أنه إذا شفع عنده قبل شفاعة، فإذا انتسب إليه شخص في غايته، وتوسّل بذلك، وتشفع به، فإن ذلك الشخص يجب السائل؛ إكراماً لمن انتسب إليه وتشفع به، وإن لم يكن حاضراً ولا شافعاً، وعلى هذا التوسّل بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم قبل خلقه.

ولسنا في ذلك سائلين غير الله تعالى، ولا داعين إلاّ إياه، ويكون ذكر المحبوب أو العظيم سبباً للإجابة.

كما في الأدعية الصحيحة المأثورة: «أسألك بكل اسم لك، وأسألك بأسمائك

ص: ٢٩٩

الحسنى، وأسألك بأنك أنت الله، وأعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك».

وحديث الغار الذى فيه الدعاء بالأعمال الصالحة، وهو من الأحاديث الصحيحة المشهورة [\(١\)](#).

فالمسؤول فى هذه الدعوات كلها؛ هو الله وحده لا شريك له، والمسؤول به مختلف، ولم يوجب ذلك إشراكاً، ولا سؤال غير الله.

كذلك السؤال بالنيّصلى الله عليه وآله وسلم ليس سؤالاً للنيّصلى الله عليه وآله وسلم بل سؤال لله به.

وإذا جاز السؤال بالأعمال وهى مخلوقة، فالسؤال بالنيّصلى الله عليه وآله وسلم أولى.

ولا يسمع الفرق: بأن الأعمال تقتضى المجازاة عليها.

لأن استجابة الدعاء لم تكن عليها، وإلا لحصلت بدون ذكرها، وإنما كانت على الدعاء بالأعمال.

وليس هذا المعنى ممّا يختلف فيه الشرائع حتى يقال: إن ذلك شرع من قبلنا، فإنه لو كان ذلك ممّا يخلّ بالتوحيد، لم يخلّ فى ملّة

من الملل؛ فإن الشرائع كلها متّفقه على التوحيد.

وليت شعري، ما المانع من الدعاء بذلك؟!

فإن اللفظ إنّما يقتضى أن للمسؤول به قدرًا عند المسؤول.

وتارة: يكون المسؤول به أعلى من المسؤول:

إمّا البارى سبحانه وتعالى، كما فى قوله: «من سألكم بالله فأعطوه» وفى الحديث الصحيح فى حديث أبرص وأقرع وأعمى: «أسألك

بالذى أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن...» الحديث، وهو مشهور [\(٢\)](#).

١- حديث الغار أخرجه البخارى فى صحيحه ٣ / ٥١ باب من استأجر أجيراً ...

٢- حديث الأبرص والأقرع والأعمى أخرجه البخارى فى صحيحه ٤ / ١٤٦ و ٧ / ٢٢٣.

ص: ٣٠٠

وإما بعض البشر، ويحتمل أن يكون من هذا القسم قول عائشة لفاطمة:
أسألك بما لى عليك من الحق.

وتارة: يكون المسؤول أعلى من المسؤول به، كما فى سؤال الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه لا شك أن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قدراً عنده، ومن أنكر ذلك فقد كفر.
فمتى قال: «أسألك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم» فلا شك فى جوازه.
وكذا إذا قال: «بحق محمد».

والمراد بالحق الرتبة والمنزلة، والحق الذى جعله الله على الخلق، أو الحق الذى جعله الله بفضله له عليه، كما فى الحديث الصحيح
قال: فما حق العباد على الله؟
وليس المراد بالحق الواجب، فإنه لا- يجب على الله شىء، وعلى هذا المعنى يحمل ما ورد عن بعض الفقهاء فى الامتناع من إطلاق
هذه اللفظة.

حديث الأعمى المتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم

الحالة الثانية: التوسل به بذلك النوع بعد خلقه صلى الله عليه وآله وسلم فى مدّة حياته:

فمن ذلك ما رواه أبو عيسى الترمذى فى جامعه «(١)» فى كتاب الدعوات، قال: ثنا محمود بن غيلان، ثنا عثمان بن عمر، ثنا شعبة، عن
أبى جعفر، عن عمارة بن خزيمة ابن ثابت، عن عثمان بن حنيف: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ادع
الله أن يعافينى.

١- الجامع الصحيح سنن الترمذى كتاب الدعوات ح ٣٥٧٨ وسنن ابن ماجه ١ / ٤٤١ رقم ١٣٨٥ والطبرانى فى المعجم الكبير ٩ / ١٩،
ومستدرک الحاكم ١ / ٣١٣ و ٥١٩ وصححه ووافقه الذهبى. واسد الغابة ٣ / ٥٥٧، ودلائل النبوة للبيهقى ٦ / ١٦٦ ومن دعواته الكبير.
وللاستاذ العلامة محمود السعيد: بحث قيم حول أسانيد الحديث، وفيه ردّ قوى على الألبانى المتمسلف المبتدع، الذى ضعف الحديث،
فراجع رفع المنارة ص ١٢٢-١٤٦.

ص: ٣٠١

قال: «إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتُ، فهو خير لك».

قال: فادعه.

قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي ليقضى لى، اللهم شفعه في».

قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر الخطمى.

ورواه النسائى فى اليوم والليله «(١)» عن محمود بن غيلان بإسناده نحوه.

وعن محمد بن معمر، عن حبان، عن حماد، عن أبي جعفر، عن عماره بن خزيمة، عن عثمان بن حنيف نحوه.

وعن زكريا بن يحيى، عن ابن مثنى، عن معاذ بن هشام، عن أبيه، عن أبي جعفر، عن أبي امامه بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان نحوه.

وأخرجه ابن ماجه فى الصلاة «(٢)» عن أحمد بن منصور بن سيار، عن عثمان بن عمر بإسناده نحوه.

ورويناه فى «دلائل النبوة» «(٣)» للحافظ أبى بكر البيهقى، ثم قال البيهقى: وزاد محمد بن يونس فى روايته: فقام وقد أبصر.

قال البيهقى: ورويناه فى «كتاب الدعوات» «(٤)» بإسناد صحيح عن روح بن

١- اليوم والليله، للنسائى ص ٤١٧. ومسند أحمد ١٣٨ / ٤ والبخارى فى تاريخه ٦ / ٢٠٩.

٢- سنن ابن ماجه ١ / ٤٤١ باب ما جاء فى صلاة الحاجه ورواه أحمد فى المسند ١٣٨ / ٤ وسنن الترمذى ٥ / ٢٢٩ ومستدرک الحاكم ١ / ٣١٣ و ٥٢٦.

٣- دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ١٦٦ وفيه: فيجلى لى بصرى. ورواه أحمد فى مسنده ١٣٨ / ٤ وقد مرّ تخريجه عن الترمذى وغيره.

٤- الدعوات الكبير للبيهقى ص ٢٥١ ح ٢٠٤.

ص: ۳۰۲

عبادة، عن شعبه قال: ففعل الرجل فبراً.

قال: وكذلك رواه حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي.

ثم روى بإسناده عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر المدني - وهو الخطمي - عن أبي امامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف فذكره، وفي آخره: «يا محمد، إني أتوجه بك إلى ربي فيجلى عن بصري، اللهم شفّعه فيّ، وشفّعني في نفسي».

قال عثمان: فوالله ما تفرّقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرر قط.

وسنذكر هذا الحديث أيضاً في التوسل بالنبی صلی الله علیه و آله و سلم بعد موته من طريق الطبراني والبيهقي.

وقد كفانا الترمذي والبيهقي رحمهما الله بتصحيحهما مؤنة النظر في تصحيح هذا الحديث، وناهيك به حجة في المقصود.

فإن اعترض معترض: بأن ذلك إنما كان لأن النبي صلی الله علیه و آله و سلم شفّع فيه، فلهذا قال له أن يقول: «إني توجهت إليك بنبيك».

قلت: الجواب من وجوه:

أحدها: سيأتي أن عثمان بن عفان وغيره استعملوا ذلك بعد موته صلی الله علیه و آله و سلم وذلك يدل على أنهم لم يفهموا اشتراط ذلك.

الثاني: أنه ليس في الحديث أن النبي صلی الله علیه و آله و سلم بين له ذلك.

الثالث: أنه ولو كان كذلك لم يضّر في حصول المقصود؛ وهو جواز التوسل إلى الله بغيره؛ بمعنى السؤال به، كما علمه النبي صلی الله علیه و آله و سلم وذلك زيادة على طلب الدعاء منه، فلو لم يكن في ذلك فائدة لما علمه النبي صلی الله علیه و آله و سلم وأرشده إليه، ولقال له: إني قد شفّعت فيك، ولكن لعلّ صلي الله علیه و آله و سلم أراد أن يحصل من صاحب الحاجة التوجه بذل الاضطرار

ص: ٣٠٣

والافتقار والانكسار، ومستغيثاً بالنبي صلى الله عليه وآله و سلم فيحصل كمال مقصوده.
ولا شك أن هذا المعنى حاصل في حضرة النبي صلى الله عليه وآله و سلم وغيبته في حياته وبعد وفاته؛ فإننا نعلم شفقتة صلى الله عليه وآله و سلم على أمته، ورفقه بهم، ورحمته لهم، واستغفاره لجميع المؤمنين وشفاعته، فإذا انضم إليه توجه العبد به حصل هذا الغرض الذي أرشد النبي صلى الله عليه وآله و سلم الأعمى إليه.

التوسّل بالنبي صلى الله عليه وآله و سلم بعد موته

الحالة الثالثة: أن يتوسّل بذلك بعد موته صلى الله عليه وآله و سلم
لما رواه الطبراني رحمه الله في «المعجم الكبير» (١) في ترجمة (عثمان بن حنيف)، وذلك في الجزء الخمسين، فإن أول الجزء الخمسين من اسمه (طفيل)، وآخره «جعلني إمامهم وأنا أصغرهم» قبل ترجمة (عمار بن طلحة)، قال في هذا الجزء الخمسين: ثنا طاهر بن عيسى بن قريش (٢) «المصري المقرئ، ثنا أصبغ بن الفرّج، ثنا ابن وهب، عن أبي سعيد المكي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر الخطمي المدني، عن أبي امامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن حنيف فشكا ذلك إليه. فقال له عثمان بن حنيف: إيت الميضاة فتوضأ، ثم إيت المسجد فصل فيه

-
- ١- المعجم الكبير للطبراني ١٧/٩ رقم ٨٣١١، وخرجه المعلق: رواه الطبراني في المعجم الصغير ١/١٨٣ وصححه، وفي كتاب الدعاء له. ورواه ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ٢٠٩ رقم ٦٢٨ والحاكم في المستدرک ١/٥٢٦ والبيهقي في دلائل النبوة ٦/١٦٧.
- ٢- في: قبرس.

ص: ٣٠٤

ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نبي الرحمة، يا محمد، إني أتوجه إليك إلى ربك فيقضى حاجتي.

وتذكر حاجتك، وروح حتى أروح معك.

فانطلق الرجل، فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان، فجاءه البواب حتى أخذ بيده، فأدخله على عثمان بن عفان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: ما حاجتك؟ فذكر حاجته، وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها.

ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إلي حتى كلمته في. فقال عثمان بن حنيف: والله ما كلمته، ولكنني شهدت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتاه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أو تصبر؟».

فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد، وقد شق علي.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إيت الميضاة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات».

قال ابن حنيف: فوالله، ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضرر قط.

ثنا إدريس بن جعفر العطار، ثنا عثمان بن عمر بن فارس، ثنا شعبه، عن أبي جعفر الخطمي، عن أبي امامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحوه.

ورواه البيهقي (١) بإسناده عن أبي جعفر المدني، عن أبي امامة بن سهل بن

ص: ٣٠٥

حنيف: أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان، فذكره بنحو ممّا سبق.
رواه من طريقين؛ أحدهما: عن عبدالملك بن أبي عثمان الزاهد، أنا أبو بكر محمّد بن عليّ بن إسماعيل الشاشي القفال، أنا أبو عروبة، ثنا العباس بن الفرّج، ثنا إسماعيل بن شبيب، ثنا أبي، عن روح بن القاسم، عن أبي جعفر.
والاحتجاج من هذا الأثر؛ لفهم عثمان رضي الله تعالى عنه ومن حضره الذين هم أعلم بالله ورسوله، وفعلهم.

النوع الثاني: التوسّل به؛ بمعنى طلب الدعاء منه، وذلك في أحوال:

حديث الاستسقاء بالنبصلى الله عليه وآله وسلم في حياته

[إحداها: في حياته صلى الله عليه وآله وسلم
وهذا متواتر، والأخبار طافحة به، ولا- يمكن حصرها، وقد كان المسلمون يفرعون إليه ويستغيثون به في جميع ما نابهم، كما في «الصحيحين» (١): أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائماً قال: يا رسول الله، هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله تعالى يغيثنا.
فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا». فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسّطت السماء انتشرت، ثم أمطرت.
قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً... الحديث.

١- الصحيحان: البخارى ٢/ ٤٥٥ كتاب الاستسقاء، باب ٦٤٣ الاستسقاء يوم الجمعة، وفيه: ستاً. ومسلم ٢/ ٢٤ كتاب صلاة الاستسقاء.

ص: ٣٠٦

وروى البيهقي في دلائله «(١)» عن أبي وجزة يزيد بن عبد «(٢)» السلمى «(٣)» قال: لما فقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد بنى فزاره... إلى أن قال: فقالوا: يا رسول الله، أستنت بلادنا، وأجدبت جناتنا، وعريت عيالنا، وهلكت مواشينا، فادع ربك أن يعيشتنا، واشفع لنا إلى ربك، ويشفع ربك إليك.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «سبحان الله، ويلك، إن أنا شفعت إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟! الله لا إله إلا هو العظيم، وسع كرسيه السموات والأرض، وهو يئط من عظمته وجلاله...» وذكر بقيته الحديث. إلى أن قال: فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصعد المنبر، وفيه: كان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلدك وبهيمتك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت...» وذكر دعاء وحديثاً طويلاً.

وفي «سنن أبي داود» «(٤)» في كتاب السنن عن جبير بن مطعم قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أعرابي فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا؛ فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ويحك، أتدرى ما تقول؟! إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه؛ شأن الله أعظم من ذلك...» وذكر حديث الأبيط.

وفي إسناده محمد بن إسحاق وعننته، فإن ثبت فهو موافق لمقصودنا، فإنه لم ينكر الاستشفاع به، وإنما أنكر الاستشفاع بالله، ولعل سبب ذلك أن شأن الشافع

١- دلائل النبوة للبيهقي ١٤٣/٦ باب استسقاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفيه: السلمى بدل السعدى.

٢- فى ه: عبيد.

٣- فى ه: السعدى.

٤- سنن أبي داود ٢٣٢/٤ كتاب السنن، باب الجهمية ح ٤٧٢٦ وهو حديث الأبيط!

ص: ٣٠٧

أن يتواضع للمشفوع عنده.

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أتيناك وما لنا صبى يصطحب، ولا بعير يئط، وأنشد:

أتيتك والعدراء تدمى لبانها وقد شغلت أم الصبى عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع هوناً ما يمر ولا يحلى

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل

وليس لنا إلا إليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرسل

فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجزّ رداءه حتى صعد المنبر، فرفع يديه ثم قال: «اللهم اسقنا...» وذكر الدعاء إلى أن قال:

فما ردّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يده حتى ألقى السماء بأرواقها، وجاء أهل البطانة يضحون [\(١\)](#): «الغرق، الغرق».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حوالينا ولا علينا» فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحرق بها كالكيل، وضحك النبي صلى الله

عليه وآله وسلم حتى بدت نواجذه.

ثم قال: «لله درّ أبى طالب، لو كان حيناً قرّت عيناه، من ينشدنا قوله؟».

فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: يا رسول الله، كأنك تريد قوله:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه وفواضل

كذبتهم وبيت الله نبرى محمداً ولما نطاعن حوله وناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أجل» [\(٢\)](#).

١- فى ه: يصيحون.

٢- دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ١٤٠-١٤٢ وفيه اختلاف فى متن الأشعار.

ص: ٣٠٨

فقام رجل من كنانة رضى الله تعالى عنه فقال:
لَكَ الْحَمْدُ وَالْحَمْدُ مَمَّنْ شَكَرَ سَقِينَا بِوَجْهِ النَّبِيِّ الْمَطْرِ
دَعَا اللَّهَ خَالِقَهُ دَعْوَةً إِلَيْهِ وَأَشْخَصَ مِنْهُ الْبَصَرَ
فَلَمْ يَكْ إِلَّا كَمَا سَاعَهُ وَأَسْرَعَ حَتَّى رَأَيْنَا الدَّرَرَ
دَفَافَ الْعَزَالِيِّ جَمَّ الْبَعَاقُ أَغَاثَ بِهِ اللَّهُ عَلِيًّا مَضْرُ
فَكَانَ كَمَا قَالَ عَمَّهُ أَبُو طَالِبٍ أَيْضُ ذُو غَرَرٍ
فَمَنْ يَشْكُرُ اللَّهَ يَلْقَى الْمَزِيدَ وَمَنْ يَكْفُرُ اللَّهَ يَلْقَى الْغَبْرَ
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَكُ شَاعِرٌ أَحْسَنَ فَقَدْ أَحْسَنْتَ».
وَالْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ فِي ذَلِكَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تَحْصِيَ، وَلَوْ تَتَّبَعْتَهَا لَوَجَدْتَ مِنْهَا أَلْوَانًا.
وَنَصَّ قَوْلُهُ تَعَالَى: وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ... الْآيَةُ، صَرِيحٌ فِي ذَلِكَ.

استسقاء عمر بالعبّاس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وكذلك يجوز ويحسن مثل هذا التوسّل بمن له نسبة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما كان عمر ابن الخطّاب رضى الله عنه إذا
قحط استسقى بالعبّاس بن عبدالمطلب رضى الله عنه ويقول: اللهم إنّنا كُنّا إذا قحطنا توسّلنا بنبينا فتسقيننا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبينا
محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فاسقنا.
قال: فيسقون، رواه البخارى من حديث أنس «(١)».

١- صحيح البخارى ٢/ ٤٥٣ كتاب الاستسقاء، باب ٦٤٠ سؤال الناس الإمام إن قحطوا، ح ٩٤٧.
و ٨٢/ ٥ كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم باب ٤١ ذكر العبّاس ح ٢٢٩، وانظر فتح البارى ٢/ ٤٩٤، وأورده
البعوى فى شرح السنّة ٣/ ٤٠٩ والبيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ١٤٧ وفى السنن الكبرى ٣/ ٣٥٢.

ص: ٣٠٩

واستسقى به عام الرمادة فسقوا، وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بعمى سقى الله الحجاز وأهله عشيّة يستسقى بشيئته عمر [\(١\)](#)

واستسقى حمزة بن القاسم الهاشمي ببغداد فقال: «اللهم إنا من ولد ذلك الرجل الذي استسقى بشيئته عمر بن الخطاب فسقوا»، فما زال يتوسل بهذه الوسيلة حتى سقوا.

وروى أنه لما استسقى عمر بالعبّاس، وفرغ عمر من دعائه، قال العباس:

اللهم إنه لم ينزل من السماء بلاء إلا بذنب، ولا يكشف إلا بتوبة، وقد توجه بي القوم إليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وآله وسلم وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا بالتوبة... وذكر دعاء، فما تمّ كلامه حتى ارتخت [\(٢\)](#) السماء بمثل الجبال.

وكذلك يجوز مثل هذا التوسل بسائر الصالحين، وهذا شيء لا ينكره مسلم، بل متدين بملء من الملل.

فإن قيل: لم توسل عمر بن الخطاب بالعبّاس، ولم يتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بقبره؟

قلنا: ليس في توسله بالعبّاس إنكار للتوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو بالقبر.

وقد روى عن أبي الجوزاء قال: قحط أهل المدينة قحطاً شديداً فشكوا إلى

١- مرّ حديثه، وأورده الحاكم في المستدرک ٣/ ٣٣٤ وفيه قول عمر: واتخذوه

وسيلة إلى الله فيما نزل بكم. ولاحظ منح المدح لابن سيد الناس ص ١٩١-١٩٢.

٢- في الهنديّة: ارتجت.

ص: ٣١٠

عائشة رضى الله عنها، فقالت: فانظروا قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاجعلوا منه كوى إلى السماء حتى لا يكون بينه وبين السماء سقفاً.

ففعّلوا فمطروا، حتى نبت العشب، وسمن الإبل، حتى تفتقت من الشحم، فسمى «عام الفتق».

ولعلّ توّسل عمر بالعبّاس لأمرين:

أحدهما: ليدعو كما حكينا من دعائه.

والثاني: أنّه من جملة من يستسقى ويتنفع بالسقاء، وهو محتاج إليها، بخلاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الحالة، فإنّه مستغن عنها، فاجتمع في العبّاس الحاجة وقربّه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشيئته، والله تعالى يستحي من ذى الشبهة المسلم، فكيف من عمّ نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم!! ويجب دعاء المضطرّ، فلذلك استسقى عمر بشيئته.

الفرقة بين الألفاظ!

فإن قال المخالف: أنا لا أمتنع التوسّل والتشفّع؛ لما قدّمتم من الآثار والأدلة، وإنّما أمتنع إطلاق «التجوّه» و«الاستغاثة» لأنّ فيهما إيهام أنّ المتجوّه به والمستغاث به، أعلى من المتجوّه عليه والمستغاث عليه.

قلنا: هذا لا يعتقده مسلم، ولا يدلّ لفظ «التجوّه» و«الاستغاثة» عليه.

فإنّ «التجوّه» من الجاه والوجه، ومعناه علوّ القدر والمنزلة، وقد يتوسّل بذي الجاه إلى من هو أعلى جاهاً منه.

و«الاستغاثة» طلب الغوث، فالمستغيث يطلب من المستغاث به أن يحصل له الغوث من غيره، وإن كان أعلى منه.

فالتوسّل والتشفّع والتجوّه والاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء والصالحين، ليس لها معنى في قلوب المسلمين غير ذلك، ولا يقصد بها أحد منهم

ص: ٣١١

سواه، فمن لم ينشرح صدره لذلك فليبك على نفسه، نسأل العافية.

وإذ اصحّ المعنى فلا عليك في تسميته «توسلاً» أو «تشفعاً» أو «تجوّهاً» أو «استغاثةً».

ولو سُيِّمَ أن لفظ «الاستغاثة» يستدعي النصر على المستغاث منه، فالعبد يستغيث على نفسه وهواه والشيطان وغير ذلك ممّا هو قاطع له عن الله تعالى بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من الأنبياء والصالحين، متوسلاً بهم إلى الله تعالى ليغيثه على من استغاث منه من النفس وغيرها، والمستغاث به في الحقيقة هو الله تعالى والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم واسطةً بينه وبين المستغيث.

التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة

[الحالة الثانية: بعد موته صلى الله عليه وآله وسلم في عرصات القيامة؛ بالشفاعة منه صلى الله عليه وآله وسلم وذلك ممّا قام الإجماع عليه، وتواترت الأخبار به، وسنذكر تفاصيل الشفاعة المجمع عليها والمختلف فيها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى «(١)».

التوسّل بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في البرزخ

الحالة الثالثة: المتوسطة في مدّة البرزخ

وقد ورد في هذا النوع فيها أيضاً: أنا أبو بكر بن يوسف بن عبدالعظيم المعروف ب «ابن الصباح» بقراءتي عليه في المجلد الحادية عشرة من «دلائل النبوة» للبيهقي قال: أنا أبو الكرم لاحق بن عبدالمنعم بن قاسم الأرتاحي قراءة عليه وأنا أسمع، أنا أبو محمّد المبارك بن عليّ بن الحسين البغدادي المعروف ب «ابن الطباخ» أنا

ص: ٣١٢

الشيخ السديد أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن أحمد البيهقي، أنا جدّي الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، أنا أبو نصر بن قتادة وأبو بكر الفارسيّ قالوا: أخبرنا أبو عمر بن مطر، ثنا إبراهيم بن عليّ الذهليّ، ثنا يحيى بن يحيى، أنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن مالك الدارقان قال: أصاب الناس قحط في زمان عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فجاء رجل إلى قبر النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فقال: «إئت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنهم مسقون، وقل له: عليك الكيس، الكيس».

فأتى الرجل عمر فأخبره، فبكى عمر رضي الله عنه ثم قال: يا ربّ ما آلو إلّما عجزت عنه [\(١\)](#).

ومحلّ الاستشهاد من هذا الأثر طلبه الاستسقاء من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته في مدّة البرزخ، ولا مانع من ذلك؛ فإنّ دعاء النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لربّه تعالى في هذه الحالة غير ممتنع، وقد وردت الأخبار على ما ذكرنا، ونذكر طرفاً منه.

وعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال من يسأله ورد أيضاً.

ومع هذين الأمرين فلا مانع من أن يسأل الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستسقاء، كما كان يسأل في الدنيا.

١- دلائل النبوة للبيهقي ٤٧/٧ وقد أورده ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/٣١-٣٢ وابن حجر في الإصابة ٣/٤٨٤ والقرطبي في الاستيعاب ٢/٤٦٤. وانظر فتح الباري ٢/٤٩٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/١٠١، وجامع المسانيد- مسند عمر- ١/٢٢٣، وقد أقر ابن تيمية بثبوته في اقتضاء الصراط له ص ٣٧٣.

وقد فصل الاستاذ المحمود السعيد الممدوح في رفع المنارة ص ٢٦٢-٢٧٨ في الكلام عليه وعلى إسناده، وردّ في نحر الألباني المتمسلف في تضعيفه، فراجع.

التوسُّل بالنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بتسبُّبه

النوع الثالث من التوسُّل: أن يطلب منه ذلك الأمر المقصود بمعنى أنه صلى الله عليه وآله وسلم قادر على التسبب فيه بسؤاله ربّه وشفاعته إليه.

فيعود إلى النوع الثاني في المعنى وإن كانت العبارة مختلفة.

ومن هذا قول القائل للنبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: «أعنى على نفسك بكثرة السجود». والآثار في ذلك كثيرة أيضاً.

ولا يقصد الناس بسؤالهم ذلك إلا كون النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم سبباً وشفاعاً، وكذلك جواب النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم وإن ورد على حسب السؤال.

كما روينا في «دلائل النبوة» (١) للبيهقي بالإسناد إلى عثمان بن أبي العاص قال:

شكوت إلى النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم سوء حفظي للقرآن، فقال: «شيطان يقال: خنزب، ادن مني يا عثمان». ثم وضع يده عليصدرى، فوجدت بردها بين كتفي، وقال: «أخرج يا شيطان منصدر عثمان». قال: فما سمعت بعد ذلك شيئاً إلّا حفظته.

فانظر أمر النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج للشيطان؛ للعلم بأن ذلك بإذن الله تعالى وخلقه وتيسيره.

وليس المراد نسبة النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الخلق والاستقلال بالأفعال!! هذا لا يقصده مسلم، فصرف الكلام إليه ومنعه، من باب التلبس في الدين، والتشويش على عوام الموحدين.

١- دلائل النبوة للبيهقي ٥/ ٣٠٧ باب تعليم النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن أبي العاص.

لا حرج في الألفاظ كلها

وإذ قد تحررت هذه الأنواع والأحوال في الطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظهر المعنى، فلا عليك في تسميته «توسلاً» أو «تشفعاً» أو «استغاثة» أو «تجوهاً» أو «توجهاً» لأن المعنى في جميع ذلك سواء:

أما التشفع: فقد سبق في الأحاديث المتقدمة قول وفد بني فزارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: تشفع لنا إلى ربك، وفي حديث الأعمى ما يقتضيه أيضاً.

والتوسل: في معناه.

وأما التوجه والسؤال: ففي حديث الأعمى.

والتجوه: في معنى التوجه، قال تعالى في حق موسى عليه السلام: وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً.

وقال في حق عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام: وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقال المفسرون وَجِيهاً أى ذا جاه ومنزلة عنده.

وقال الجوهري في فعل «وجه»: وجه إذا صار وجيهاً ذا جاه وقدر.

وقال الجوهري أيضاً في فعل «جوه»: الجاه القدر والمنزلة، وفلان ذو جاه، وقد أوجهته ووجهته أنا؛ أى جعلته وجيهاً [\(١\)](#).

وقال ابن فارس: فلان وجيه؛ ذو جاه [\(٢\)](#).

إذا عرف ذلك؛ فمعنى «تجوه» توجه بجاهه، وهو منزلته وقدره عند الله تعالى إليه.

١- الصحاح للجوهري ٦ / ٢٢٣١ جوه.

٢- مجمل اللغة ٣ / ٩١٧ وجه وما يتلثها.

الاستغاثة

وأما الاستغاثة: فهي طلب الغوث.

وتارة: يطلب الغوث من خالقه؛ وهو الله تعالى وحده، كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ.

وتارة: يطلب ممن يصح إسناده إليه على سبيل الكسب، ومن هذا النوع الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم في هذين القسمين. وتعدى الفعل تارة: بنفسه، كقوله تعالى: إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجِابَهُ الَّذِي مِنْ شَيْعَتِهِ وتارة: بحرف الجر، كما في كلام النحاة في المستغاث به، وفي «كتاب سيويه» رحمه الله تعالى: فاستغاث بهم ليشثروا له كليباً.

فيصح أن يقال: «استغثت النبى صلى الله عليه وآله وسلم» و«أستغيت بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم» بمعنى واحد؛ وهو طلب الغوث منه بالدعاء ونحوه على النوعين السابقين فى التوسل من غير فرق، وذلك فى حياته وبعد موته.

ويقول: «استغثت الله» و«أستغيت بالله» بمعنى طلب خلق الغوث منه، فالله تعالى مستغاث، فالغوث منه خلقاً وإيجاداً، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم مستغاث، والغوث منه تسبياً وكسباً، ولا فرق فى هذا المعنى بين أن يستعمل الفعل متعدياً بنفسه، أو لازماً، أو تعدى بالباء.

وقد تكون الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم على وجه آخر؛ وهو أن يقول: «استغثت الله بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم» كما يقول: «سألت الله بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم» فيرجع إلى النوع الأول من أنواع التوسل، ويصح قبل وجوده وبعد وجوده، وقد يحذف المفعول به ويقال:

«استغثت بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم» بهذا المعنى.

فصار لفظ «الاستغاثة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم» له معنيان:

أحدهما: أن يكون مستغاثاً.

ص: ٣١٦

والثاني: أن يكون مستغاثاً به، والباء للاستعانة.

فقد ظهر جواز إطلاق «الاستغاثة» و «التوسيل» جميعاً، وهذا أمر لا يشك فيه؛ فإن «الاستغاثة» في اللغة طلب الغوث، وهذا جائز لغةً وشرعاً من كل من يقدر عليه بأى لفظ عبّر عنه، كما قالت أم إسماعيل: أعث إن كان عندك غوث.

وقد روينا في «المعجم الكبير» (١) للطبراني حديثاً ظاهره قد يقدر في هذا:

قال الطبراني: ثنا أحمد بن حماد بن زغبة المصري، ثنا سعيد بن عفير، ثنا ابن لهيعة، عن الحارث بن يزيد، عن علي بن رباح، عن عبادة قال: قال أبو بكر رضي الله عنه:

قوموا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذا المنافق.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله عز وجل».

وهذا الحديث في إسناده عبد الله بن لهيعة، وفيه كلام مشهور، فإنصح الحديث فيحتمل معاني:

أحدها: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أجرى على المنافقين أحكام المسلمين بأمر الله تعالى، فلعل أبا بكر ومن معه استغاثوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليقتله، فأجاب بذلك؛ بمعنى أن هذا من الأحكام الشرعية التي لم ينزل الوحي بها، وأمرها إلى الله تعالى وحده، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم أعرف الخلق بالله تعالى، فلم يكن يسأل ربه تغيير حكم من الأحكام الشرعية، ولا يفعل فيها إلماً يؤمر به، فيكون قوله: «لا يستغاث بي» عاماً مخصوصاً؛ أي لا يستغاث بي في هذا الأمر؛ لأنه ممّا يستأثر الله تعالى به.

ولا شك أن من أدب السؤال أن يكون المسؤول ممكناً، فكما أننا لا نسأل الله تعالى إلماً هو في ممكن القدرة الإلهية (٢)، كذلك لا نسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلماً يمكن أن

١- المعجم الكبير للطبراني.

٢- أي في ما قدر الله تعالى إمكانه، فلو قدر امتناعه فهو جارٍ على ما قدر من الامتناع، وتعالى أن يتناقض تقديره وفعله، فلاحظ. وكتب السيد

ص: ٣١٧

يجيب إليه.

والثاني: أن يكون ذلك من باب قوله: «ما أنا حملتكم، ولكن الله حملكم» أى أنا وإن استغيث بى، فالمستغاث به فى الحقيقة هو الله تعالى، وكثيراً ما تجيء السنة بنحو هذا من بيان حقيقة الأمر، ويجيء القرآن بإضافة الفعل إلى مكتسبه، كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لن يدخل أحداً منكم الجنة عمله» مع قوله تعالى: ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: «لإن يهدى الله بك رجلاً واحداً...».

فسلك الأدب فى نسبة الهداية إلى الله تعالى، وقد قال تعالى: وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا فنسب الهداية إليهم، وذلك على سبيل الكسب، ومن هذا قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَيْصِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

وأما قوله تعالى: «إِنَّكَ لَأَتَّهَدَى مَنْ أَحْبَبْتَ» فالأحسن أن يكون المراد به التسليء، والحمل عن قلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى عدم إسلام عمه أبى طالب!!! فكأنه قد قيل: «أنت وفيت بما عليك، وليس عليك خلق هدايته؛ لأن ذلك ليس إليك، فلا تذهب نفسك عليه».

وبالجملة: إطلاق لفظ «الاستغاثة» بالنسبة لمن يحصل منه غوث- إمّا خلقاً وإيجاداً، وإمّا تسبباً وكسباً- أمر معلوم لا شك فيه لغة وشرعاً، ولا فرق بينه وبين السؤال، فتعين تأويل الحديث المذكور.

وقد قيل: إن فى البخارى فى حديث الشفاعة يوم القيامة (١): «بينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو حجة فى إطلاق لفظ «الاستغاثة».

ولكن ذلك لا يحتاج إليه؛ لأن معنى «الاستغاثة» و«السؤال» واحد سواء عتبر

ص: ٣١٨

عنه بهذا اللفظ، أم بغيره، والنزاع في ذلك نزاع في الضروريات، وجوازه شرعاً معلوم، فتخصيص هذه اللفظة بالبحث مما لا وجه له، وإنكار السؤال بالنبي صلى الله عليه وآله و سلم مخالف لما قدّمناه من الأحاديث والآثار وما أشرنا إليه مما لم نذكره.

ص: ٣١٩

الباب التاسع: فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**إشارة**

[والشهداء، وحال سائر الموتى]

قد تضمّنت الأحاديث المتقدّمة أنّ روح النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم تردّ عليه، وأنّه يسمع ويردّ السلام، فاحتجنا إلى النظر فيما قد قيل فى ذلك بالنسبة إلى الأنبياء وسائر الموتى، وقد ربّنا الكلام فى هذا الباب على فصول:

الفصل الأول: فيما ورد في حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

إشارة

صنّف الحافظ أبو بكر البيهقي رحمه الله في ذلك جزءاً، وروى فيه أحاديث منها:
«الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون».

ورواه ابن عدى في «الكامل» (١) أنا غير واحد إذناً عن ابن المقير، عن ابن الشهرزوري، أنا إسماعيل بن مسعدة، أنا حمزة بن يوسف، أنا أحمد بن عدى الحافظ، قال: ثنا قسطنطين بن عبدالله الرومي مولى المعتمد على الله أمير المؤمنين، ثنا الحسين بن عرفة، حدّثني الحسن بن قتيبة المدائني، ثنا المتسلم بن سعيد الثقفي، عن الحجاج الأسود، عن ثابت البناني، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«الأنبياء صلوات الله عليهم أحياء في قبورهم يصلون».

قال ابن عدى: وللحسن بن قتيبة هذا أحاديث غرائب حسان، فأرجو أنه لا بأس به.

ص: ٣٢٢

وذكره ابن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً ولا- تعديلاً، وذكره الخطيب في «التاريخ» (١) وقال: عن البرقاني عن الدارقطني: أنه متروك الحديث.

وروى البيهقي هذا الحديث فيصدر «الجزء الذي صنفه» عن أبي سعيد؛ أحمد ابن محمد بن الخليل الصوفي عن ابن عدى بسنده المذكور، ثم قال البيهقي: هذا حديث يعد في أفراد الحسن بن قتيبة.

وقد روى عن يحيى بن أبي بكير، عن المتسلم بن سعيد، وهو فيما أنا الثقة من أهل العلم، أنا أبو عمرو بن حمدان، أنا أبو يعلى الموصلي، ثنا أبو جهم الأزرق بن علي، ثنا يحيى بن أبي بكير، ثنا المتسلم بن سعيد، عن الحجاج، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» (٢).

قلت: ويحيى بن أبي بكير: ثقة، والمتسلم بن سعيد: ثقة، والحجاج (٣): إن كان ابن أبي زناد ثقة، وإن كان غيره فلم أعرفه. قال البيهقي: وروى كما أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، أنا أبو حامد أحمد بن علي الحسنوي إملاء، ثنا أبو عبدالله محمد بن العباس الحمصي بحمص، ثنا أبو الربيع الزهراني، ثنا إسماعيل بن طلحة بن يزيد، عن محمد بن عبدالرحمان بن أبي ليلى، عن ثابت، عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن الأنبياء لا يتركون في قبورهم بعد أربعين ليلة، ولكنهم يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور».

١- تاريخ بغداد ٧/ ٤٠٤ رقم ٣٩٤٨.

٢- مجمع الزوائد ٨/ ٢١١ وقال رواه أبو يعلى والبخاري ورجال أبي يعلى ثقات.

٣- قال في الفتح في باب واذكر في الكتاب مريم من أحاديث الأنبياء: أخرجه البخاري لكن وقع عنده عن الحجاج الصواف وهو وهم، والصواب الحجاج الأسود لما وقع التصريح به في رواية البيهقي وصححه البيهقي.

ص: ٣٢٣

قال البيهقي: وهذا إنصح بهذا اللفظ، فالمراد به - والله أعلم - لا يتركون لا يصلون إلهذا المقدار، ثم يكونون مصليين فيما بين يدي الله تعالى.

قال البيهقي: ولحياة الأنبياء بعد موتهم، شواهد من الأحاديث الصحيحة.

ثم ذكر البيهقي بأسانيد حديث: «مرت بموسى وهم قائم يصلون في قبره».

وحديث: «قد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلون، وإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلون، أقرب الناس به شبهاً عروة بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلون أشبه الناس به صاحبكم - يعني نفسه - فحانت الصلاة فأمتهم، فلما فرغت من الصلاة قال قائل لي: يا محمّد، هذا مالك صاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأني بالسلام» أخرجه مسلم (١).

وفي حديث سعيد بن المسيّب وغيره: أنه لقيهم في بيت المقدس، وفي حديث أبي ذر فيصفه المعراج: أنه لقيهم في السماوات، وكلموه وكلمهم.

وكل ذلك صحيح لا يخالف بعضه بعضاً، فقد رأى موسى عليه السلام قائماً يصلون في قبره، ثم يسرى بموسى وغيره إلى بيت المقدس، كما أسرى بني ناصلي الله عليه وآله وسلم ثم يعرج بهم إلى السماوات، كما عرج بنينا عليه الصلاة والسلام فيراها كما أخبر. وحلولهم في أوقات بمواضع مختلفات، فإنه في العقل كما ورد في خبر الصادق، وفي كل ذلك دلالة على حياتهم. ومما يدل على ذلك ما ساق إسناده إلى أوس بن أوس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أفضل أيامكم يوم الجمعة، وفيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليّ من الصلاة فيه؛ فإنصلاتكم معروضة».

ص: ٣٢٤

قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟- يقولون: بليت-

فقال: إن الله تعالى حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، أخرجه أبو داود «(١)».

قال البيهقي: وله شواهد، منها:

ما أنا أبو عبد الله، أنا ابن إسحاق الفقيه، أنا الأبار، ثنا أحمد بن عبد الرحمان، ثنا الوليد، ثنا أبو رافع، عن سعيد المقبري، عن أبي مسعود الأنصاري، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أكثرُوا الصلاة عليّ في يوم الجمعة، فإنّه ليس يصلى عليّ أحد يوم الجمعة إلّا عرضت عليّ صلواته».

وأنا عليّ بن أحمد، أنا أحمد بن عبيد، ثنا الحسين بن سعيد، ثنا إبراهيم، ثنا حماد، عن برد، عن مكحول، عن أبي امامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثرُوا عليّ من الصلاة في كلّ يوم جمعة، فإنّ صلواتي امتي تعرض عليّ في كلّ يوم جمعة، فمن كان أكثرهم عليّ صلاة كان أقربهم منّي منزلة» «(٢)».

وأنا الإسفراييني، حدّثني والدي، أنا اسامه بمصر، ثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، حدّثنا حكامة بنت عثمان بن دينار، عن مالك بن دينار، عن أنس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنّ أقربكم منّي يوم القيامة في كلّ موطن، أكثركم عليّ صلاة في الدنيا، فمنصليّ عليّ يوم الجمعة وليلة الجمعة، قضى الله له مائة حاجة»:

سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ثمّ يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري، كما تدخل عليكم الهدايا؛ يخبر عمّن صلّى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته، فآثبته عندي فيصحفه بيضاء». ثمّ ذكر البيهقي حديث: «فإنّ صلواتكم تبلغني حيث ما كنتم».

١- سنن أبي داود ٢/ ٨٨ كتاب الصلاة، باب في الاستغفار ح ١٥٣١.

٢- السنن الكبرى للبيهقي ٣/ ٢٤٩ كتاب الجمعة، باب ما يدخل به في ليلة الجمعة ويومها.

ص: ٣٢٥

وحديث: «ما من أحد يسلم عليّ إلّا ردّ الله عليّ رuchi حتى أردّ».

قال البيهقي، وإنما أراد- والله أعلم- إلّا وقد ردّ الله عليّ رuchi حتى أردّ عليه «(١)».

قلت: وقد تقدّم احتمال آخر.

ثم ذكر البيهقي حديث: «إنّ لله ملائكة سيّاحين يبلغونني عن امتي السلام».

وقول ابن عتيّاس: ليس أحد من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم صلى عليه صلاة إلّا وهي تبلغه، يقول له الملك: فلان يصلي عليك كذا وكذا صلاة.

وحديث: «منصلي عليّ عند قبري سمعته» من طريق أبي عبدالرحمان، وقال: هو محمّد بن مروان السديّ فيما أرى، وفيه نظر، وقد مضى ما يؤكده.

هذا قول البيهقي.

وذكر ما قدّمناه عن سليمان بن سحيم، ثم قال: ومما يدلّ على حياتهم ما أنا أبو عبدالله الحافظ... وساق إسناده، وذكر حديث: «فإذا

موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمنصع فأفاق قبلي، أو كان ممّن استثنى الله عزّوجلّ» رواه البخاريّ ومسلم «(٢)».

قال البيهقي: وهذا إنّما يصحّ على أنّ الله عزّوجلّ ردّ على الأنبياء صلوات الله عليهم أرواحهم، فهم أحياء عند ربّهم كالشهداء، فإذا

نفخ في الصور النفخة الاولى صعقوا فيمنصع، ثم لا يكون ذلك موتاً في جميع معانيه إلّا في ذهاب الاستشعار، فإن كان موسى عليه

السلام ممّن استثنى الله بقوله: إلّا من شاء الله فإنّه لا يذهب استشعاره في تلك الحالة، فيحاسبه بصعقه يوم الطور.

ويقال: إنّ الشهداء من جملة من استثنى الله عزّوجلّ بقوله تعالى: إلّا من شاء الله

١- السنن الكبرى ٥ / ٢٤٥ كتاب الحج، باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- صحيح البخاريّ ٤ / ١٣١ و ٧ / ١٩٣ و ٨ / ١٩٢ وصحيح مسلم ٧ / ١٠١.

ص: ٣٢٦

ورؤينا في ذلك خبراً مرفوعاً.

هذا جملة ما ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب «حياة الأنبياء في قبورهم» لم نحذف منه إلا بعض الأسانيد، أو بعض الزيادة في الأسماء.

وقد قدمناه في حديث من «سنن ابن ماجه» (١) فيه: «فنبى الله حى يرزق».

وقال البيهقي في «دلائل النبوة» (٢): «وفي الحديث الصحيح عن سليمان التيمي وثابت البناني، عن أنس بن مالك: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أتيت على موسى ليلة اسرى بي عند الكتيب الأحمر، وهو قائم يصلّى في قبره».

ورؤينا في الحديث الصحيح عن أبي سلمة، عن أبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلّى...» وذكر إبراهيم وعيسى ووصفهم، ثم قال: «فحانت الصلاة فأمتهم».

ورؤينا في حديث ابن المسيب: أنه لقيهم في بيت المقدس.

ورؤينا في حديث أنس: أنه بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء، فأمتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلك الليلة.

ورؤينا في الحديث الصحيح عن أنس، عن مالك بن صعصعة، وعن أنس، عن أبي ذر رضى الله عنهم: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى موسى بن عمران في السماء السادسة.

وليس بين هذه الأخبار منافاة، فقد يراه في مسيره قائماً يصلّى في قبره، ثم يسرى به إلى بيت المقدس، كما اسرى بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرآه فيه، ثم يعرج به إلى السماء السادسة، كما عرج بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرآه في السماء، وكذلك سائر من رآه من الأنبياء في الأرض ثم في السماء، والأنبياء صلوات الله عليهم أحياء عند ربهم كالشهداء، فلا

١- سنن ابن ماجه ١/ ٥٢٤ ح ١٦٣٧، تقدم.

٢- دلائل النبوة للبيهقي.

ص: ٣٢٧

ينكر حلولهم في أوقات بمواضع مختلفات، كما ورد خبر الصادق به، هذا كلام البيهقي.

[أحاديث الاسراء ولقاء الأنبياء أحياء]

وقد ثبت في الصحيح في حديث الإسراء: أنه صلى الله عليه وآله وسلم وجد آدم في السماء الدنيا، وقال فيه: «إذا رجل عن يمينه أسود، وعن يساره أسود، فإذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحباً بالنبى الصالح والابن الصالح» ووجد إبراهيم في السابعة مسنداً ظهره إلى البيت المعمور.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «مررت ليلة اسرى بي على موسى بن عمران؛ رجل آدم طوال جعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى بن مريم؛ مربع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس».

وقال في حديث آخر: «لقيت موسى فإذا برجل» حسبته قال: «مضطرب رجل الرأس كأنه من رجال شنوءة، ولقيت عيسى فإذا ربعه أحمر كأنما خرج من ديماس» - يعنى حمّاماً «ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به».

وفي حديث آخر: «أراني ليلة عند الكعبة، فرأيت رجلاً آدم؛ كأحسن ما أنت راء من الرجال، له لثة، كأحسن ما أنت راء من الللم قد رجليها، فهي تقطر ماءً متكتاً على رجلين» أو «على عواتق رجلين يطوف بالبيت، فسألت: من هذا؟

فقال: هذا المسيح ابن مريم».

وفي حديث: «لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراى، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كرباً ما كربت مثله قط» قال:

«فرعه الله أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلى، فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة،

ص: ٣٢٨

وإذا عيسى بن مريم قائم يصلّي؛ أقرب الناس به شَبهاً عروء بن مسعود الثقفي، وإذا إبراهيم قائم يصلّي أشبه الناس بهصاحبكم» يعنى نفسه «فحانت الصلاة فأمامتهم، فلتمّا فرغت من الصلاة قال قائل: يا محمّد، هذا مالكصاحب النار فسلم عليه، فالتفت إليه فبدأنى بالسلم».

وفى حديث آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ بوادى الأزرق فقال: «كأننى أنظر إلى موسى هابطاً من الثنية، وله جوار إلى الله بالتلبية».

ثم أتى على ثنية هزّشى فقال: «كأننى أنظر إلى يونس بن متى على ناقه حمراء جعدة، عليه جبة منصوف، خطام ناقته خلية، وهو يلبنى». وفى حديث آخر: «كأننى أنظر إلى موسى واضعاً إصبعيه فى اذنيه».

وهذه الأحاديث كلّها فى الصحيح.

وقد تقدّم فى موسى وعيسى وجميع الأنبياء المذكورين شىء كثير منصفات الأجسام، وكذلك صلاتهم قياماً، وإمامة النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم.

ولا- يقال: إن ذلك رؤيا منام، وإنّ قوله: «أرانى» فيه إشارة إلى النوم؛ لأنّ الإسراء وما اتفق فيه كان يقظة على الصحيح الذى عليه جمهور السلف والخلف.

ولو قيل: بأنّه نوم، فرؤيا الأنبياء حقّ.

وقوله: «أرانى» لا دلالة فيه على المنام؛ بدليل قوله: «رأيتنى فى الحجر» وكان ذلك فى اليقظة، كما يدلّ عليه بقيّة الكلام.

وقال تعالى: فَلَا تَكُنْ فى مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وفى «صحيح مسلم» (١): كان قتادة يفسّرُها أنّ نبىّ الله صلى الله عليه وآله وسلم قد لقي موسى.

وقد قيل فى قوله تعالى: وَاسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا: أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم سألهم ليلة الإسراء.

ص: ٣٢٩

قال القاضي عياض رحمه الله:

فإن قيل: يحجون ويلبثون وهم أموات، وهم في الدار الآخرة، وليست دار عمل.

فاعلم أن للمشايخ وفيما ظهر لنا عن هذا، أجوبة:

أحدها: أنهم كالشهداء، بل أفضل منهم، والشهداء أحياء عند ربهم، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا، كما ورد في الحديث الآخر، وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا؛ لأنهم - وإن كانوا قد توفوا - فهم في هذه الدنيا التي هي دار العمل، حتى إذا فنيت مدتها وتعقبتا الآخرة التي هي دار الجزاء، انقطع العمل.

والوجه الثاني: أن عمل الآخرة ذكر ودعاء، قال الله تعالى: دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ.

الثالث: أن يكون رؤيا منام، فهو في غير ليلة الإسراء.

الرابع: أنه صلى الله عليه وآله وسلم أرى حالهم التي كانت في حياتهم، ومثلوا له في حال حياتهم كيف كانوا، وكيف كان حجهم وتلبيتهم.

الخامس: أن يكون أخبر عما أوحى إليه صلى الله عليه وآله وسلم من أمرهم، وما كان منهم؛ وإن لم يرهم رؤية عين.

هذا كلام القاضي.

والوجه الأول والثاني يلزم منهما الحياة، والثالث لا يأتي في ليلة الإسراء، والرابع والخامس إنما يأتيان في الحج والتلبية ونحوهما، وأما فيما حصل ليلة الإسراء فلا.

والجواب الصحيح في الصلاة ونحوها أحد جوابين:

إما أن نقول: البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا في استكثارهم من الأعمال؛ وزيادة الاجور، وهو الجواب الأول الذي ذكره القاضي.

ص: ٣٣٠

وإما أن نقول: إن المنقطع في الآخرة إنما هو التكليف، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف؛ على سبيل التلذذ بها والخضوع لله تعالى، ولهذا إنهم يسبحون، ويدعون، ويقرأون القرآن.

وانظر إلى سجود النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقت الشفاعة، أليس ذلك عبادة وعملاً!!

وعلى كلا الجوابين، لا يمتنع حصول هذه الأعمال في مدة البرزخ.

وقد صح عن ثابت البناني التابعي أنه قال: اللهم إن كنت أعطيت أحداً أن يصلّي في قبره فأعطني ذلك. فرئى بعد موته يصلّي في قبره.

وتكفي رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لموسى قائماً يصلّي في قبره.

ولأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء، لم يقبضوا حتى خيروا بين البقاء في الدنيا، وبين الآخرة، فاختاروا الآخرة، ولا شك أنهم لو بقوا في الدنيا لآزادوا من الأعمال الصالحة، ثم انتقلوا إلى الجنة، فلو لم يعلموا أن انتقالهم إلى الله أكمل ما اختاروا، ولو كان انتقالهم من هذه الدار يفوت عليهم زيادة فيما يقرب إلى الله، لما اختاروه.

فهذه نبذة من الأحاديث الصحيحة الدالة على حياة الأنبياء.

والكتاب العزيز يدل على ذلك أيضاً، قال تعالى: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرزقونَ.**

وإذا ثبت ذلك في الشهيد ثبت في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوجوه:

أحدها: أن هذه رتبة شريفة اعطيت للشهيد؛ كرامة له، ورتبة أعلى من رتبة الأنبياء، ولا شك أن حال الأنبياء أعلى وأكمل من حال جميع الشهداء، فيستحيل أن يحصل كمال للشهداء، ولا يحصل للأنبياء، لا سيما هذا الكمال الذي يوجب زيادة القرب والرفق والنعيم والانس بالعلو الأعلى.

ص: ٣٣١

الثاني: أن هذه الرتبة حصلت للشهداء أجراً على جهادهم وبذلهم أنفسهم لله تعالى، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى سنّ لنا ذلك، ودعانا إليه، وهدانا له بإذن الله تعالى وتوفيقه، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من سنّ سنةً فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنّ سنةً سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من يتبعه؛ لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم آثام من يتبعه؛ لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً».

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة مشهورة، فكلّ أجر حصل للشهيد حصل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لسعيه مثله، والحياة أجر، فيحصل للنبى صلى الله عليه وآله وسلم مثلها زيادة على ما له صلى الله عليه وآله وسلم من الأجر الخاص من نفسه على هدايته للمهتدى، وعلى ما له من الاجور على حسناته الخاصّة؛ من الأعمال والمعارف والأحوال التى لا تصل جميع الامّة إلى عرف نشرها، ولا يبلغون معشار عشرها.

وهكذا نقول: إنّ جميع حسناتنا وأعمالنا الصالحة وعبادات كلّ مسلم، تسطرّ فيصحائف نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم زيادة على ما له من الأجر، ويحصل له صلى الله عليه وآله وسلم من الاجور بعدد اتمته أضعافاً لا يحصرها إلّا الله تعالى، ويقصر العقل عن إدراكها، فإنّ كلّ مهتدٍ وعامل إلى يوم القيامة يحصل له أجر، ويتجدّد لشيخه فى الهداية مثل ذلك الأجر، ولشيخه مثلاه، وللشيخ الثالث أربعه، وللرابع ثمانية، وهكذا يضعف فى كلّ مرتبة بعدد الاجور الحاصلة بعده... إلى أن تنتهى إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

فإذا فرضت المراتب عشرةً بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان للنبى صلى الله عليه وآله وسلم من الأجر ألف وأربعة وعشرون، فإذا اهتدى بالعاشر حادى عشر صار أجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ألفين وثمانية وأربعين، وهكذا كلّما ازداد واحد يتضاعف ما كان قبله أبداً إلى يوم القيامة.

ص: ٣٣٢

وهذا أمر لا يحصره إلا الله تعالى، ويقصر العقل عن كنه حقيقته، فكيف إذا اخذ مع كثرة الصحابة، وكثرة التابعين، وكثرة المسلمين في كل عصر!! فكل واحد من الصحابة يحصل له بعدد الاجور التي يترتب على فعله إلى يوم القيامة، وكل ما يحصل لجميع الصحابة حاصل بجملته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وبهذا يظهر رجحان السلف على الخلف؛ فإنه كلما ازداد الخلف ازداد أجر السلف، وتضاعف بالطريق الذي تبيننا عليه. ومن تأمل هذا المعنى، ورزق التوفيق، انبعثت همته إلى التعليم، ورغب في نشره؛ ليتضاعف أجره في حياته وبعد موته على الدوام، ويكف عن إحداث البدع والمظالم من المكوس وغيرها، فإنها تضاعف عليه بالطريق التي ذكرناها ما دام يعمل بهذا، فليتأمل المسلم هذا المعنى، وسعادة الهادى إلى الخير، وشقاوة الداعى إلى الشر.

الثالث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم شهيد، فإنّه صلى الله عليه وآله وسلم لما سمّ بخير، وأكل من الشاة المسمومة، وكان ذلك سمّاً قاتلاً من ساعته، مات منه بشر بن البراء رضى الله عنه، وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك معجزة في حقه، صار ألم السمّ يتعاهده إلى أن مات به صلى الله عليه وآله وسلم [وقال] فى مرضه الذى مات فيه: «ما زالت أكله خير تعاودنى حتى كان الآن أوان قطعت أبهرى».

قال العلماء: فجمع الله له بذلك بين النبوة والشهادة.

وتكون الحياة الثابتة للشهداء لا تختص بمن قتل فى المعركة، فإننا إنما اشترطنا ذلك فى الأحكام الدينويّة، كالغسل، والصلاة، أمّا الآخرة فلا، وهذا لا شكّ فيه بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما غيره وغير شهداء المعركة؛ ممن شهد له الشرع بالشهادة، كالمطعون، والمبطون، والغريق، ونحوهم، فهل نقول: إن الحياة الثابتة للمقتولين فى سبيل الله

ص: ٣٣٣

ثبت لهم؟

هذا يحتاج إلى توقيف.

و «الشهيد» فعيل إما بمعنى الفاعل، أو بمعنى المفعول، وقد اختلف في سبب هذه التسمية:

فنقل عن النضر بن شميل: أن الشهيد هو الحي؛ لأن كل من كان حياً كان شاهداً، أو مشاهداً للأحوال، والشهيد حي بعد أنصار مقتولاً، واستدل بالآية.

فعلى مقتضى هذا القول، كل من ورد الشرع بأنه شهيد، ثبت له هذا الوصف؛ وهو كونه حياً.

وقيل على كونه فاعلاً: إنه شهيد على الامم الخالية يوم القيامة، وإنه شاهد لطف الله ورحمته.

وقيل على كونه بمعنى مفعولاً: إن ملائكة الرحمة يحضرونه، ويرفعون روحه إلى منازل القدس، وكل هذه المعاني موجودة في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقيل في سبب التسمية غير ما ذكرنا.

واعلم: أنه لا بد من تفسير الحياة التي نسبتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والحياة التي نسبتها للشهيد وحياة سائر الموتى أيضاً:

فأما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعده صاحب «التلخيص» من الشافعية في خصائصه: أن ماله بعد موته قائم على نفقته وملكه.

وقال إمام الحرمين رحمه الله: إن ما خلفه بقي على ما كان في حياته، فكان ينفق أبو بكر رضى الله عنه منه على أهله وخدمه، وكان

يرى أنه باقٍ على ملك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن الأنبياء أحياء.

وأعلم: أن هذا القول يقتضى إثبات الحياة في أحكام الدنيا، وذلك زائد على حياة الشهيد.

ص: ٣٣٤

والقرآن العزيز ناطق بموته صلى الله عليه وآله وسلم قال تعالى: إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ.

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني مقبوض».

وقال الصديق رضى الله عنه: فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ.

وأجمع المسلمون على إطلاق ذلك.

فالوجه إذا ثبت القول المذكور أن يقال: إن ذلك موت غير مستمر، وإنه أحيى بعد الموت، ويكون انتقال الملك ونحوه مشروطاً بالموت المستمر، وإلا فالحياة الثابتة حياة أخروية، ولا شك أنها أعلى وأكمل من حياة الشهيد.

وهي ثابتة للروح بلا إشكال.

والجسد: قد ثبت أن أجساد الأنبياء لا تبلى.

وعود الروح إلى البدن سنذكره في سائر الموتى، فضلاً عن الشهداء، فضلاً عن الأنبياء، وإنما النظر في استمرارها في البدن، وفي أن البدن يصير حياً بها، كحالته في الدنيا، أو حياً بدونها، وهي حيث شاء الله تعالى، فإن ملازمة الحياة للروح أمر عادى لا عقلى، فهذا مما يجوزه العقل، فإنصح به سمع أتبع، وقد ذكرناه عن جماعة من العلماء، وشهد له صلاة موسى عليه السلام في قبره، فإن الصلاة تستدعى جسداً حياً، وكذلك الصفات المذكورة في الأنبياء ليلة الإسراء، كلكها صفات الأجسام.

ولا يلزم من كونها حياة حقيقية أن تكون الأبدان معها - كما كانت في الدنيا - من الاحتياج إلى الطعام، والشراب، والامتناع عن النفوذ في الحجاب الكثيف، وغير ذلك من صفات الأجسام التي نشاهدها، بل قد يكون لها حكم آخر، فليس في العقل ما يمنع من إثبات الحياة الحقيقية لهم.

وأما الإدراكات - كالعلم، والسمع - فلا شك أن ذلك ثابت، وسنذكر ثبوته لسائر الموتى، فكيف بالأنبياء!!

ص: ٣٣٥

الفصل الثاني: في الشهداء

أجمع العلماء على إطلاق لفظ «الحياة» على الشهيد، كما نطق به القرآن، ولكن اختلفوا هل هي حياة حقيقية، أو مجازية؟ وعلى تقدير كونها حقيقية، هل هي الآن، أو يوم القيامة؟ وعلى تقدير كونها الآن، هل هي للروح، أو للجسد؟ فهذه أربعة أقوال، لا خامس لها. أضعفها قول من قال: إن المراد أنهم يصيرون أحياء يوم القيامة، وليس المراد أنهم أحياء الآن. وهذا قول باطل بوجوه:

منها: قوله تعالى: وَلَكِنْ لَّا تَشْعُرُونَ فهذا خطاب للمؤمنين بأنهم لا يشعرون بحياة من قُتِلَ في سبيل الله، وكلّ المؤمنين يشعرون ويعلمون بحياتهم يوم القيامة، وإنما الغريب الذي لا يُشْعَرُ به: حياتهم الآن. ومنها: قوله تعالى: وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ والمراد

ص: ٣٣٦

إخوانهم الذين في الدنيا، ولم يموتوا بعد.

ومنها: الأحاديث الصحيحة عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأَحَدٍ، جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خَضِرٍ تَرُدُّ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مِنْ ذَهَبٍ مَعْلُوقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طَيْبَ مَا كُلُّهُمْ وَمَشْرَبُهُمْ وَمَقِيلُهُمْ قَالُوا: مَنْ يَبْلُغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَا أَحْيَاءُ فِي الْجَنَّةِ نَرْزُقُ؛ لئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكَلُوا عَنِ الْحَرْبِ. فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَبْلَغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ وَلَمَّا تَحَسَّبَ بَيْنَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا...» الآية، رواه أبو داود، وأخرجه الحاكم في صحيحه «(١)».

وفي «صحيح مسلم» «(٢)» عن مسروق قال: سألتنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية وَلَمَّا تَحَسَّبَ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ؟

فقال: أما أنا قد سألتنا عن ذلك فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً فقال: هل تشتهون شيئاً؟

قالوا: أى شىء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث نشاء!!

فيقول ذلك لهم ثلاث مرّات.

فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرّة أخرى. فلما رأى أن ليست لهم حاجة تركوا».

١- سنن أبي داود ١/٥٦٦. والمستدرک علی الصحیحین للحاکم ٢/٨٨ و ٢/٢٩٧ وأورده البيهقي في السنن الكبرى ٩/١٦٣.

٢- صحيح مسلم ٦/٣٨ كتاب الإمارة، باب في بيان أن أرواح الشهداء في الجنة.

ص: ٣٣٧

وهذان الحديثان صريحان في أن ذلك حصل فيما مضى.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لقيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «يا جابر، ما لى أراك منكسأ؟».

قلت: يا رسول الله، استشهد أبى قبل يوم احد، وترك عيالاً، وعليه دين.

قال: «أفلا ابشرك بما لقي الله عزوجل به أباك؟».

قلت: بلى يا رسول الله.

قال: «إن الله ما كلم أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك وكلمه كفاحاً، فقال له: يا عبدى، تمنى على أعطك.

فقال: يا رب، تحيينى فاقتل فيك مرة ثانية.

قال الرب عزوجل: قد سبق منى أنهم لا يرجعون».

قال: وانزلت هذه الآية: وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا رواه الترمذى وقال: حسن غريب من هذا الوجه «(١)».

وقوله: «أحيا أباك» يقتضى تجدد حياة، والروح باقية لم تمت، فإما أن يحمل على الجسد، وإما على أن مفارقتها الجسد حياة لها.

ومنها: ما سنذكره في سائر الموتى؛ وأنهم منقسمون فى القبور إلى منعم ومعذب.

فثبت بهذه الوجوه أن الحياة حاصلة للشهيد الآن.

ولكن من الناس من قال: إنها حياة مجازية، ثم سلخوا فى وجه المجاز وجوهاً:

إما لأنهم فى حكم الله مستحقون للنعم فى الجنة.

أو لأن ثناءهم باقٍ.

أو غير ذلك من وجوه المجازات.

١- سنن الترمذى ٢٩٨/٤، ورواه ابن ماجه ٩٣٦/٢ ح ٢٨٠٠.

ص: ٣٣٨

وكلها ضعيفة؛ لأنها عدول عن الحقيقة إلى المجاز بغير دليل. فلم يبق إلا أنها حياة حقيقية الآن، وأن الشهداء أحياء حقيقة، وهو قول جمهور العلماء.

حياة الشهداء: للروح أو للجسد؟

لكن هل ذلك للروح فقط، أو للجسد معها؟ فيه قولان:

أحدهما: للروح فقط؛ لما ذكرناه من حديث ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما وأن الروح فى أجواف طير خضر، وحياة الجسد إنما تكون بعود الروح إليه.

والثانى: للجسد معها.

وسنذكر مثل ذلك فى سائر الموتى وإثبات حياتهم فى قبورهم؛ وأن عذاب القبر ونعيمه للجسد والروح جميعاً، وإذا كان نعيم غير الشهيد كذلك فنعيم الشهيد أتم وأولى وأكمل.

وذكر القرطبي: أن أجساد الشهداء لا تبلى، وقد صح عن جابر أن أباه وعمرو بن الجموح رضى الله عنهم - وهما ممن استشهد باحد، ودفنا فى قبر واحد - حفر السيل قبرهما، فوجدا لم يتغيرا، وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك، فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت، فرجعت كما كانت، وكان بين ذلك وبين احد ست وأربعون سنة (١).

١- ذكر المؤرخ المتتبع عاتق بن غيث البلادى - مؤرخ مكة المكرمة وجغرافيتها اليوم - أنه لما حُفرت منطقة الشهداء فى مكة لتأسيس بعض المباني، عُثر على قبر فيه جسد طرى، ويد المدفون على صدره، فلما أزيحت اليد عن الصدر انبعث الدم، وكلما اعيدت إلى موضعها انقطع الدم، فتركوا الجسد فى الموضع، وعُقى عليه. وهذا الموضع هو المعروف باسم «فخ» الذى كانت فيه معركة بين جماعة من أهل البيت، والامويين عام ١٣١ للهجرة. وكتب السيد

ص: ٣٣٩

ولمّا أجرى معاوية رضى الله عنه العين التى استنبطها بالمدينة، وذلك بعد احد بنحو من خمسين سنة، ونقل الموتى، أصابت المسحاة قدم حمزة رضى الله عنه فسال منه الدم.
ووجد عبدالله بن حرام كائما دفن بالأمس.

وروى كافه أهل المدينة أنّ جدار قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمّا انهدم أيام الوليد، بدت لهم قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه وكان قتل شهيداً.

ولا حاجة إلى الإكثار من ذلك؛ فقد صحّ أنّ الأنبياء لا تأكل الأرض أجسادهم، وورد مثله فى الشهداء.
ويعنى بالشهيد من قاتل لتكون كلمه الله هى العليا.

فلا- يرد علينا: أنّا قد نرى من يقاتل وتأكله الأرض لكن بقاء الجسد لا يدلّ على حياته والكلام هنا إنّما هو فى الحياة، وقد صحّ فى الشهداء أنّهم يقولون: نريد أن تردّ أرواحنا إلى أجسادنا، وهذا يردّ قول من يقول: إنّ جسد الشهيد حىّ بروحه، كما كان فى الدنيا.
اللهمّ إلّا أن يقال: إنّ حىّ بغير تلك الروح، نوعاً من الحياة مخالفاً للحياة الدنيوية.

وقد جاء فى أرواح الشهداء: «أنّها فى أجواف طير تسرح فى الجنّة حيث شاءت، ثمّ تأوى إلى قناديل من تحت العرش».
فمن العلماء من قال: أرواح الشهداء فى أجواف طير فى الجنّة، وأرواح غيرهم من المؤمنين فى قبورهم، وممّن ذكر ذلك القرطبيّ فى «التذكرة».

ومنهم من طعن فى الحديث وقال: إنّ لم يصحّ كونها فى حواصل طير، وزعم أنّها بذلك تكون محبوسه، نقل ذلك عن أبى الحسن القالىّ وغيره من المالكيّة.

وهو مردود؛ لأنّ الحديث صحيح.

ومنهم من أوّل «فى» بمعنى «على».

ص: ٣٤٠

ومنهم من قال: إنها ليست في طير، ولكنها نفس الطير؛ لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما نسمة المؤمن طائر تعلق». ومنهم من يقول: أرواح الشهداء مختلفة: منها: ما هو طائر تعلق من شجر الجنة. ومنها: ما هو في حواصل طير خضر. ومنها: ما تأوى إلى قناديل تحت العرش. ومنها: ما هو في حواصل طير بيض. ومنها: ما هو في حواصل طير كالزراير. ومنها: ما هو في أشخاص وصور منصور الجنة. ومنها: ما هو في صور تخلق لهم من ثواب أعمالهم. ومنها ما يسرح ويردد إلى جنتها يزورها. ومنها: ما يتلقى أرواح الموتى. وممن سوى ذلك ما هو في كفالة ميكائيل عليه السلام. ومنها: ما هو في كفالة آدم عليه السلام. ومنها: ما هو في كفالة إبراهيم عليه الصلاة والسلام. قال القرطبي رحمه الله تعالى: وهذا قول حسن، فإنه يجمع الأخبار حتى لا تدافع، والله تعالى أعلم.

الفصل الثالث: في سائر الموتى في السماع والكلام والإدراك والحيأة وعود الروح إلى الجسد

أما السماع والكلام:

فرواهما البخاري رحمه الله:

أنا بجمع «صحيح البخاري» أبو الحسن علي بن محمد بن هارون بقراءتي عليه غير مرة بالقاهرة، وفاطمة بنت البطائح بقراءتي عليها بسفح قاسيون ظاهر دمشق، وأبو العباس أحمد بن أبي طالب، ووزيرة بنت عمر بن أسعد برميا قراءة عليهما وأنا أسمع وآخرون. قال الأربعة المذكورون: أنا الحسين بن المبارك بن يحيى بن الزبيدي - قال الأول: وأنا حاضر، وقال الثلاثة: ونحن نسمع - قال أنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى قراءة عليه وأنا أسمع، أنا جمال الإسلام أبو الحسن عبدالرحمان بن محمد بن المظفر الداودي، أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد بن حمويه، أنا أبو عبدالله محمد بن يوسف بن مطر الفربري، ثنا الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، قال ثنا عياش، ثنا عبد الأعلى، ثنا سعيد.

ص: ٣٤٢

وبه قال: وقال لى خليفة: ثنا ابن زريع، ثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «العبد إذا وضع فى قبره وتولى وذهب عنه أصحابه - حتى أنه يسمع قرع نعالهم - أتاه ملكان فأفعداه، فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله.

فيقال: انظر إلى مقعدك من النار، أبدلك الله به مقعداً من الجنة.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فرآهما جميعاً.

وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدري كيف؟ أقول ما يقول الناس.

فيقال: لا دريت، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين اذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين» (١).

وروى مسلم رحمه الله من حديث أسماء قريباً منه، وفيه: «وأما المنافق أو المرتاب». قال الراوى: لا أدري أى ذلك قالت أسماء (٢).

وفى الترمذى: أن الملكين يقولان للمؤمن: «نم كنومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله إليه» (٣).

وبالإسناد إلى البخارى قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الله، ثنا الليث، عن سعيد المقبرى، عن أبيه: أنه سمع أبا سعيد الخدرى يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانتصالحة قالت: قدّمونى،

١- صحيح البخارى ٥٦٧/٢ باب ٨٥٢ الميت يسمع خفق النعل ح ١٢٤٨.

٢- صحيح مسلم ٣/٣٢، ولاحظ صحيح البخارى ١/٢٩ و ٣٠ و ٥٤ و ٢٢١ و ٢/٢٨ و ٨/١٤١. ومسند أحمد ٦/٣٤٥، والسنن الكبرى للبيهقى ٣/٣٣٨، ولاحظ كنز العمال ١٥/٦٣٣.

٣- سنن الترمذى ٢/٢٦٧.

ص: ٣٤٣

وإن كانت غير صالحه: قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟! يسمعونها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه صعق». وبالإسناد إلى البخارى قال: ثنا عبد الله بن يوسف، ثنا الليث بن سعد...

فذكر بمثله، وقال: «قالت لأهلها: يا ويلها» وقال: «ولو سمع الإنسان لصعق» (١).

فانظر هذه الأحاديث الصحيحة التى لا مريه فيها، وتأكيد الكلام بما لا يحتمل المجاز؛ وهو قول: «يسمعونها كل شيء إلا الإنسان» ولولا هذا لأمكن أن يحمل على القول بلسان الحال، لكن بعد هذا لا يسوغ هذا الحمل.

وأيضاً فإن لسان الحال معلوم عند الإنسان، فلا شك فى حصول كلام حقيقى، هذا ونحن نشاهد على أعناق الرجال ميتاً.

ومن الأحاديث الصحيحة المتفق عليها، نداؤه صلى الله عليه وآله وسلم أهل البئر، وقوله: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم» (٢).

وأما الإدراك: فيدل له مع ذلك الأحاديث الواردة فى عذاب القبر، وهى أحاديث صحيحة متفق عليها، رواها البخارى ومسلم وغيرهما، وأجمع عليها وعلى مدلولها أهل السنه، والأحاديث فى ذلك متواترة.

ومن أحسنها ما رواه أبو داود الطيالسى، أنا أبو العباس أحمد بن محمد الدشتى بقراءتى عليه بالشام فى سنه سبع وسبعمائه قال: أنا الحافظ ابن خليل، أنا اللبان، أنا الحداد، أنا أبو نعيم، أنا ابن فارس، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود

١- صحيح البخارى ٨٨ / ٢.

٢- حديث القلب، صحيح البخارى ١٠١ / ٢ ولاحظ كتاب الجنائز باب ٨٧١ ما جاء فى عذاب القبر ح ١٢٧٨، ولاحظ ٩ / ٥ وصحيح مسلم ٤٤ / ٣ ومستدرک الحاكم ٢٢٤ / ٣ ومسنده أحمد ١٣١ / ٢ و ٢٧٦ / ٦.

ص: ٣٤٤

الطيالسى، ثنا الأسود بن شيبان، عن بحر بن مزار [\(١\)](#) عن أبى بكره قال: بينما أنا أمشى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعى رجل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمشى بيننا، إذ أتى على قبرين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إتصاحبى هذين القبرين ليعذبان الآن فى قبورهما، فأيتكما يأتينى من هذا النخل بعسيب؟».

فاستبقت أنا وصاحبى فسبقته، وكسرت من النخل عسيباً، فأتيت به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فشقه نصفين من أعلاه، فوضع على أحدهما نصفاً، وعلى الآخر نصفاً وقال: «إنه يهون عليهما ما دام فيهما من بلوتهما شىء، إنهما يعذبان فى الغيبة والبول» [\(٢\)](#).

قال الطيالسى: وروى هذا الحديث مسلم بن إبراهيم، عن الأسود، عن مجزأة، عن عبدالرحمان بن أبى بكره.

هكذا نقلته من مسند أبى داود الطيالسى [\(٣\)](#) التى هى أصل سماعى، وهى بخط ابن خليل، وأصل الحديث ثابت فى «الصحيحين» [\(٤\)](#).

وفى هذه الرواية النص على أن العذاب الآن، وأنه فى القبور.

وخرج البخارى ومسلم عن البراء بن عازب: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فذلك قوله تعالى: يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ» [\(٥\)](#).

١- فى ه: البكرائى.

٢- البخارى، مسلم.

٣- مسند الطيالسى

٤- صحيح البخارى ١/ ٦١ و ٢/ ٩٩ و ٢/ ١٠٣ باب عذاب القبر من الغيبة والبول و ٧/ ٨٦ صحيح مسلم ١/ ١٦٦، مسند أحمد ١/ ٢٢٥ و ٥/ ٣٥ و ٣٩ و ٢٦٦، وسنن الدارقطنى ١/ ١٨٨، وسنن ابن ماجه ١/ ١٢٥ والسنن الكبرى للبيهقى ٢/ ٤١٢.

٥- فى ه: البكرائى.

ص: ٣٤٥

وقد ورد عن البراء بن عازب حديث طويل جامع لأحكام الموتى، وفيه التصريح بعود الروح إلى الجسد: أنا به الدشتى، أنا ابن خليل، أنا اللبان، أنا الحداد، أنا أبو نعيم، أنا ابن فارس، ثنا يونس، ثنا أبو داود الطيالسى قال: ثنا أبو عوانة، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب رضى الله عنهما.

قال أبو داود: حدّثناه عمرو بن ثابت سمعه من المنهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب، وحديث أبي عوانة أتمهما. قال البراء: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤسنا الطير.

قال عمرو بن ثابت: «وَقَعَ» ولم يقله أبو عوانة.

فجعل يرفع بصره وينظر إلى السماء، ويخفض بصره وينظر إلى الأرض، ثم قال: «أعوذ بالله من عذاب القبر» قالها مراراً. ثم قال: «إنَّ العبد المؤمن إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطع من الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه، وتسيل كما يسيل قطر السماء».

قال عمرو فى حديثه ولم يقله أبو عوانة: «وإن كنتم ترون غير ذلك، وتنزل ملائكة من الجنة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها، فيجلسون منه مدّ البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفه عين، فذلك قوله عزّ وجلّ: تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَآيُفْرَطُونَ».

ص: ٣٤٦

قال: «فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج بها الملائكة، فلا يأتون على جند بين السماء والأرض إلّا قالوا: ما هذه الروح؟ فيقال: فلان؛ بأحسن أسمائه، حتّى ينتهوا به إلى باب سماء الدنيا فتفتح له، ويشيعه من كلّ سماء مقربوها، حتّى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول: اكتبوا كتابه فى عليين: وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلِيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ» فيكتب كتابه فى عليين. ثمّ يقال: ردّوه إلى الأرض، فإنّى وعدتّهم أنّى منها خلقناهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة اخرى. فتردّ إلى الأرض، وتعاد روحه فى جسده.

فيأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربّك، وما دينك؟

فيقول: ربّى الله، ودينى الإسلام.

فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟

فيقول: هو رسول الله.

فيقولون: وما يدريك؟

فيقول: جاءنا بالبينات من ربّنا فأمنت به وصدّقته.

قال: «وذلك قوله عزّ وجلّ: يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ».

قال: «وينادى منادٍ من السماء: قد صدق عبدى، فألبسوه من الجنة، وأفرشوه منها، وأروه منزله منها.

فيلبس من الجنة، ويفرش منها، ويرى منزله منها، ويفسح له مدّ بصره،

ص: ٣٤٧

ويمثل له عمله فيصوره رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب فيقول:

أبشر بما أعدَّ الله عزَّ وجلَّ لك، أبشر برضوان من الله، وجنَّات فيها نعيم مقيم.

فيقول: بشرك الله بخير، من أنت، فوجهك الوجه الذى جاءنا بخير؟

فيقول: هذا يومك الذى كنت توعده، والأمر الذى كنت توعده، وأنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعاً فى طاعة الله،

بطيئاً عن معصية الله، فجزاك الله خيراً.

فيقول: يا ربِّ أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى».

قال: وإن كان فاجراً فكان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا، جاءه ملك فجلس عند رأسه فقال: اخرجى أيتها النفس الخبيثة، أبشر

بسخط الله وغضبه، فتنزل ملائكة سود الوجوه معهم مسح، فإذا قبضها الملك قاموا فلم يدعوا فى يده طرفه عين».

قال: «فتفرق فى جسده، فيستخرجها تقطع معها العروق والعصب، كالسفود الكبير الشعب فى الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك،

فتخرج كأنتن ريح وجدت، فلا تمرَّ على جند فيما بين السماء والأرض إلأقالوا: ما هذه الروح الخبيثة؟

فيقولون: هذا فلان؛ بأسوء أسمائه، حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا فلا يفتح له.

فيقول: ردَّوه إلى الأرض إننى وعدتهم أنى منها خلقناهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة اخرى.

قال: «فيرمى به من السماء» قال: فتلا هذه الآية: وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ... الآية.

قال: «ويعاد إلى الأرض، وتعاد فيه روحه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان: من ربك، وما دينك؟

فيقول: لا أدرى.

ص: ٣٤٨

فيقولان: فما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟

فلا يهتدى لاسمه فيقول: لا أدرى، سمعت الناس يقولون ذلك».

قال: «فيقال: لا- دريت، فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله فيصوره رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب من الله وسخطه.

فيقول: من أنت، فوجهك الوجه الذى جاء بالشر؟

فيقول: أنا عملك الخبيث، والله ما علمتك إلا كنت بطيئاً عن طاعة الله، سريعاً إلى معصية الله».

قال عمر فى حديثه عن المنهال، عن زاذان، عن البراء، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فيقيض له ملك أصم أبكم معه مرزبه، لو ضرب بها جبل صار تراباً» أو قال:

«ريمياً» فيضربه بها ضربه يسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم تعاد فيه الروح، فيضربه ضربه أخرى».

وهذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة فى مسانيدهم، منهم الإمام أحمد [\(١\)](#)، وعبد بن حميد [\(٢\)](#)، وعلي بن معبد فى الطاعة والمعصية وغيرهم، ورجال إسناده كلهم ثقات.

وتكلم فيه ابن حزم من جهة المنهال بن عمرو.

وهذا الكلام ليس بشيء؛ لأن المنهال بن عمرو روى له البخارى، ووثقه غير واحد، منهم يحيى بن معين.

والكلام الذى فيه من جهة أن شعبة تركه، وقد قال عبدالرحمان بن مهدى:

إن سبب ترك شعبة له؛ أنه سمع من داره صوت قراءة بالتطريب، وإذا عرف هذا

١- مسند أحمد ٢٩٦/٤ ونحوه فى سنن أبى داود ٢/٤٢٥.

٢- مسند الكسى عبد بن حميد.

ص: ٣٤٩

السبب لم يضرّ ترك شعبه إياه؛ لأنّ جماعة من العلماء قالوا بإباحة ذلك، وما كان مختلفاً فيه من هذا الجنس فلا تردّ الرواية به، ولا الشهادة، ولا سيّما ولم يعلم أنّ ذلك الصوت منه، فقد يكون فى داره من غيره، ولا علم له به.

وبالجملة: فهذا كلام لا وجه له، ولا شكّ فى ثقة المنهال بن عمرو، وأنّه ممن يحتجّ بحديثه، ولا معنى لإنكار عود الروح وتضعيفه بالمنهال بن عمرو، مع دلالة بقيّة الأحاديث المتفق عليها على السماع، والكلام، والقعود، وغيرها ممّا يستلزم الحياة وعود الروح.

وقد روى البغوىّ فى «شرح السنّة» (١) عن أبى هريرة عن النّبىّ صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنّ الميت يسمع حسّ النعال إذا ولّى عنه الناس مدبرين، ثمّ يجلس ويوضع كفنه فى عنقه، ثمّ يسأل». وقد أجمع أهل السنّة على إثبات الحياة فى القبور، قال إمام الحرمين فى «الشامل» (٢): «اتفق سلف الامة على إثبات عذاب القبر، وإحياء الموتى فى قبورهم، وردّ الأرواح فى أجسادهم.

وقال الفقيه أبو بكر بن العربىّ فى «الأمد الأقصى فى تفسير أسماء الله الحسنى»: «إنّ إحياء المكلفين فى القبر وسؤالهم جميعاً، لا خلاف فيه بين أهل السنّة.

وقال سيف الدين الآمدىّ فى كتاب «أبكار الأفكار» (٣): «اتفق سلف الامة قبل ظهور المخالف، وأكثرهم بعد ظهوره، على إثبات إحياء الموتى فى قبورهم، ومساءلة الملكين لهم، وإثبات عذاب القبر للمجرمين والكافرين، وقوله تعالى: وَأُحْيِيَّتِنَا ائْتِنِينَ اى حياة المساءلة فى القبر، وحياة الحشر، لأنهما حياتان عرفوا

١- شرح السنّة للبغوى.

٢- الشامل للجوينى.

٣- أبكار الأفكار للآمدى.

ص: ٣٥٠

اللَّهِ بهما، والحياة الاولى فى الدنيا لم يعرفوا الله بها.

وقال القرطبي: إن الإيمان به مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أهل الملّة، ولم يفهم الصحابة الذين نزل القرآن بلسانهم ولغتهم من نبيهم عليه السلام غير ذلك، وكذلك التابعون بعدهم، وذهب بعض المعتزلة إلى موافقة أهل السنة على ذلك.

وذهب صالح قبة والصالحي وابن جرير؛ إلى أن الثواب والعقاب ينال الميت من غير حياة، وهذا مكابرة للعقول.

وذهبت طائفة إلى أن الميت يألم كما يألم السكران، فإذا حشر وجد ذلك الألم، كما يجد السكران الألم إذا عاد العقل إليه، وهذا المذهب تخليط لا حاصل له.

وذهب ضرار بن عمرو وبشر المريسي ويحيى بن كامل وغيرهم من المعتزلة؛ إلى أن [من] مات فهو ميت فى قبره إلى يوم البعث.

ومنهم من اعترف بعذاب القبر، وأنه يكون بين النفختين.

وكلا الأمرين مخالف لما تظافرت به الأحاديث.

وطعن بعض الملحدة: بأننا نرى المصلوب لا يظهر عليه شيء من ذلك، ومن افترسه السبع وتفرقت أجزاؤه، كيف يقال بذلك فيه؟!

وللأئمة رضى الله عنهم طرق فى الأجوبة عن ذلك:

منها: أنه لا يبعد أن تكون المساءلة على أجزاء مخصوصة من الجسد، كأجزاء القلب ونحوها، فيردّ الله الروح إليها ويسائلها.

ومنها: أنه لا يبعد أن يردّ الروح إلى المصلوب من حيث لا نشعر، ونحن نحسبه ميتاً، كما نحسب صاحب السكنة ميتاً، وأما من تفرقت

أجزاؤه فيردّ الله الروح إلى كلّ جزء، ويسائله الملكان.

ومنها: أن الذين فى القبور يجلسون ويسألون، والذين بقوا على وجه الأرض من الموتى، يحجب الله المكلفين عمّا يجرى عليهم، كما

حجبهم عن رؤية الملائكة مع

ص: ٣٥١

رؤية النبيين لهم صلوات الله عليهم.
ومما تعلقوا به قوله تعالى: إِنَّكَ لَأَتَّسِمِعُ الْمَوْتَى.
وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ.
وإنكار عائشة رضي الله عنها سماع أهل القليب.
فأما قوله تعالى: إِنَّكَ لَأَتَّسِمِعُ الْمَوْتَى فنحن نقول به، وإنما نقول: يسمعون إذا ردت إليهم أرواحهم.
وأما قوله: وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ فمعناه: إذا كانوا موتى.
وأما عائشة رضي الله عنها فقد اعترفت بالعلم، وقالت: إنما قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق»، وإذا جاز العلم جاز السماع؛ لأنهما جميعاً مشروطان بالحياة على الجملة.
فهذه الامور ممكنة فى قدرة الله تعالى، وقد وردت بها الأخبار الصحيحة، فيجب التصديق بها، ويقطع بأن الحياة تعود إلى الميت.
وأما أنه هل يموت بعد ذلك موته ثانية؟
لم يرد فى الأحاديث تصريح بذلك، لكن فى كلام بعضهم ما يقتضيه، وحمل عليه قوله تعالى: رَبَّنَا أُمَّتِنَا اثْنَتَيْنِ عَلَى اخْتِلَافِ الْمَفْسَّرِينَ فِيهَا.
والقائلون بعذاب القبر يقولون باستمراره، وهكذا تقتضى الأحاديث الصحيحة، كما تقدّم: «هذا مقعدك حتى يبعثك الله» وقوله تعالى: يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا.
وقد صح فى مسلم عن زيد بن ثابت قال: بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى حائط لبني النجار على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر سته أو خمسة أو أربعة، فقال: «ومن يعرف أصحاب هذه القبور؟».
فقال رجل: أنا.

ص: ٣٥٢

فقال: «فمتى مات هؤلاء؟».

قالوا: ماتوا فى الإشراك.

فقال: «إن هذه الامة تبلى فى قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع» (١).

وهذا يدل على استمرار عذاب القبر.

وعن أنس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع صوتاً من قبر، فقالوا: دفن فى الجاهلية.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم عذاب القبر» (٢).

وأما قوله تعالى: مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا فهو يشعر بالحياة؛ لأن الرقاد للحى، وقد قيل فى تفسيره أقوال:

منها: أن العذاب يرفع عن أهل القبور بين النفخات، نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة النشر، فلا يعذب فى هذه الأوقات إلا من قتل نبياً، أو قتله نبى، أو قتل فى معترك نبى.

ومنها: أن العذاب ليس بدائم، بل بكرة وعشياً، ويفتر فيما بين ذلك، فتقوم الساعة فى ارتفاع النهار، فيصادف قيامها وقت الفترة. وقد تلخص من هذا: أن الروح تعاد إلى الجسد، ويحيا وقت المساء، وأنه ينعم أو يعذب من ذلك الوقت إلى يوم البعث؛ إما متقطعاً، أو مستمراً على ما سبق.

وهل ذلك من بعد وقت المساء إلى البعث للروح فقط، أو لها مع الجسم؟

١- أخرجه مسلم فى صحيحه ٨ / ١٦٠. ومسنده أحمد ٥ / ١٩٠.

٢- أخرجه مسلم فى صحيحه ٨ / ١٦٠ كتاب الجنّة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنّة ... وانظر سنن النسائي ٤ / ١٠٢ ومسنده أحمد ٣ / ١١١ و ١١٤.

ص: ٣٥٣

[يترتبان] (١) على أن الجسم هل يفنى، أو يتفرق، وكلا- الأمرين جائز عقلاً، وفى الواقع منه قولان للمتكلمين، ولم يرد فى الشرع ما يمكن التمسك به فى ذلك إلا قولهم صلى الله عليه وآله وسلم: «كلّ ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب».

فحيث يكون الجسم أو بعضه باقياً، فلا امتناع من قيام الحياة به، وحيث يعدم بالكلية يتعين القول بالروح فقط. على أنها- أيضاً- قد تعدم عند فناء العالم، ليكون المعاد وارداً عليها وعلى الجسم معاً.

وقد جاءت أحاديث تدلّ على أن بعض الموتى، يقيهم الله تعالى فتنة القبر، منهم الشهيد، ومن مات يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، وآخرون وردت بهم أحاديث، وهؤلاء إن خصّوا من المساءلة فالنعيم والحياة شاملان لهم.

وقد عرف بهذا: أن حياة جميع الموتى- بأرواحهم وأجسامهم فى قبورهم- لا شكّ فيها، واستمرار العقاب أو النعيم بعد المساءلة لا شكّ فيه أيضاً؛ لما سبق، وكون ذلك فيما بعد وقت المساءلة للروح فقط، أولها مع الجسم؟ ممّا يتوقف على السمع.

وقد ذكر سعيد بن السكن فى سننه، عن أبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«الميت إذا وضع فى قبره إنّه ليسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه...» وذكر حديثاً طويلاً، إلى أن قال: «يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً، وينور له فيه، ويعاد الجسد بما بدىء منه، وتجعل النسمة فى النسم الطيبة، فهو يطير ويعلق فى شجر الجنة».

وفى «المستدرک على الصحيحين» للحاكم فى فضائل عائشة رضی الله عنها

١- فى الأصل: يلتفت.

ص: ٣٥٤

قالت: كنت أدخل البيت الذى دفن فيه معهما عمر، والله ما دخلت إلّا وأنا مشدودة على ثيابي؛ حياءً من عمر [\(١\)](#).
قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

١- المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣ / ٦١ ومسند أحمد ٦ / ٢٠٢ وعنه فى مجمع الزوائد ٨ / ٢٦ و ٩ / ٣٧.

الفصل الرابع: فى عود الروح الى البدن

قد عرفت مقالات الناس فى سائر الموتى وفى الشهداء، وعرفت أنّ القول فيهم بعود الروح إلى الجسد، وبقائها فيه إلى يوم القيامة، بعيد مخالف للحديث الصحيح أنّها ترجع إلى جسده يوم القيامة.

وعرفت أنّ النعيم حاصل لأرواح السعداء من الشهداء وغيرهم، والعذاب حاصل للأشقياء.

فلعلك تقول: ما الفرق حينئذ بين الشهداء وغيرهم؟

والجواب عن هذا من وجهين:

أحدهما: أنّ إثبات الحياة للشهداء لا ينفى ثبوتها عن غيرهم، فالآيتان الكريمتان الواردتان بقوله تعالى: **وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَيْسَ فِيهِمَا نَفْسٌ هَذَا الْحَكْمُ عَنْ غَيْرِهِمْ، بَلِ الرَّدُّ عَلَى مَا يَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا كَذَلِكَ، وَنَصٌّ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْوَاقِعَةَ كَانَتْ فِيهِمْ.**

الثانى: أنّ أنواع الحياة متفاوتة: حياة للأشقياء معدّبين، أعادنا الله تعالى

ص: ٣٥٦

منها، وحياء بعض المؤمنين من المنعمين، وحياء الشهداء أكمل وأعلى، فهذا النوع من الحياء والرزق لا يحصل لمن ليس في ربتهم، وأما حياء الأنبياء فأعلى وأكمل وأتم من الجميع؛ لأنها للروح والجسد على الدوام على ما كان في الدنيا، على ما تقدم عن جماعة من العلماء.

ولو لم يثبت ذلك، فلا شك أن كمال حياتهم أيضاً أكبر من الشهداء وغيرهم؛ أما بالنسبة إلى الروح، فلكمال اتصالها ونعيمها وشهودها للحضرة الإلهية، وهي مع ذلك مقبلة على هذا العالم، ومتصرفه فيه، وأما بالنسبة إلى الجسد، فلما ثبت من الحديث وبالجملة: كل أحد يُعامل بعد موته كما كان يُعامل في حياته، ولهذا يجب الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته، كما كان في حياته.

وقد روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: لا ينبغي رفع الصوت على نبي حياً ولا ميتاً (١).

وروى عن عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تسمع صوت الوتد يوتد، والمسمار يضرب في بعض الدور المطيفة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فترسل إليهم: لا تؤذوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

قالوا: وما عمل علي بن أبي طالب رضي الله عنه مصراعى داره إلبالمناصع، توقياً لذلك، هكذا رواه الحسيني في «أخبار المدينة». وهذا مما يدل على أنهم كانوا يرون أنه حي.

وعن عروة قال: وقع رجل في علي عند عمر بن الخطاب، فقال له عمر بن الخطاب: قبحك الله، لقد آذيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قبره.

١- أخرجه

٢- أخرجه

ص: ٣٥٧

ومن نظر سير السلف الصالحين والصحابة والتابعين، علم أنّهم كانوا في غاية الأدب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته، كما كانوا في حياته، وكانوا مع قبره الشريف كذلك.

وكيف لا؟! وقد روى عن كعب الأحبار قال: ما من فجر يطلع إلّا أنزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يحقّوا بالقبر؛ يضربون بأجنحتهم، ويصلّون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفاً من الملائكة.

فلو لم يكن في الحضور عند القبر إلّا الدعاء بحضرة هؤلاء الملائكة، فكيف وفيه حضرة سيّد الخلق أجمعين!!

ولذلك كانت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يغضّون أصواتهم في مسجده صلى الله عليه وآله وسلم تعظيماً له.

ففي البخاري: عن عمر بن الخطاب رضی الله عنه أنّه قال لرجلين من أهل الطائف: لو كنتم من أهل البلد لأوجعتكما؛ ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «(١)».

ولو جمعنا الأحاديث الصحيحة التي فيها ما كانت الصحابة عليه من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيم آثاره، وأدبهم معه، ل جاءت مجلّدات.

بل الملائكة أيضاً كانوا يسلكون كمال الأدب معه.

كما روى أبو بكر بن أبي شيبة في مصنّفه «(٢)»: ثنا ابن فضيل، عن عطاء بن السائب، عن محارب، عن ابن بريده قال: وردنا المدينة، فأتينا عبد الله بن عمر فقال: كُنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه رجل جيّد الثياب، طيّب الريح، حسن الوجه فقال: «السلام عليك يا رسول الله».

١- صحيح البخاري ١/ ٢٦٢ باب ٣٢٤ رفع الصوت في المسجد.

٢- المصنّف لابن أبي شيبة.

ص: ٣٥٨

فقال: «وعليك».

فقال: «يا رسول الله، أدنو منك؟».

قال: «ادنه» فدنا دنوة.

فقلنا: ما رأينا كاليوم قط رجلاً أحسن ثوباً ولا أطيب ريحاً ولا أحسن وجهاً ولا أشد توقيراً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال: «يا رسول الله، أدنو منك؟».

قال: «نعم». فدنا دنوة، فقلنا مثل مقالتنا.

ثم قال له في الثالثة: «أدنو منك يا رسول الله؟».

قال: «نعم» وذكر حديث جبرئيل، وسؤاله عن الإسلام.

فانظر تعظيم جبرئيل، وأدبه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك ملك الموت، وغير ذلك من الأحاديث التي لا تحصر، والكتاب العزيز، وإجماع المسلمين.

ولا شك أن من قال: «لا يُزارُ، ولا يسافر لزيارته، أو لا يستغاث به».

بعيد من الأدب معه، نسأل الله تعالى العافية.

وقد روى القاضي إسماعيل في «أحكام القرآن» عن محمد بن عبيد، ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: أن رجلاً قال: لو قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتزوجت فلانة، فأنزل الله تعالى: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ﴿١﴾.

قال معمر: وبلغني أن طلحة قال: لو قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتزوجت عائشة.

فانظر محافظة القرآن العزيز على حفظه، وصونه عمياً يؤذيه في حياته وبعد مماته، وهذا معلوم من الدين بالضرورة، وإشعار الآية الكريمة بأن نكاحهن بعد

ص: ٣٥٩

الموت يؤذيه، فيقتضى أنه يتأذى بعد الموت.

فينبغى للمحترز على دينه أن يسلك كمال الأدب ويتحفّظ غاية التحفّظ؛ لئلا يزلّ وهو لا يشعر فيما يؤذيه، فيخسر الدنيا والآخرة. نسأل الله تعالى أن يعصمنا فى ديننا، ويسترنا فيما بقى من أعمارنا، ويجعل ما نقوله حجّة لنا لا علينا، ونوراً يسعى بين أيدينا، وأن يحشرنا فى زمرة هذا النبيصلى الله عليه وآله وسلم وتحت لوائه، ويوردنا حوضه، ويرزقنا شفاعته ورضاه عنّا، ويجعلنا من المتبعين لسنته، السالكين بهديه بمنّه وكرمه، آمين.

الفصل الخامس: إن هذه الأعراض مشروطة بالحياة، فكيف تحصل بعد الموت؟!

كان المقصود بهذا كله تحقيق السماع ونحوه من الأعراض بعد الموت، فإنه قد يقال: إن هذه الأعراض مشروطة بالحياة، فكيف تحصل بعد الموت؟!

وهذا خيال ضعيف؛ لأننا لا ندعى أن الموصوف بالموت موصوف بالسماع، وإنما ندعى أن السماع بعد الموت حاصل لحي، وهو إما الروح وحدها حالة كون الجسد ميتاً، أو متصله بالبدن حالة عود الحياة إليه.

والإنسان فيه أمران «(١)»: جسد، ونفس، فالجسد إذا مات ولم تعد إليه الحياة، لا نقول بقيام شيء - من الأعراض المشروطة بالحياة - به، وإن عادت الحياة إليه صح اتصافه بالسماع وغيره من الأعراض، والنفس باقية بعد موت البدن، عالمه،

١- قال السبكي: للسيد الصفوي هنا تحقيق في مسألة المعاد فليراجع، وعبارته: الإنسان هو مجموع الجسد، والروح، وما فيه من المعاني، فإن الجسد الفارغ من الروح والمعاني يسمى «شبحاً» و«جثة» لا إنساناً، وكذا الروح المجرد لا يسمى «إنساناً» وكذا المعاني المحققة لا تسمى على الانفراد «إنساناً» لا عرفاً، ولا عقلاً، انتهى من الاصول المنقول عنها.

ص: ٣٦١

باتفاق المسلمين، حتى أن عائشة رضي الله تعالى عنها لما أنكرت سماع أهل القليب، وافقت على العلم وقالت: إنما قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق».

بل غير المسلمين من الفلاسفة وغيرهم ممن يقول ببقاء النفوس، يقولون بالعلم بعد الموت، ولم يخالف في بقاء النفوس إلا من لا يعتد به.

وليس مرادنا أنها واجبة البقاء، كما قال به بعض أهل الزيغ والإلحاد، ولا أنها تبقى دائماً وإن كانت ممكنة، فإنه قد يفنيها الله تعالى عند فناء العالم، ثم يعيدها، إنما المراد أنها تبقى بعد موت البدن، ثم بعد ذلك إن فئت اعيدت مع البدن يوم القيامة، وإن لم تفن اعيد البدن ورجعت.

وما دامت باقية تدرك المعقولات بلا إشكال.

وأما إدراكها للمحسوسات كالسمع وغيره، ففي حال تعلقها بالبدن اختلف المتكلمون هل هي المدركة فقط - والحواس بمنزلة الطاقات - أو الحواس تدرك، ثم تنقل إليها؟ كالحجاب يسمعون، ثم ينقلون إلى الملك؟

وعلى كل من القولين، هي مدركة للمسموع، ولم يقد دليل على أن اتصالها بالبدن شرط في هذا الإدراك، بل الظاهر أنه ليس بشرط، كما أنه ليس بشرط في العلم بالمعقولات، ونحن يكفينا بيان إمكان ذلك عقلاً، فإذا ورد به سمع أتبع.

ولسنا في مقام إثباته بمجرد العقل، بل في مقام عدم استحالته؛ وأنه ليس الأمر على ما توهمه السائل.

وما ذكره من مشروطيته السمع بالحياة صحيح، والحياة تتصف الروح بها، وبيان ذلك يحوج إلى الكلام في حقيقة النفس.

وقد أكثر الناس الكلام فيها والتصانيف، وتباينت فيها أقوال الناس، هل هي جسم، أو عرض، أو مجموعهما، أو جوهر فرد متحيز، أو جوهر مجرد غير

ص: ٣٦٢

متحيز؟ ولا يمكن قول سادس، وإنما الكلام في تعيين واحد من الخمسة.

ومن الناس من توقف فيها، وهو أسلم، وحمل على ذلك قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَأَنْتَ لَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يَبَيِّنْهَا لَهُمْ. ومنهم من قال: إنها جسم، وهؤلاء تنوعوا أنواعاً، أمثلها قول من قال: إنها أجسام لطيفة مشتبكة بالأجسام الكثيفة، أجرى الله العادة بالحياة مع بقائها، وهو مذهب جمهور أهل السنة، وإلى ذلك يشير قول الأشعري، والباقلاني، وإمام الحرمين، وغيرهم، ويوافقهم قول كثير من قدماء الفلاسفة.

ومنهم من قال: إنها عرض خاص، ولم يعينه، قاله جماعة من المتكلمين، ونصره الهراسي من أصحابنا. ومنهم من عينه، وتنوعوا في ذلك أنواعاً.

ومنهم من قال: إنها جوهر فرد متحيز، نقل ذلك سيف الدين الآمدي عن الغزالي ومعمر وغيرهما من الإسلاميين القائلين: بأنها بسيطة. والقائلون بهذه الأقوال الثلاثة يقولون: إن قوله تعالى: قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي جواب؛ فإن أمر الرب هو الشرع والكتاب الذي جاء به، فمن دخل في الشرع وتفقه في الكتاب والسنة، عرف الروح، فكان معنى الكلام: ادخلوا في الدين تعرفوا ما سألتكم عنه. على أنه قد قيل: إنهم لم يسألوا عن الروح الإنساني، بل عن ملك من الملائكة، والأقوال في ذلك مذكورة في التفسير. وقيل: ليس سؤالاً عن حقيقتها، بل عن حدوثها، وأجابهم بما يدل على حدوثها؛ وأنها من فعل الله تعالى. وكل من قال: بأنها جسم، يجوز اتصافها بالحياة، وأما القول: بأنها عرض، فبعيد.

ص: ٣٦٣

ومن الناس من قال: الروح جوهر مجرد لا متحيز، ولا حال في متحيز، وهو مذهب حدّاق الفلاسفة، والذي يظهر أنّ هذا مذهب الغزالي أيضاً، وهكذا هو في «المضنون به على غير أهله الكبير» و «المضنون به على غير أهله الصغير» ولكنّ الآمدى نقل عنه ما ذكرت. و «المضنون الكبير» فيه أشياء من اعتقاد الفلاسفة خارجة عن اعتقاد المسلمين، ولذلك إن بعض الفضلاء كان ينكر نسبتة إلى الغزالي رحمه الله (١).

وهو في «الإحياء» في شرح عجائب القلب لم يفصح بذلك، وإنما قال: إنّها لطيفة ربّانية روحانية هي حقيقة الإنسان، وهي المدرك العالم العارف من الإنسان، وهي المخاطب المطالب، ولهذه اللطيفة علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحير أكثر العقول في إدراك وجه علاقته.

وقال: إنّ هذه اللطيفة الربّانية يطلق عليها «الروح» و «النفس» و «القلب» و «العقل» وهي غير الروح الجسماني، وغير النفس الشهوانية، وغير القلب الصنوبري، وغير العقل الذي هو العلوم، فالمعاني خمسة، والألفاظ أربعة، كلّ لفظ

١- وعلى ذكر هذا الكتاب، نورد هذه الظريفة التي سجّلناها من قبل:

قال الوهابي السلفي مشهور حسن في كتابه كتب حذر العلماء منها ١: ٤٥ ما نصّه: الصنعاني ت ١١٨٢ اصيب بالإسهال، وطلب له العلاج، فجيئ له بكتابين: الأول الإنسان الكامل للجيلي، والآخر المظنون به على أهله «كذا!» للغزالي.

قال الصنعاني: طالعت الكتابين فوجدت فيهما كفرة صريحاً! فأمرت بإحراقهما بالنار، وان يُطبخ على نارهما خبز لي! فأكل من ذلك الخبز بتيّة الشفاء! فما شكّا بعد ذلك مرضاً.

نقول: لم يفهم جرو السلفية المغمور أنّه دلّ بهذا على كفر الصنعاني الذي طلب الشفاء من غير الله! وإحراق الكتابين المشتملين على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأسماء الله والأنبياء!! وإن كان له في ذلك اسوة بسلفه!

ص: ٣٦٤

لمعنيين، هذا كلامه في «الإحياء» (١).

واتفق الأطباء على أن في بدن الإنسان ثلاثة أرواح:

روح طبيعي؛ وهو جسم لطيف معدنه الكبد، ثم ينبث في سائر البدن، ويحمل القوى الطبيعية.

وروح حيواني؛ وهو جسم لطيف معدنه القلب، ويثبث في سائر البدن، ويحمل قوة الحياة.

وروح نساني؛ وهو جسم لطيف معدنه الدماغ، وينبث في سائر البدن، وفعله الحس والحركة.

وهذه الأرواح تشترك فيها الحيوانات، ولم يتكلموا في النفس الناطقة الخاصة بالإنسان التي هي غرضنا هنا.

إذا عرف ذلك، فالفلاسفة القائلون في النفس الناطقة: إنها جوهر مجرد، فإنهم يقولون: إنه حي عالم متكلم سميع بصير قادر مرید،

ولكنه ممكن بإيجاد الله تعالى، حادث بعد العدم مخلوق.

وقد يطلقون «المخلوق» على ما له كمية يدخل بسببها تحت المساحة والتقدير، ويقولون: عالم الخلق ما كان كذلك، وعالم الأمر:

الموجودات الخارجة عن الحس والخيال والجهة والمكان والتحيز، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير؛ لانتفاء الكمية عنه.

والمنتصرون لهذا يجعلون قوله تعالى: قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي جواباً بأنها من عالم الأمر.

والمتكلمون من المسلمين لا يثبتون هذا الوصف إلا لله تعالى، ويقولون: كل

١- إحياء علوم الدين للغزالي ٣/ ٩ كتاب شرح عجائب القلب، باب بيان معنى الروح والنفس والقلب والعقل.

ص: ٣٦٥

ممکن فهو إما متحيز، وإما حال في المتحيز، والفلاسفة يثبتونه، وهو أشرف الممكنات عندهم؛ لأنه لا يحتاج إلّا إلى موجد فقط. ولكل من المتكلمين والفلاسفة على نفيه وإثباته أدلة ليست بالقويّة، والآية الكريمة ليس فيها دليل لهم، كما عرف في التفسير. وظواهر الشريعة تقتضى أن الروح متحيزة، فقد روى ابن ماجه بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يحضر الملائكة، فإذا كان الرجل صالحاً قالوا: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، كنت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب راضٍ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء، فتفتح لها، فيقال: من هذا؟

فيقولون: فلان بن فلان.

فيقال: مرحباً بالنفس المطمئنة، كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب راضٍ غير غضبان. فلا يزال يقال لها هذا حتى تنتهي» يعني إلى عليين (١).

ووردت أحاديث كثيرة بمعنى هذا، والقرآن يشهد له، قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً الْآيَةَ. وقال تعالى: لَأَنْتَفِخَ لَهُمُ أَبْوَابَ السَّمَاءِ جَاءَ أَنَّهَا الْأَنْفُسُ الْخَبِيثَةُ.

وقد يقال: إن الإشارة بذلك إلى الروح الحيوانية، ولعلّ الروح الحيوانية الموجودة في الإنسان يبقى بعد الموت، وينتقل إلى عليين أو سجين، والله سبحانه وتعالى أعلم.

١- أخرجه سنن النسائي ٨/٤. ومنسند أحمد ٢/٣٦٤ و ٦/١٤٠. وسنن ابن ماجه ٢/١٤٢٤ ح ٤٢٦٢. وانظر مجمع الزوائد ٢/٣٢٨.

الباب العاشر: فى الشفاعة

إشارة

ووجه ذكرها شرح متن الحديث الأول؛ وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» وختمنا بها الكتاب؛ لتكون هى خاتمة أمرنا إن شاء الله تعالى.

والقول الجملى فى الشفاعات الاخرية:

أنها خمسة أنواع، وكلها ثابتة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وبعضها لا يدنو أحد إليه سواه، وفى بعضها يشاركه غيره، ويكون هو المتقدم صلى الله عليه وآله وسلم فاختص صلى الله عليه وآله وسلم بعموم الشفاعة، وبعض أنواعها، وأما الباقي فيصح نسبه إليه؛ لمشاركته وتقدمه فيه.

فالشفاعات كلها راجعة إلى شفاعته، وهو صاحب الشفاعة بالإطلاق، فقله: «شفاعتى» يصح أن يكون إشارة إلى النوع المختص به، وإلى العموم، وإلى الجنس؛ لنسبة ذلك كله إليه، فهذه لطيفة يجب التنبه لها. وأما التفصيل:

فقال القاضى عياض «(١)» وغيره: الشفاعة خمسة أقسام:

١- الشفاء للقاضى عياض ١ / ٤٣١ باب ٣ فصل ١٠ تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود.

اولاها: هي الشفاعة العظمى، و لم ينكرها أحد

اولاها: مختصة بنبينا محمد صلى الله عليه و آله و سلم وهي الإراحة من طول الوقوف، وتعجيل الحساب. لا يدنو إليها غيره، وهي الشفاعة العظمى، ولم ينكرها أحد.

الثانية: الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

وهذه أيضاً وردت لنبينا صلى الله عليه و آله و سلم كما تبين في الأحاديث التي نذكرها إن شاء الله تعالى. قال ابن دقيق العيد: ولا أعلم الاختصاص فيها، أو عدم الاختصاص؟

قلت: ولفظ الحديث الذي يأتي: «فأقول: يا رب، امتي امتي، فيقال: يا محمّد، أدخل الجنة من امتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس في ما سوى ذلك من الأبواب» (١).

وحديث دخول قوم الجنة بغير حساب، رواه البخاري ومسلم من طرق عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في بعضها: «يدخل من امتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب».

فقال رجل: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم.

فقال: «اللهم أجعله منهم» والرجل عكاشة (٢).

وفي حديث آخر: قالوا: ومن هم، يا رسول الله؟

قال: «هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتنون، وعلى ربهم يتوكلون» (٣).

وفي حديث آخر: «عرضت على الامم، فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي

١- أخرجه البخاري ١٦/٧ و ٢٦ و ١٨٣ و ١٩٨ و مسلم ١/١٣٦-١٣٨.

٢- صحيح مسلم ١/١٣٦ كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب.

٣- صحيح مسلم نفس الموضع.

ص: ٣٧١

معه الرجل والرجلان، والنبى ليس معه أحد، ورفع لى سواد عظيم، وتمنيت أنهم امتى، فقيل لى: هذا موسى عليه السلام وقومه، ولكن انظر إلى الافق، فنظرت فإذا هو سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الافق الآخر، فنظرت فإذا سواد عظيم.

فقيل لى: هذه امتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» (١).

وفى حديث آخر: «وهؤلاء سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب» (٢).

وفى حديث آخر: «يدخل من امتى زمرة هم سبعون ألفاً، تُضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر» (٣).

وهذه الأحاديث كلها فى الصحيح.

وفى حديث آخر فى الصحيح: «لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم» (٤).

وهو إشارة إلى سعة باب الجنة، وسيأتى التصريح به.

وقوله: «أولهم» و «آخرهم»:

إما أن يراد به الدنيا؛ وأن المتقدم فى الزمان والمتأخر يدخلون دفعه واحدة.

وإما أن تكون كناية عن سرعة تعاقبهم؛ فإنهم يدخلون متماسكين، وإلا فيستحيل أن يكون لهم أول وآخر فى الدخول، ولا يدخل أولهم قبل

١- صحيح البخارى ٨ / ٤٩٥ كتاب الرقاق، باب ٨٢١ يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ح ١٤٠٦.

٢- صحيح البخارى ٧ / ١٩٩.

٣- صحيح البخارى ٧ / ١٩٩ و ٢٠١، صحيح البخارى ٨ / ٤٩٥ ح ١٤٠٧، ومسلم ١ / ١٢٢ و ١٣٦.

٤- صحيح مسلم ١ / ١٣٨ كتاب الايمان، باب الدليل على دخول طوائف

ص: ٣٧٢

آخرهم حقيقة.

إذا عرفت ذلك، فلا شك أن زمرة تدخل الجنة بغير حساب، وهم بالصفة المذكورة في الحديث، وقد دخل فيهم عكاشة رضى الله عنه بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والظاهر أن كل من حصلت له الصفة المذكورة في الحديث استحق هذا الجزاء، لكن دخولهم الجنة متوقف على شفاعته النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإذا شفع أذن الله له بإدخالهم من الباب الأيمن، كما هو ظاهر الحديث، فإنه جعل «كونهم لا حساب عليهم» وصفاً ثابتاً لهم.

ويحتمل أن ذلك الجزاء إنما يستحقونه بشرط الشفاعة وإن اشتملوا على الصفات المذكورة، لكن لم يدل دليل على هذا. وأعنى بالحديث المذكور قوله تعالى: «أدخل الجنة من لا حساب عليه».

وأما أن شخصاً لا يتصف بالصفة المذكورة في الحديث، ويكون ممن يستحق الحساب، فهل يشفع فيه حتى يدخل الجنة بغير حساب، أو لا؟

لفظ الحديث لا يدل على ذلك بنفى ولا إثبات.

وظاهر قوله: «سبعون ألفاً» أنهم لا يزيدون على ذلك، وأنهم كلهم بالصفة المذكورة.

وهل من الامم السابقة من غير الأنبياء من يدخل الجنة بغير حساب؟

لم يرد فيه شيء بنفى ولا إثبات.

وقال أبو طالب عقيل بن عطية رحمه الله: الظاهر أن فيهم من هو كذلك.

قلت: وعلى كل من التقادير المفروضة، فالخصوصية ثابتة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في إدخال أول زمرة من أمته الجنة بشفاعته؛ فإن شفاعته المذكورة تكون في أول مقام الشفاعة قبل أن تجعل الشفاعة لغيره، ويترتب عليها الإذن في إدخال الزمرة المذكورة، وهي أول من يدخل الجنة كما سيأتي.

ص: ٣٧٣

وهذا المعنى لا يشاركه أحد فيه؛ سواء كان في الامم المتقدمه من يدخل بغير حساب، ويحتاج إلى شفاعة نبيه، أو لا. وحينئذ تكون العبارة المحرّرة عن هذه الشفاعة: أنّها شفاعة في استفتاح الجنّة، وإدخال أوّل زمرة تدخلها. وهي في الرتبة الثانية من الشفاعة العظمى التي لفصل القضاء والإراحة من طول الوقوف في ذلك المكان. وعبارة القاضي عياض ومن تابعه، تقتضى إثبات شفاعته في إسقاط الحساب، وهو من الامور الجائزة عقلاً، فإن ورد به سمع أتبع. والقاضي عياض وغيره لما ذكروا ذلك، أشاروا إلى الحديث المذكور، وقد بيّنا ما يقتضيه، وسنذكر في بعض أحاديث الشفاعة سؤال المؤمنين لآدم عليه السلام في استفتاح الجنّة، وتكلم على كون السؤال مرّتين أو مرّة. وعلى كلّ تقدير، فالشفاعة في استفتاح الجنّة، متأخرة الرتبة عن الشفاعة في فصل القضاء، فيصلح عدّه شفاعة ثانية، وكلاهما خاصّ بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم بغير شكّ.

ومن تأمل الأحاديث التي سنذكرها عرف: أنّ أوّل فصل القضاء تميّز الامم، والأمر بأن تتبع كلّ امّة ما كانت تعبد، إلى أن لا يبقى إلّا المؤمنون، فيدخلون الجنّة زمراً، وجميع ذلك - والله أعلم - يعطاه النبى صلى الله عليه وآله وسلم في أوّل مرّة إذا رفع رأسه من السجود وشفع، وقيل له: «أدخل الجنّة من لا حساب عليه من امتك من الباب الأيمن، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب» (١).

وقوله: «وهم» يعود على الامّة، فإنّما أن يحمل على من لا يدخل النار، أو على الجميع، ويكون ذلك بشرى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بدخولهم جميعهم الجنّة وإن تأخر

١- أخرجه صحيح البخارى ٢٢٧/٥ وصحيح مسلم ١/١٢٩ ومسنده أحمد ٢/٤٣٦.

ص: ٣٧٤

بعضهم، ثم السجدة الباقية لإخراج المذنبين من النار.

ولعل السبعين ألفاً يدخلون بغير عرض؛ فإن ظاهر الحديث يقتضى أنه لا حساب عليهم أصلاً، ومن يحاسب حساباً يسيراً خارج عنهم، والحساب اليسير هو العرض، كما جاء تفسيره في الحديث الصحيح، وكلا القسمين لا يعذب، ومن نوقش الحساب عذب.

الشفاعة الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومن يشاء الله

هكذا ذكره القاضي عياض، وأشار بذلك إلى ما سنذكره في حديث أبي سعيد من قوله: «ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحلّ الشفاعة، فيقولون: اللهم سلم سلم».

وظاهر هذا أنها شفاعة تحلّ بعد وضع الصراط بعد الشفاعتين الاوليين، وأنها في إجازة الصراط، ويلزم من ذلك النجاة من النار. ولم يرد تصريح بذلك، ولا بكونها مختصة، أو غير مختصة، لكن سيأتى في الأحاديث: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يكون في ذلك اليوم إمام النبيين، وصاحب شفاعتهم، فكلّ ما يقع من شفاعتهم ينسب إليه بذلك، فلا يخرج شيء عن شفاعته؛ لا من أنواع الشفاعة، ولا من الأشخاص المشفوع فيهم من ملته، ومن غير ملته؛ لأنه إذا كان صاحب شفاعة الأنبياء، والكلّ تحت لوائه، فكلّ من شفعا فيه فبسبب صلى الله عليه وآله وسلم تقدّموا للشفاعة فيه، وإجابة شفاعتهم إجابة له صلى الله عليه وآله وسلم. فكلّ من تقع شفاعة النبيين فيه، داخل تحت شفاعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومن شفعا فيه المؤمنون كذلك بطريق الأولى، فهو صلى الله عليه وآله وسلم شفيع الشفعاء.

الشفاعة الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين

وقد جاءت الأحاديث الصحيحة بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم

ص: ٣٧٥

وسائر الأنبياء، والملائكة، وإخوانهم من المؤمنين «ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله» كما جاء في الحديث «(١)»، ولا يبقى فيها إلا الكافرون.

وهذه الشفاعة، والشفاعة الأولى العظمى: تواترت الأحاديث بهما، واختصاص النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعظمى كما سبق. وأما هذه فقد جاء فيها شفاعة الملائكة، والأنبياء، والمؤمنين، وأن الله تعالى بعد ذلك يخرج برحمته من قال: لا إله إلا الله. وفيه أقوال سند كرها، أحسنها أنه من قال من غير هذه الامة «لا إله إلا الله» ولم يشمل شفاعته أنبيائهم وغيرهم من الشافعين. أما هذه الامة فكلها يخرج بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإن وقع في بعضهم شفاعته لإخوانهم من المؤمنين، فهي في طي شفاعته النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أشرنا إليه فيما سبق. وإذا ثبت ذلك، فاختصاصه صلى الله عليه وآله وسلم من هذا النوع بإخراج عموم امته حتى لا يبقى منهم أحد، وهذا هو الموافق لعموم قولهم صلى الله عليه وآله وسلم: «شفاعتي لأهل الكبائر من امتي» «(٢)». وقولهم صلى الله عليه وآله وسلم: «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعته لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيئاً» رواه مسلم من طرق، وروى البخاري طرفاً منه «(٣)».

١- أخرج الترمذي في السنن ١١١ / ٤ وانظر: المغني لابن قدامة ٣٠١ / ٢ متفق على هذه الأحاديث.

٢- أخرجه أحمد في المسند ٢١٣ / ٣ وسنن أبي داود ٤٢١ / ٢ وسنن ابن ماجه ١٤٤١ / ٢ ح ٤٣١٠، والترمذي ٤٥ / ٤ ح ٢٥٥٢ وبعده ومستدرک الحاكم ١ / ٦٩ و ٣٨٢ والسنن الكبرى للبيهقي ١٧ / ٨.

٣- صحيح مسلم ١ / ١٣١، صحيح البخاري قوله ولكل نبي دعوة في ١٤٤ / ٧. ومسند أحمد ٢ / ٢٧٥ و ٤٢٦.

ص: ٣٧٦

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أتانى آت من عند ربى عزوجلّ، فخيرنى بين أن يدخل الجنة نصف اّمتى، أو بين الشفاعة، فاخترت الشفاعة، وهى لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» رواه الترمذى (١).

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «خيرت بين الشفاعة، وبين أن يدخل نصف اّمتى الجنة، فاخترت الشفاعة، لأنها أعمّ وأكثر، ترونها للمؤمنين المتقين؟! لا، ولكنها للمذنبين الخطّائين المتلوّثين» رواه ابن ماجه (٢).

فهذه العمومات كلّها متظافرة على عموم شفاعته لكلّ الامة، وكذلك قوله بين يديّ الله تعالى يوم القيامة: «اّمتى، اّمتى» وهى دعوة يتحقّق استجابتها.

وقد قال العلماء فى قوله: «لكلّ نبى دعوة مستجابة»: إنّه على يقين من إجابتها، وباقى دعواته يرجوها، فقد ظهر بهذا اختصاصه صلى الله عليه وآله وسلم بعموم هذه الشفاعة لكلّ اّمته.

الشفاعة الخامسة: في زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها

ذكرها القاضى عياض وغيره، ولا ينكرها المعتزلة أيضاً، ولم أجد فى الأحاديث تصريحاً بها.

لكن عبد الجليل القصرى فى كتاب «شعب الإيمان» له، ذكر فى تفسير الوسيلة التى اختصّ بها النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنّها التوسيل، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يكون فى الجنة بمنزلة الوزير من الملك - بغير تمثيل - لا يصل إلى أحد شىء إلّا بواسطته صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان كذلك فهذه أيضاً خاصّة به.

هذا تفصيل الشفاعات الخمس، ومن تأملها وعرف عموم شفاعته النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لها، واختصاصه بما اختصّ منها، وأمعن النظر فى ذلك، عرف على قدر رتبة هذا

١- سنن الترمذى ٤/ ٤٧ ح ٢٥٥٨.

٢- سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٤١ ح ٤٣١١.

ص: ٣٧٧

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلما أمعن في ذلك ازداد اعتقاداً، وهو كما قال القائل:

من احاديث الشفاعة

يزيدك وجهه حسناً إذا ما زدته نظراً

وقد رأيت أن لا اخلى هذا الكتاب من أحاديث الشفاعة على سبيل الاختصار.

فمن ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى في «صحيحهما» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين فيصعيد واحد، فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون وما لا يحتملون.

فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ما قد بلغكم، ألا تنظرون إلى من يشفعكم إلى ربكم؟

فيقول بعض الناس لبعض: انتوا آدم.

فيأتون آدم فيقولون: يا آدم، أنت أبونا، أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!!

فيقول آدم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح.

فيأتون نوحاً فيقولون: يا نوح، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماك الله: عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما قد بلغنا!! فيقول لهم: إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب

ص: ٣٧٨

بعده مثله، وإنه قد كانت لى دعوة دعوت بها على قومى، نفسى نفسى، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيم فيقولون: أنت نبى الله، وخليه من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!!

فيقول لهم إبراهيم: إن ربى قد غضب غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله، نفسى نفسى، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن

فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا!!

فيقول لهم موسى: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفساً لم أوامر بقتلها، نفسى

نفسى، اذهبوا إلى عيسى.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمت الناس فى المهد، وكلمة منه ألقاها إلى مريم، وروح منه، فاشفع لنا إلى

ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا!!

فيقول لهم عيسى: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله- ولم يذكر له ذنباً- نفسى نفسى، اذهبوا إلى

غيرى، اذهبوا إلى محمد.

فيأتون فيقولون: يا محمّد، أنت رسول الله خاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما

نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا!!

فأطلق، فأتى تحت العرش، فأقع ساجداً لربى، ثم يفتح الله علىّ، ويلهمنى

ص: ٣٧٩

من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي.
ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، اشفع تشفع.
فأرفع رأسي فأقول: يا رب، امتي امتي.

فيقال: يا محمد، أدخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.

والذي نفس محمد بيده، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر، أو كما بين مكة وبصرى» هذا لفظ مسلم
«(١)».

وذكره البخاري في مواضع مقطوعاً، وذكره بطوله في سورة بنى إسرائيل، وذكر فيه من قول آدم ومن دونه من الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام: «نفسى، نفسى، نفسى» ذكرها ثلاثاً، وقال: «أمتي يا رب، أمتي يا رب، أمتي يا رب» «(٢)».

وروى البخاري ومسلم أيضاً عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض،
فيأتون آدم، فيقولون له: اشفع لذرّيتك!

فيقول: لست لها، ولكن عليكم إبراهيم؛ فإنه خليل الله.

فيأتون إبراهيم، فيقول: لست لها، ولكن عليكم موسى؛ فإنه كلم الله تعالى.

فيؤتى موسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم عيسى؛ فإنه روح الله وكلمته.

فيأتون عيسى، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: فيأتوني، فأقول: أنا لها، فأنتلق فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه، فأحمده بمحمد لا أقدر
عليها الآن؛ يلهمنيها الله، ثم أخرج له ساجداً.

١- صحيح مسلم ١/١٢٧ كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.

٢- صحيح البخاري ٦/٤٣٦ كتاب تفسير القرآن، باب ٣٨٨ ح ١١٣٧.

ص: ٣٨٠

فيقال لى: يا محمّد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع. فأقول: امتى امتى.

فيقال لى: انطلق فمن كان فى قلبه مثال حبه من برّ أو شعيرة من إيمان، فأخرجه منها. فأنطلقُ فأفعل، ثم أرجع إلى ربّى، فأحمده بتلك المحامد، ثم أحرّ له ساجداً. فيقال لى: يا محمّد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل، تُعطه، واشفع تُشفع. فأقول: يا ربّ، امتى امتى.

فيقال لى: انطلق فمن كان فى قلبه مثال حبه من خردل من إيمان فأخرجه منها. فأنطلقُ فأفعل، ثم أعود إلى ربّى فأحمده بتلك المحامد، ثم أحرّ له ساجداً. فيقال لى: يا محمّد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع. فأقول: يا ربّ، امتى امتى.

فيقال لى: انطلق فمن كان فى قلبه أدنى أدنى من مثال حبه من خردل من إيمان، فأخرجه من النار. فأنطلقُ فأفعل، ثم أرجع إلى ربّى فى الرابعة، فأحمده بتلك المحامد، ثم أحرّ له ساجداً. فيقال لى: يا محمّد، ارفع رأسك، وقل، يُسمع لك، وسل تُعطه، واشفع تُشفع. فأقول: يا ربّ، ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله.

قال: «ليس ذلك لك» أو قال: «ليس ذلك إليك، ولكن وعزّتى وكبريائى،

ص: ٣٨١

وعظمتى وجبريائي، لأخرجنّ من قال: لا إله إلا الله» هذا لفظ مسلم [\(١\)](#).

وقال البخاريّ في الاولي: «مثقال شعيرة من إيمان».

وفي الثانية: «مثقال ذرّة وخردلة من إيمان».

وفي الثالثة: «أدنى أدنى مثقال حبيّة من خردلة من إيمان، فاخرجه من النار، من النار، من النار، فأنتلق فأفعل» ولم يقل فيه: «ليس ذلك إليك» قال:

«وعزّتى وجلالى، وكبريائي وعظمتى، لأخرجنّ من قال: لا إله إلا الله» [\(٢\)](#).

وخرّج البخاريّ ومسلم حديث أنس من طريق آخر، وفيه ذكر نوح بعد آدم، كما في حديث أبي هريرة، وفيه من قول عيسى: «أنتوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم عبداً قد غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فيا تونى، فأستأذن على ربّى فيؤذن لى، فإذا أنا رأيتة وقعت ساجداً، فيدعنى ما شاء الله. فيقال: يا محمّد، ارفع رأسك قل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع!

فأرفع رأسى فأحمد ربّى بتحميد يعلمنيه، ثمّ أشفع فيحدّ لى حدّاً فاخرجهم من النار، وادخلهم الجنّة، ثمّ أعود فأقع ساجداً».

وفيه فى الثالثة والرابعة: «فأقول: يا ربّ، ما بقى فى النار إلّا من حبسه القرآن» أى وجب عليه الخلود، هكذا فى رواية.

وفى رواية عند البخاريّ فى الرابعة: «ثمّ أرجع فأقول: يا ربّ، ما بقى فى النار إلّا من حبسه القرآن؛ ووجب عليه الخلود» [\(٣\)](#).

١- صحيح مسلم ١/ ١٢٥ كتاب الايمان.

٢- صحيح البخارى ٩/ ٨٢١ كتاب التوحيد، باب ١٢٣١.

٣- صحيح البخارى ٩/ ٧٨٨ كتاب التوحيد، باب ١٢١٣ ح ٢٢١٢.

ومسلم ١/ ١٢٣ كتاب الايمان، من أهل الجنّة منزلة.

ص: ٣٨٢

وفى البخارى فى رواية ذكر الشفاعة ثلاث مرّات، وفيه فى الثلاث: «فأستأذن على ربّى فى داره فيؤذن لى عليه». وفيه: ثمّ تلا هذه الآية عيسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً قال: «هذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم» (١).

وفى رواية عند مسلم عن أنس: أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة، فيلهمون لذلك يقولون: لو استشفعنا على ربنا» (٢).

وفى «مسند أبى عوانة» عن حذيفة بن اليمان، عن أبى بكر الصديق رضى الله عنهم قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، فصلّى الغداة، ثمّ جلس، حتّى إذا كان من الضحى ضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمّ جلس مكانه حتّى يصلى الاولى، والعصر، والمغرب، كلّ ذلك لا يتكلّم، حتّى يصلى العشاء الآخرة، ثمّ قام إلى أهله.

فقال الناس لأبى بكر: سل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شأنه صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قطّ؟

فسأله فقال: «نعم، عرض على ما هو كائن من أمر الدنيا وأمر الآخرة، فجمع الأولون والآخرون فيصعيد واحد، ففزع الناس لذلك، حتّى انطلقوا إلى آدم والعرق كاد يلجمهم فقالوا: يا آدم، أنت أبو البشر، وأنت اصطفاك الله، اشفع لنا إلى ربك.

قال: قد لقيت مثل الذى لقيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، انطلقوا إلى نوح...» وذكر الحديث قريباً من رواية أنس إلى أن انتهى إلى عيسى، قال: «ليس ذاكم عندى، ولكن انطلقوا إلى سيد ولد آدم».

وفيه قال: فينطلق فيأتى جبرئيل، فيقول الله له: «اأذن له، وبشّره بالجنة».

١- صحيح البخارى ٩/ ب ١٢١٨ ح ٢٢٣٩.

٢- صحيح مسلم ١/ ١٢٣ الايمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة.

ص: ٣٨٣

قال: فينطلق به جبرئيل، فيخرّ ساجداً قدر جمعة، ثم يقول الله: «يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع». قال: فيرفع رأسه، فإذا نظر إلى ربه خرّ ساجداً قدر جمعة اخرى، فيقول الله: «يا محمد، ارفع رأسك، وقل يسمع، واشفع تشفع».

قال: فيذهب ليقع ساجداً، فيأخذ جبرئيل عليه السلام بضبعيه، فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط، قال فيقول: «أى رب، جعلتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، ولا فخر، حتى أنه ليرد على الحوض أكثر مما بينصنعا وأيلة» (١).

وهذا الحديث يشير إلى أمر عظيم مما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأعلمه في ذلك اليوم، لا يحيط به إلا الله تعالى ومن أعلمه إياه، وأن ما اشتمل عليه حديث أنس وأبي هريرة رضي الله عنهما من التفاصيل، جزء يسير مما علمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحوال يوم القيامة، أعاننا الله تعالى عليه.

والظاهر أن هذه السجدة الأولى المذكورة في هذه الرواية، لم تذكر في حديث أنس وأبي هريرة، ويكون المراد في حديث أنس وأبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقوم في مقام الشفاعة أربع مرات، والمذكور هنا تفصيل المرة الأولى منها. وجاءت أحاديث اخرى فيها بعض أحوال يوم القيامة أيضاً:

منها حديث عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يجمع الله الناس، فيقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة. فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله».

ص: ٣٨٤

قال: «يقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، اعمدوا إلى موسى الذى كلمه الله تكليماً. فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمه الله وروحه. فيقول عيسى: لست بصاحب ذلك.»

فيأتون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيقوم ويؤذن له، وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يميناً وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق الخاطف، ثم كمرّ الريح، ثم كمرّ الطير، وشدّ الرجال تجرى بهم أعمالهم، ونيكم قائم على الصراط يقول: يا ربّ سلم سلم، حتى تعجز أعمال العباد؛ حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلاّ زحفاً.

قال: «وفى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من امرت به، فمخدوش ناج، ومكروس فى النار».

رواه مسلم وانفرد بقوله: «يقوم المؤمنون حين تزلف لهم الجنة» وبذكر الأمانة والرحم، وقيامهما جنبتي الصراط، وبذكر قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الصراط، وبقية رواه البخارى من طرق اخرى (١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى حديث الرؤية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليّبع كلّ أمّة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلّا يتساقطون فى النار، حتى إذا لم يبق إلّا من كان يعبد الله من برّ وفاجر وغير أهل الكتاب، فتدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟»

١- صحيح مسلم ١/ ١٣٠ ولاحظ ١/ ١١٢، لاحظ البخارى ١/ ١٩٦ و ٧/ ٢٠٥ و ٨/ ١٨٠، وانظر مستدرک الحاكم ٤/ ٥٨٣.

ص: ٣٨٥

قالوا: كُنَّا نعبد عزيز ابن الله.

فيقال لهم: كذبتُم، ما اتخذ الله منصاحبهُ ولا ولد، فماذا تبغون؟

قالوا: عطشنا يا ربَّنَا، فاسقنا.

فيشار إليهم ألا تردون، فيحشرون إلى النار، فيتساقطون في النار.

ثم تدعى النصارى فيقال لهم، ما كنتم تعبدون؟

قالوا: المسيح ابن الله.

فيقال لهم: كذبتُم، ما اتخذ الله منصاحبهُ ولا ولد.

فيقال لهم: ما تبغون؟

فيقولون: عطشنا يا ربَّنَا، فاسقنا.

قال: فيشار إليهم ألا- تردون، فيحشرون إلى جهنم، فيتساقطون فيها، حتى إذا لم يبق إلّا من كان يعبد الله من برّ وفاجر أتاهم ربّ

العالمين».

وفيه: «فيكشف عن ساق، فلا- يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه، إلّا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء،

إلّا جعل الله ظهره طبقه واحده؛ كلما أراد أن يسجد خرّ على قفاه، ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحلّ الشفاعة، ويقولون: اللهم سلّم

سلّم».

قيل: وما الجسر يا رسول الله؟

قال: «دحض مزلة فيه خطاطيف وكلايب وحسكة، فيمرّ المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل

والركاب، فجاج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في النار، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم

بأشدّ مناشده لله فى استيفاء الحقّ من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار، فيقولون: ربَّنَا، كانوا يصومون معنا، ويصلّون،

ويحبّون.

ص: ٣٨٦

فیقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحزّ مصورهم على النار، فیخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقیه، وإلى ركبتيه، فیقولون: ربّنا، ما بقى فیها أحد ممّن أمرتنا به.

فیقول: ارجعوا، فمن وجدتم فی قلبه مثقال دینار من خیر فأخرجوه، فیخرجون خلقاً كثيراً.
ثمّ یقول: ارجعوا، فمن وجدتم فی قلبه مثقال نصف دینار من خیر فأخرجوه، فیخرجون خلقاً كثيراً.
ثمّ یقول: ارجعوا، فمن وجدتم فی قلبه مثقال ذرّة من خیر فأخرجوه، فیخرجون خلقاً كثيراً.
ثمّ یقولون: ربّنا، لم نذر فیها خیراً.

فیقول الله عزّوجلّ: شفعت الملائكة، وشفع النبیون، وشفع المؤمنون، ولم یبق إلّا أرحم الراحمین، فیقبض قبضه من النار، فیخرج قوماً لم یعملوا خیراً قطّ قد عادوا حمماً، فیلقیهم فی نهر الحیاة، فیخرجون كاللؤلؤ فی رقابهم الخواتیم، یعرفهم أهل الجنّة، یقولون: هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنّة بغير عمل عملوه، ولا خیر قدّموه.

ثمّ یقول: ادخلوا الجنّة، فما رأیتموه فهو لكم.

فیقولون: ربّنا أعطیتنا ما لم تعط أحداً من العالمین.

فیقول: لكم عندی أفضل من هذا.

فیقولون: یا ربّنا، وأی شیء أفضل من هذا؟

فیقول: رضائی فلا أسخط علیکم بعده أبداً.

قال أبو سعید الخدری: بلغنی أنّ الجسر أدقّ من الشعرة، وأحدّ من السیف،

ص: ٣٨٧

لفظ مسلم «(١)».

وللبخاری قریب منه «(٢)».

وقال: «دینار من إیمان» و «نصف دینار من الإیمان» و «ذرة من إیمان» «(٣)».

وفی روایة البخاری من حدیث أبی هریره فی الروایة عن النبیللی الله علیه و آله و سلم: «یجمع الله الناس فیقال: من كان یعبد شیئاً فلیتبعه».

وفی آخره: «فیضرب الصراط بین ظهري جهنم».

قال رسول اللهللی الله علیه و آله و سلم: «فأكون وامتی من یجیز، ولا یتکلم یومئذ إلا الرسل، ودعوی الرسل یومئذ: اللهم سلم سلم» «(٤)».

قوله: «یجیز» یقال: جاز و أجاز لغتان.

وقوله: «ذرة» بفتح الذال المعجمة، وتشدید الراء، ومن قال خلاف ذلك فقد صحف.

وقال بعضهم فی هذه الأحادیث: إن المعانی التي فی الدنيا تظهر یوم القيامة للحس والعیان، فذلک تشاهد الأنبياء والمؤمنون ما فی القلوب علی هذه الأوزان المخصوصة.

وجعل قول أبی سعید فی الصراط: «إنه أدق من الشعرة، وأحد من السیف» راجعاً إلی صعوبة الاستقامة علی الصراط فی الدنيا، وأن الكلالیب والحسك التي حوله هی الأغراض والأهواء التي فی الدنيا.

١- صحیح مسلم ١/ ١١٧.

٢- صحیح البخاری ٩/ ٧٩٨ ب ١٢١٨ ح ٢٢٣٩.

٣- صحیح البخاری ٨/ ١٨٢.

٤- صحیح البخاری ٢/ ٣٨١ کتاب الصلاة، باب ٥٢٢ فضل السجود ح ٧٦٢.

وكتاب التوحید ٩/ ٧٩٦ باب ١٢١٨ ح ٢٢٣٨.

ص: ۳۸۸

وقوله: «تحلّ الشفاعة» قيل: هو من الحِلّ نقيض الحرمة؛ أى يؤذن فيها.

وقيل: من الحلول؛ أى تحصل وتقع.

وفى البخارى: «حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود» (۱) واختلف فى تفسيره، والصحيح أن المراد بها دارات الوجوه، كما ورد مصرحاً به.

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يسئوا، لواء الحمد بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربى، ولا فخر».

رواه الترمذى وقال: حسن (۲).

وعن أبى بن كعب عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبیین وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، من غير فخر».

رواه الترمذى وقال: حسن (۳).

وعن أبى سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من نبى يومئذ - آدم فمن سواه - إلّا تحت لوائى».

رواه الترمذى وقال: حسن (۴).

وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا حبيب الله، ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة، ولا فخر، وأول من يحرك حلق الجنة، فيفتح الله لى فيدخلنيها ومعى

۱- كتاب التوحيد ۹/ ۷۹۶ باب ۱۲۱۸ ح ۲۲۳۸.

۲- سنن الترمذى ۵/ ۲۴۵ ح ۳۶۸۹.

۳- سنن الترمذى ۵/ ۲۴۷ ح ۳۶۹۲.

۴- سنن الترمذى ۵/ ۲۴۷ ح ۳۶۹۴ ولاحظ ۴/ ۳۷۰ ح ۵۱۵۶.

ص: ٣٨٩

فقراء المؤمنين، ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين، ولا فخر». رواه الترمذى «(١)».

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يشفع لى يوم القيامة. فقال: «أنا فاعل».

قال قلت: يا رسول الله، فأين أطلبك؟

قال: «اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط».

قال قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟

قال: «فاطلبنى عند الميزان».

قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟

قال: «فاطلبنى عند الحوض، فإنى لا اخطئ هذه الثلاث المواطن».

رواه الترمذى وقال: حسن غريب «(٢)».

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟

قال: «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هذا الحديث أحد أولى منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، إن أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: «لا إله إلا الله» خالصاً من قبل نفسه».

رواه البخارى «(٣)».

وعن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخلص المؤمنون من

١- سنن الترمذى ٥/ ٢٤٨ ح ٣٦٩٥.

٢- سنن الترمذى ٤/ ٤٢ ح ٢٥٥٠.

٣- صحيح البخارى ٨/ ٥٠١ كتاب الرقاق، باب ٨٢٢ صفة الجنة والنار ح ١٤٣١ وانظر ١/ ٣٣ باب الحرص على الحديث. وفيه: من قلبه أو نفسه.

ص: ٣٩٠

النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتصن لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة» انفرد به البخاري (١).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة» متفق عليه (٢).

زاد البخاري بعد ذكر هذا الحديث: قال أبان: ثنا قتادة، ثنا أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «من إيمان» مكان «خير» وترجم عليه «باب زيادة الإيمان ونقصانه» (٣).

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا كان يوم القيامة شفعت فقلت: يا رب أدخل الجنة من في قلبه خردلة، فيدخلون، ثم أقول: أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء». رواه البخاري (٤).

وعن جابر رضي الله عنه قال: هل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه مقام محمد صلى الله عليه وآله وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج (٥).

١- صحيح البخاري ٨/ ٤٩٣ باب الرقاق، باب ٨١٩ القصاص يوم القيامة ح ١٤٠٠ وفي ٧/ ١٩٧.

٢- أخرجه البخاري ٨/ ١٧٣ وانظر ١/ ١٦، وصحيح مسلم ١/ ١٢٥ وسنن ابن ماجه ٢/ ١٤٤٣، والترمذي ٤/ ١١٢، وانظر كنز العمال ١٤/ ٣٩٧.

٣- صحيح البخاري ١/ ٨٥ كتاب الإيمان، باب ٣٤ زيادة الإيمان ونقصانه ح ٤٣.

٤- صحيح البخاري ٩/ ٨٢١ كتاب التوحيد، باب ١٢٣١ كلام الرب يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ح ٢٣٠٨.

٥- أخرجه صحيح مسلم ١/ ١٢٣.

ص: ٣٩١

وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد، فيدخلون الجنة». رواه البخارى في بابصفة الجنة والنار (١).

وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً». رواه مسلم (٢).

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلق. ذكره عبد الحق، وهو في مسلم، لكنه وقع فيه إشكال لعله على بعض الرواة، فأسقط اللفظ المذكور حتى صار لا يفهم معناه، وقال: على كذا (٣).

وعن ابن عمر قال: فيرقى هو - يعنى محمد صلى الله عليه وآله وسلم - وامته على قوم فوق الناس، وقد ورد مبيناً من طرق: منها عن كعب بن مالك، رواه أحمد في مسنده (٤):

أنا الإمام الحافظ أبو محمد مسعود بن أحمد بن مسعود الحارثي رحمه الله قراءة عليه وأنا أسمع قال: أخبرنا أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، قراءة عليه وأنا أسمع، قال: أنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي المجد الحربي، أنا هبة الله بن عبد الواحد بن الحصين، أنا أبو علي الحسن بن علي بن محمد المذهب، أنا أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك القطيعي، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال:

١- صحيح البخارى ٨ / ٥٠٠ كتاب الرقاق باب ٨٢٢ صفة الجنة والنار، ح ١٤٢٨، وفي آخره: يسمون الجهنميين، وفي طبعه ٧ / ٢٠٣.

٢- صحيح مسلم ١ / ١٣٠.

٣- صحيح مسلم ١ / ١٢٢.

٤- مسند أحمد ٣ / ٤٥٦، ومستدرك الحاكم ٢ / ٣٦٣، ومجمع الزوائد ٧ / ٥١ عن أحمد.

ص: ٣٩٢

حدّثنى أبى، ثنا يزيد بن عبد الربّ قال: حدّثنى محمّد بن حرب، ثنا الزبيدّى، عن الزهرى، عن عبد الرحمان بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن كعب بن مالك رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يبعث الناس يوم القيامة، فأكون أنا وامّتى على تلّ، ويكسونى ربّى حلّة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام المحمود». وفى مسلم بقيّة الحديث عن جابر: «يعطى كلّ إنسان منهم - منافق أو مؤمن - نوراً، وعلى جسر جهنّم كالليب وحسك تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فينجو أوّل زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر؛ سبعون ألفاً لا يحاسبون» (١). وفى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما: إذا كان يوم القيامة كان الناس حثياً، تتبع كلّ امّة نبيّها؛ يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتّى ينتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٢).

والأحاديث فى الشفاعة كثيرة، ومجموعها يبلغ مبلغ التواتر.

وأعنى بالتواتر هنا ما اشتركت فيه الروايات من الشفاعة، لا لفظاً واحداً منها بخصوصه، وهذا النوع من التواتر فى السنّة كثير، وأمّا التواتر فى لفظ حديث مخصوص فعزيز. وقد تضمّنت هذه الأحاديث من المناقب الشريفه والمآثر الجليله والفوائد الجمّة، ما لا يسعه هذا المكان، ولكنّا نشير إلى شىء منه على سبيل الاختصار: أمّا قوله فى أوّله: «يجمع الله الناس» وفى روايه اخرى: «يجمع المؤمنون»:

١- صحيح مسلم ١/ ١٢٢.

٢- صحيح البخارى كتاب التفسير، باب ٣٩٤ ح ١١٤٣ تفسير قوله تعالى: حتى يبعثك ربك مقاماً محموداً وفى طبعه ٥/ ٢٢٨، وفى طبعه الميمية ٦/ ١٠٨ تفسير سورة بنى إسرائيل.

ص: ٣٩٣

ففيه إشارة إلى أنّ الذى يتوجّه إلى الأنبياء ويخاطبهم بسؤال الشفاعة؛ هم المؤمنون وإن كان الغم والكرب قد عمّ جميع الناس من الكفار، والمؤمنين؛ الأوّلين، والآخرين، واختصاص المؤمنين بسؤال الأنبياء مناسب لأمرين: أحدهما: ما لهم من الصلّة بهم بالإيمان.

والثانى: أنّه يحصل لهم بإراحتهم من ذلك المكان خير، والكفار ينتقلون إلى ما هو أشدّ عليهم. فهذه الشفاعة العظمى وإن ترتّب عليها فصل القضاء لعموم الناس، فليس الكفار مقصودين بها، قال تعالى: **فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**. وقال تعالى حكاية عنهم: **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ**. وقد قيل: إنّ جميع الناس يُسألون؛ مؤمنهم، وكافرهم.

فصل التوسّل بالأنبياء

وفى التجاء الناس إلى الأنبياء فى ذلك اليوم، أدلّ دليل على التوسّل بهم فى الدنيا والآخرة، وأنّ كلّ مذنب يتوسّل إلى الله عزّوجلّ بمن هو أقرب إليه منه.

وهذا لم ينكره أحد، وقد قدّمنا طرفاً من ذلك فى باب الاستغاثه، ولا فرق بين أن يسمّى ذلك «تشفّعاً» أو «توسّلاً» أو «استغاثه». وليس ذلك من باب تقرب المشركين إلى الله تعالى بعبادة غيره، فإنّ ذلك كفر، والمسلمون إذا توسّلوا بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم أو بغيره من الأنبياء والصالحين، لم يعبدوهم، ولا- أخرجهم ذلك عن توحيدهم لله تعالى؛ وأنّه هو المتفرد بالنعمة والضرر، وإذا جاز ذلك جاز قول القائل: «أسأل الله تعالى برسوله» لأنّه سائل الله تعالى، لا لغيره.

فصل سؤال الأنبياء قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟

وأما إلهامهم سؤال آدم ومن بعده صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، ولم يلهموا في الابتداء سؤال نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟

فالحكمة فيه - والله تعالى أعلم - أنهم لو سأله ابتداءً لأمكن أن يقول قائل: يحتمل أن غيره يقدر على هذا.

فأما إذا بذلوا الجهد في السؤال والاسترشاد، وسألوا غيره من رسل الله تعالى وأصفيائه وأولى العزم، فامتنعوا، ولم يألوهم جهداً في النصيح والإرشاد، فانتهوا إليه وأجاب، وحصل غرضهم، حصل العلم لكل أحد بنهاية مرتبته صلى الله عليه وآله وسلم وارتفاع منزلته، وكمال قربته، وعظم إجلاله وانسه، وتفضيله على جميع المخلوقين من الرسل الأدميين والملائكة. وحق لصاحب هذا المقام أن يكون سيد الامم، وأن يسافر إلى زيارته على الرأس، لا على القدم.

فصل عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر

وأما ما يذكره الأنبياء عليهم السلام

فتبته القاضي عياض رحمه الله تعالى فيه على فائدة جلية تؤكد القول المختار أنهم معصومون من الكبائر والصغائر.

فإن هذه الأشياء التي ذكروها: - أكل آدم عليه السلام من الشجرة ناسياً، ودعوة نوح عليه السلام على قوم كفار، وقتل موسى لكافر لم يؤمر بقتله، وكان ذلك قبل النبوة، ومدافعة إبراهيم عليه السلام على الكفار بقول عرض به هو فيهم صادق من وجه - وهذه كلها في حق غيرهم ليست بذنوب، لكنهم أشفقوا منها؛ إذ لم تكن عن أمر الله تعالى، وعتب على بعضهم فيها لعلو منزلتهم من معرفة الله تعالى، ولو صدر منهم

ص: ٣٩٥

شيء غير ذلك لذكروه في ذلك المقام، فليتأمل الناظر هذه الفائدة، وليأخذها بكلتا يديه. وما اختاره القاضي عياض من عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر، هو الذي أعتقده وأدين الله به وإن كان أكثر المتكلمين على خلافه، ولا يحتمل هذا المكان التطويل بالاستدلال له. قال القاضي عياض: ولا يهولنك أن نسب قوم هذا المذهب إلى الخوارج، والمعتزلة، وطوائف من المبتدعة، إذ منزعهم فيه منزع آخر من التكفير بالصغائر، ونحن نتبرأ إلى الله تعالى من هذا المذهب.

فصل ترتيب الشفاعات حسب الروايات

وأما قوله عليه السلام عقب رفع رأسه: «يا رب، امتي امتي» فظاهاه أن أول شفاعته في أمته. وفي حديث حذيفة المتقدم: أنه يقوم «وترسل الأمانة والرحم، فيقومان جنبتي الصراط». ومال القاضي عياض إلى أن هذا في الأول؛ لأن هذه الشفاعة هي التي لجأ الناس إليه فيها؛ وهي الإراحة من الموقف، والفصل بين العباد.

ثم بعد ذلك حلت الشفاعة في أمته صلى الله عليه وآله وسلم في المذنبين، وحلت شفاعة الأنبياء والملائكة وغيرهم. وجاء في الأحاديث المتقدمة: اتباع كل أمّة ما كانت تعبد، ثم تمييز المؤمنين من المنافقين، ثم حلول الشفاعة ووضع الصراط، فيحتمل أن الأمر باتباع الامم ما كانت تعبد، هو أول الفصل والإراحة من هول الموقف، وهو أول المقام المحمود، وأن الشفاعة التي ذكر حلولها، هي الشفاعة في المذنبين على الصراط، وهو ظاهر

ص: ٣٩٦

الأحاديث، وأنها لتبينا صلى الله عليه وآله وسلم ولغيره، كما نصّ عليه في الأحاديث السابقة.

ثم ذكر بعدها الشفاعة فيمن دخل النار.

وبهذا تجتمع متون الأحاديث، وترتب معانيها إن شاء الله تعالى.

هذا كلام القاضي رحمه الله، وهو ترتيب حسن، وليس فيه ما يعارض شفاعتهم صلى الله عليه وآله وسلم لأئمتهم عقب رفع رأسه من السجود في المرة الأولى، فإنه يحتمل أن يكون ذلك ابتداء فصل القضاء، فقد صحّ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن أئمتهم هي المقضى لهم قبل الخلائق.

فيكون صلى الله عليه وآله وسلم - لئما يدنو للشفاعة في فصل القضاء، ويؤذن له في الشفاعة - يتدبّر بالسؤال لمن يقضى له أولاً، فيجاب: بأن يدخل الجنة من أئمتهم من لا حساب عليه، هذا في المرة الأولى، ويكون إعلامهم صلى الله عليه وآله وسلم بذلك في أول الأمر، من كمال الإكرام.

ثم بعد ذلك تتبع كل أئمة ما كانت تعبد، ويوضع الصراط، ويؤذن في الشفاعة للمذنبين، فيشفع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنبياء والملائكة في نجاتهم من إرادة الله من النار.

ثم بعد ذلك يدخل أهل الجنة النار، وأهل النار النار، ومن شاء الله تعالى من المذنبين، فيقع بعد ذلك الشفاعة في إخراج المذنبين من النار.

ولعل سؤال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأئمتهم في الثانية والثالثة والرابعة حينئذٍ، ويشفع الأنبياء أيضاً والملائكة والمؤمنون في إخوانهم.

ويحتمل أن يكون اقتصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذكر أئمتهم، من كمال الأدب مع ربّه سبحانه وتعالى، فإنهم الأخصون به، وهو صلى الله عليه وآله وسلم يعلم أنه يحصل في ضمن ذلك ما قصد إليه ولجأ الناس بسببه؛ من فصل القضاء العام.

على أنه قد ورد في حديث آخر ذكره القاضي عياض في «الشفاء»: «أما ترضون أن يكون إبراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة!!».

ثم قال: «إنهما في أئمتي يوم القيامة؛ أما إبراهيم فيقول: أنت دعوتى وذريتي،

ص: ٣٩٧

فاجعلني من امتك، وأمرًا عيسس فالأنبياء إخوة بنوعات، أمهاتهم شتى، وأن عيسى أخى ليس بينى وبينه نبى، وأنا أولى الناس به»
 «(١)».

ويحتمل أن يكون السؤال للأنبياء مرتين: مرّة من جميع الناس فى فصل القضاء، ثم مرّة من المؤمنين بعد تميّزهم فى استفتاح الجنّة، وسقط من الحديث ذكر الشفاعة الاولى.

وقد ورد هذا مصرحاً به؛ روى على بن معبد فى كتاب «الطاعة والمعصية» عن المسيّب بن شريك، عن إسماعيل بن رافع المدني، عن عبد الله بن يزيد، عن محمّد بن كعب القرظى، عن أبى هريرة، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثاً طويلاً فيه:

«فتوقفون فى موقف حفاة عراه غرلاً مقدار سبعين» (٢) عاماً، لا ينظر الله إليكم، ولا يقضى بينكم، فتبكي الخلائق حتّى تنقطع الدموع،

ثم يدمع دماً، ويعرقون حتّى يبلغ منهم الآذان، أو يلجمهم، فيضجون ويقولون: من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا؟

فيؤتى آدم فيطلب ذلك إليه فيأبى، ثم يستقرون الأنبياء نبيّاً نبيّاً؛ كلّما جاؤوا نبيّاً أبى».

فقال رسول الله: «حتّى يأتونى، فإذا جاؤونى انطلقت فأخرّ قدام العرش لربى ساجداً، حتّى يبعث الله إلى ملكاً فيأخذ بعضدى فيرفعنى.

فيقول لى حين يرفعنى الملك: ما شأنك يا محمّد؟ وهو أعلم.

فأقول: يا ربّ، وعدتني الشفاعة، فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم.

فيقول الله تعالى: قد شفعتك، أنا آتاكم فأقضى بينكم».

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «فأرجع فأقف مع الناس، فبيننا نحن وقوف إذا سمعنا

١- الشفاء للقاضى عياض.

٢- فى ه: اربعين.

ص: ٣٩٨

حسباً شديداً من السماء فهالنا، فنزل أهل السماء الدنيا بمثل من فيها من الإنس والجن، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، ثم يضع عرشه حيث شاء من الأرض.

ثم يقول: وعزتي وجلالي، لا يجاورني اليوم أحد بظلم».

وفيه: «ثم يقضى الله عزوجل بين خلقه كلهم إلا الثقلين الجن والإنس، ثم يقضى بين الثقلين، فيكون أول ما يقضى فيه الدماء».

وفيه بعد ذلك: «حتى إذا لم يبق لأحد عند أحد تبعه نادى منادٍ ليلحق كل قوم بالهتهم، ويجعل ملك عليصورة عيسى، فيتبعه النصارى».

وفيه: «حتى إذا لم يبق إلا المؤمنون وفيهم المنافقون».

وفيه بعد ذلك: «ثم يضرب الصراط فيمرون».

وفيه بعد ذلك: «فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا ليدخلنا الجنة؟

فيؤتى آدم: فيقول: عليكم بنوح...» وذكر مثل ما في الأحاديث المشهورة:

نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى إلى أن قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«فيأتوني ولي عند الله ثلاث شفاعات، فأطلق آتى باب الجنة، فأخذ بحلقة الباب واستفتح، فيفتح لي، فأحبي ويرحب بي، فإذا دخلت

خررت ساجداً...» إلى أن قال في الثالثة: «فأقول: يا رب، وعدتني الشفاعة فشعني في أهل الجنة».

فيقول: قد شععتك، قد أذنت لهم في دخول الجنة».

ثم أشفع فأقول: يا رب، من وقع في النار من امتي...» وذكر بقيه الحديث «(١)».

١- قد مرّ تخريج أحاديث الشفاعة ويأتي.

فصل أهل «لا إله إلا الله»

وأما قول هصلى الله عليه وآله وسلم فى المرّة الرابعة: «أذن لى فىمن قال: لا إله إلا الله» ففىه أقوال: أحدها: أنهم الذىن معهم مجرد الإيمان، قاله القاضى عىاض.

قال: وهم الذىن لم يؤذن فى الشفاعة فىهم، وإنما دلت الآثار على أنه أذن لمن عنده شىء زائد من العمل على مجرد الإيمان، وجعل للشافعىن من الملائكة والنبيين صلوات الله عليهم وسلامه علىه دليلاً علىه، وتفرد الله عزوجل بعلم ما تكنه القلوب، والرحمة لمن لىس عنده إلا مجرد الإيمان، وضرب بمثال ذرّة المثل لأقل الخىر، فإنها أقل المقادىر.

قال: والصحىح: أن معنى «الخىر» شىء زائد على مجرد الإيمان؛ لأن مجرد الإيمان الذى هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ بشىء زائد علىه: من عمل صالح، أو ذكر خفى، أو عمل من أعمال القلب، من شفقه على مسكىن، أو خوف من الله تعالى، وثبته صادقة. ويدل على قوله فى الرواية الاخرى: «ىخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان فى قلبه من الخىر ما ىزن... كذا».

وهذا الذى قاله القاضى ىشكل علىه امور:

أحدها: رواية البخارى المتقدمة، وقوله: «إيمان» مكان «خىر» والرواىات ىفسر بعضها بعضاً.

والخىر أعم من الإيمان، فىصدق على من لىس عنده إلا مجرد الإيمان أن عنده خيراً.

فلو لم ىرد إلا هذه الرواية كانت دالة على إخراج جمىع المؤمنىن، فكىف وقد

ص: ٤٠٠

ورد وصحّ التصريح بالإيمان!؟

وحمل الإيمان على الزائد عليه مجازاً، من غير دليل، لا يسوغ.

الثاني: ما يلزمه من تخصيص شفاعته النبيصلى الله عليه وآله وسلم ببعض المؤمنين، والأحاديث التي وردت في ذلك عامّة، وكثرتها تبعد تخصيصها، ولا ضرورة إلى التخصيص؛ لما سنبيته.

الثالث: أنّ الذي تكنه القلوب من أعمال القلوب والإيمان، سواء في الخفاء، فإذا جعل الله لبعض خلقه أماره على أعمال القلوب الخفية الزائدة على الإيمان، فلا بدّ أن يجعل له دليلاً على الإيمان.

وإنّما ألجأ القاضى إلى هذا: أنّ من يخرج الله بغير شفاعته لا بدّ أن يكون الإيمان في قلبه.

وهذا صحيح؛ لأنّه لا يتعيّن أن يكون من هذه الامّة.

وأما ما تمسّك به من أنّ الإيمان لا يتجزّأ.

فجمهور السلف على أنّه يزيد وينقص، وحقيقته غير متجزّئة، وليس هذا محلّ تحقيق ذلك.

نعم، لا بدّ في الردّ على القاضى من تحقيق أنّ الإيمان القائم بالقلب، يقبل القوّة والضعف، وإلّا فيصحّ ما قاله.

القول الثاني: أنّ المراد من قال: «لا إله إلا الله» من غير هذه الامّة، قاله أبو طالب عقيل بن عطية.

وهو الصحيح عندي - والعلم عند الله تعالى - تمسّكاً بدلالة الألفاظ، فإنّه لم يقل: «من امتى»، وقد سبق أنّه قال: «ما بقى في النار إلّا من

حبسه القرآن» والظاهر أنّ المراد من امتّه؛ أى لم يبق منهم أحد.

فيكون النبيصلى الله عليه وآله وسلم طلب بعد ذلك أن يؤذن له في غير امتّه ممّن قال: لا إله إلا الله، فقيل: «ليس ذلك إليك».

ص: ٤٠١

والداعي له إلى طلب ذلك: كمال شفقتة على الخلق، مع إطلاق قوله تعالى: «اشفع تشفع».

مع كونه اقيم مقام البسط والإدلال، ومع ذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلّا: «ائذن لي» أي ائذن لي في أن أشفع؛ لأنه لا يشفع عنده إلّا بإذنه.

فتتبه لهذه الدققة، فإن فيها محافظة على إطلاق قوله تعالى: «اشفع تشفع» وأن شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لا ترد. ثم اعلم: أن قوله: «لا إله إلّا الله» من جملة العمل، وقد سبق في الأحاديث أنه تعالى يخرج برحمته قوماً لم يعملوا خيراً قط. فإما أن يكون المراد لم يعملوا خيراً زائداً على الإيمان.

أو يكون المراد قول: «لا إله إلّا الله» بالقلب وإن لم ينطق بها بلسانه، فإن كان ذلك كافياً في الملل المتقدمة في الإيمان، صحّ الحمل عليه، وإن كان النطق شرطاً كما هو عندنا، فيحمل على من تعذر منه النطق.

فصل السلف والشفاعة

قال القاضي عياض: قد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح رضى الله عنهم شفاعته نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ورغبتهم فيها.

وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الله تعالى أن يرزقه شفاعته النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكونها لا تكون إلّا للمذنبين، فإنها قد تكون - كما قدمنا - لتخفيف الحساب، وزيادة الدرجات. ثم كل عاقل معترف بالتقصير، محتاج إلى العفو، غير مُعْتَدِّ بعمله، مشفق أن يكون من الهالكين. ويلزم هذا القائل أن لا يدعو بالمغفرة والرحمة! لأنها لأصحاب الذنوب،

ص: ٢٠٢

وهذا كله خلاف ما عرف من دعاء السلف والخلف!!

فصل فى المقام الم محمود

قال القاضى عياض، ذكر مسلم من حديث جابر المقام الم محمود: أنه «الذى يخرج الله به من يخرج من النار» (١) ومثله عن أبى هريرة، وابن عباس، وابن مسعود رضى الله عنهم وغيرهم.

وقد روى فى الصحيح عن ابن عمر ما ظاهره أنها شفاعت المحشر، قال: فذلك يوم يبعثه الله المقام الم محمود (٢).

عن حذيفة- وذكر المحشر، وكون الناس فيه سكوياً لا تكلم نفس إلا بإذنه- فينادى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: «لبيك وسعديك، والخير فى يديك...» إلى آخر كلامه، قال: فذلك المقام الم محمود (٣).

وعن كعب بن مالك: «يحشر الناس على تلّ، فيكسونى ربى حلّة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله أن أقول، فذلك المقام الم محمود» (٤).

قال: والذى يستخرج من جملة الأحاديث؛ أن مقامه الم محمود هو كون آدم ومن دونه تحت لوائه يوم القيامة؛ من أول عرصاتهما إلى دخولهم الجنة وإخراج من يخرج من النار.

فأول مقاماته إجابة المنادى، وتحميده ربّه، وثنائه عليه بما ذكر وبما ألهمه محامده.

١- صحيح مسلم ١/ ١٢٢، الشفاء للقاضى عياض.

٢- أخرجه البخارى ٥/ ٢٢٨ باب قوله عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً.

٣- أخرجه الحاكم فى المستدرک ٢/ ٣٦٣.

٤- مسند أحمد ٣/ ٤٥٦ ومستدرک الحاكم ٢/ ٣٦٣ ومجمع الزوائد ٧/ ٥١ عن أحمد.

ص: ٤٠٣

ثمّ الشفاعة عن إراحة العرض وكرب المحشر، وهذا مقامه الذي حمده فيه الأولون والآخرون.
 ثمّ شفاعته لمن لا حساب عليه من أمته.
 ثمّ لمن يخرج من النار حتّى لا يبقى فيها من في قلبه مثقال ذرّة من إيمان.
 ثمّ يتفضّل الله تعالى بإخراج من قال: «لا إله إلّا الله» ومن لم يشرك بالله شيئاً ولا يبقى في النار إلّا المخلّدون.
 وهذا آخر عرصات القيامة ومثاقل الحشر، فهو في جميعها له المقام المحمود بيده فيها لواء الحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فصل دعوة الرسول هي الشفاعة

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اعطيت خمساً لم يعطهنّ أحد من الأنبياء قبلي...» وذكر من جملتها: «اعطيت الشفاعة» مع قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لكلّ نبيّ دعوة مستجابة، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة» (١).
 يستفاد منه أنّ الشفاعة التي اعطيها وخصّ بها عن الأنبياء، غير الشفاعة التي ادّخرها لأمته؛ لأنّها دعوة شاركه فيها جنسها، والاولى هي العظمى، وهي إمّا الشفاعة في فصل القضاء، أو العموم؛ بالتقرير الذي سبق، وأنّه صاحب الشفاعة، وكلّ الشفاعة داخلون في شفاعته، والثانية هي الشفاعة في إخراج المذنبين من النار، كما يشير إليه قوله: «أترونها للمؤمنين المتّقين؟! لا، ولكنّها للمذنبين المتلوّثين الخطّائين» (٢).

١- مسند أحمد ٢/ ٢٧٥.

٢- سنن ابن ماجه ٢/ ١٤٤١، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٧٨ عن أحمد والطبراني.

ص: ٤٠٤

صفحة سفيد

ص: ٤٥

خاتمة نصوص الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

نختم الكتاب بالصلوة على النبي صلى الله عليه وآله بالألفاظ التي وردت مأثورة في الأحاديث كلّ لفظٍ على حَدِّته، ولا نذكر منها إلّما رُوِيَ:

ص: ٤٠٧

الخاتمة: في ألفاظ الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وكل لفظ من ألفاظ الصلاة وجدته، فأقول أنه مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد جمع ذلك كله أبو عبد الله محمد بن

عبد الرحمن بن علي بن عبد الرحمن النميري في كتاب «الإعلام بفضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم» (١):

١- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٢- «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٣- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما

باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٤- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

١- أقول: والمؤلفات في نصوص الصلوات المأثورات وفضل الصلاة، كثيرة جداً.

ص: ٤٠٨

- ٥- «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٦- «اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٧- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٨- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، والسلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».
- ٩- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ١٠- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ١١- «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ١٢- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ١٣- «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ١٤- «اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، كما جعلتها

ص: ٤٠٩

على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

١٥- «اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

١٦- «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم».

١٧- «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم».

١٨- «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

١٩- «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

٢٠- «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم».

٢١- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد».

٢٢- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد».

٢٣- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

ص: ٤١٠

- ٢٤- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد».
- ٢٥- «اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٢٦- «اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٢٧- «اللهم صلّ على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- وفي رواية: «وآل إبراهيم» في الموضوعين.
- ٢٨- «اللهم صلّ على محمد كما صليت على آل إبراهيم».
- ٢٩- «اللهم بارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم».
- ٣٠- «اللهم صلّي على محمد كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٣١- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».
- ٣٢- «اللهم صلّ على محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

ص: ٤١١

٣٣- «اللهم صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٣٤- «اللهم صلّ على محمد كما صلّيت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٣٥- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٣٦- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، إنك حميد مجيد».

٣٧- «اللهم صلّ على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صلّيت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٣٨- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد».

٣٩- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٤٠- «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد، كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٤١- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت وباركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

٤٢- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وارحم محمدًا وآل محمد كما رحمت آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد».

ص: ٤١٢

- ٤٣- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل بيته كما صلّيت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، اللهم صلّ علينا معهم».
- ٤٤- «اللهم بارك على محمد وعلى أهل بيته كما باركت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد، اللهم بارك علينا معهم، صلاة الله و صلوات المؤمنين على محمد النبي الأمي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».
- ذكر ذلك في آخر التشهد من جهة الدارقطني بسند فيه ضعف تفرد به.
- ٤٥- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».
- ٤٦- «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».
- ٤٧- «اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».
- ٤٨- «اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على محمد النبي، وأزواجه امهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته، كما صلّيت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».
- ٤٩- «اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على محمد وأزواجه وذريته وامهات المؤمنين، كما صلّيت على آل إبراهيم، إنّك حميد مجيد».
- ٥٠- «اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه امهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صلّيت على إبراهيم، إنّك حميد مجيد».
- ٥١- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صلّيت وباركت على إبراهيم وآل إبراهيم في العالمين، إنّك حميد مجيد».
- ٥٢- «اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم، إنّك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل

ص: ٤١٣

إبراهيم».

وفي روايته: «كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

هذا كله مروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأسانيد، منها صحيح، ومنها غير ذلك.

بعض ما حفظ عن الصحابة رضی اللہ عنہم ومن بعدهم:

٥٣- عن علي رضي الله عنه: اللهم داحي المدحوات، وباري المسموكات، وباني المبتيات، ومرسى المرسيات، وجابل «(١)» القلوب على فطرتها؛ شقيها، وسعيدها، وباسط الرحمة للمتقين، اجعل شرائفصلواتك، ونوامي زكواتك، ورأفة تحننك؛ على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما اغلق، والمعلن للحق بالحق، والدامغ «(٢)» لجيشت الأباطيل، كما حتمل فاضطلع بأمرك لطاعتك، مستوفراً في مرضاتك؛ بغير نكل في قدم، ولا وهى في عزم، واعياً لوحيدك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك؛ حتى أوري قسماً لقباس، وآلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، وأبهج موضوعات الأعلام، ومنيرات الإسلام، ودائرات الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمه، ورسولك بالحق ورحمة.

اللهم افسح له مفتسحاً في عدنك، وأجزه مضاعفات الخير من فضلك له؛ مهناً غير مكدرات، من فوز ثوابك المجلول «(٣)»، وجزيل عطائك المعلول «(٤)».

١- في الأصل: وجبار.

٢- في النهج: والدافع.

٣- في ه: المضمون.

٤- في ه: المحلول.

ص: ٤١٤

اللهم أعل على بناء الناس «(١)» بناءه، وأكرم مثواه لديك ومنزلته، وأتمم له نوره، وأجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة، مرضى المقولة، ذا منطق عدل، وخطبة «(٢)» فصل، وحثه وبرهان عظيم «(٣)».

اللهم اجعلنا سامعين مطيعين، وأولياء مخلصين، ورفقاء مصاحبين.

اللهم أبلغه منا السلام، واردد علينا منه السلام.

٥٤- عن ابن مسعود رضی الله عنه: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وإمام المتقين؛ محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة.

اللهم ابعته مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

٥٥- عن ابن عمر رضی اللہ عنہما: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، وعبدك ورسولك، إمام الخير، وقائد الخير.

اللهم ابعته يوم القيامة مقاماً محموداً يغبطه الأولون والآخرون، وصل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

٥٦- عن الحسن البصري رحمه الله: اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على أحمد كما

١- في ه: البنائين.

٢- في النهج: وخطبة.

٣- أخرجه إلى قوله: «وبرهان». في كنز العمال ٢ / ٢٧١ برقم ٣٩٨٩ وقال: طس، وأبو نعيم في عوالي سعيد بن منصور عن سلامة الكندي، قال: كان علي يعلم الناس الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

ص: ٤١٥

جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ومغفرة الله تعالى ورضوان الله.

اللهم أجعل محمداً أكرم عبادك عليك، وأرفعهم عندك درجة، وأعظمهم خطراً، وأمكنهم عندك شفاعاً.

اللهم أتبعه من أمته وذريته ما تقر به عينه، واجزه عننا خير ما جزيت نبياً عن أمته، واجز الأنبياء كلهم خيراً، السلام على المرسلين،

والحمد لله رب العالمين.

اللهم صل على محمد، وعلى آله، وأصحابه، وأولاده، وأهل بيته، وذريته، ومحبيه، وأتباعه، وأشياعه، وعلينا معهم أجمعين، يا أرحم

الراحمين.

سؤال المَقْعَدِ المَقْرَبِ يومَ القِيَامَةِ

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «منصلي عليّ وقال: اللهم أعطه المَقْعَدِ المَقْرَبِ عندك يوم القيامة، وجبت له شفاعتي»

«(١)» صلى الله عليه [وآله] وسلم.

وليكن هذا آخر كلامنا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه والتابعين وسلم تسليماً، وحسبنا الله ونعم

الوكيل.

١- أخرجه أحمد في المسند ١٠٨ / ٤.

وفي مجمع الزوائد ١٠ / ١٦٣ قال: رواه البزار والطبراني في الأوسط الكبير، وأسانيدهم حسنة.

وفي كنز العمال ١ / ٤٩٦ رقم ٢١٨٨، حم، وابن قانع عن رويغ بن ثابت.

وفي ٧ / ٧٠٤ رقم ٢١٠٢٠: من قال إذا سمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة ... الخ قط في الافراد عن جابر.

ص: ٤١٦

[يقول محقق الكتاب:

والحمد لله على إتمامه والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه الثابتين على الحق والتزامه والتابعين لهم الحريصين على سلامة الدين ودوامه ونسأله الرضا عنا بفضلته وإحسانه وإكرامه، إنه ذو الجلال والإكرام، والحمد لله خير ختام.

وكتب السيد

في ١٧/ ربيع الأول / ١٤١٩ هـ]

ص: ٤١٧

الفهارس

اشارة

١- فهرس المصادر والمراجع.

٢- فهرس المحتوى.

ص: ٤١٩

١- فهرس المصادر والمراجع

- الأحكام السلطانية
للماوردى، على بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠ هـ) مكتبة الحلبي وأولاده القاهرة ١٣٨٠ هـ.
- الأذكار النووية
للإمام النووي، مطبوع مع شرحه: الفتوحات الربانية، لمحمد بن علان الصديقي الشافعي المكي، نشر المكتبة الإسلامية لرياض الشيخ-
بيروت، من طبعة جمعية النشر والتأليف الأزهرية- القاهرة.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب
للقرطبي يوسف بن عبد البر الأندلسي، تحقيق على محمد البجاوي- دار النهضة- القاهرة.
- الأنساب
للسمعاني، عبدالكريم بن محمّد التيمي (ت ٥٦٢ هـ) طبعة المستشرق مرجليوث ليدن ١٩١٢ م أعادته مكتبة المثني- بغداد. وطبعة
البارودي، دار الجنان- بيروت ١٤٠٨ هـ.

ص: ٤٢٠

- أنساب الأشراف

للبلاذرى، أحمد بن يحيى، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات جامعة الدول العربية، ودار المعارف مصر.

- تاريخ بغداد

للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣ هـ) المكتبة السلفية، المدينة المنورة.

- تاريخ مدينة جرجان

للسهمي، حمزة بن يوسف (ت ٤٢٧ هـ) مطبعة مجلس دائرة المعارف - حيدرآباد الدكن - الهند ١٣٨٧ هـ.

- تاريخ مدينة دمشق

لابن عساكر، الحافظ الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) نسخة مصورة - دار البشير.

- التذكرة في أحوال الموتى وامور الآخرة

للقرطبي محمد بن أحمد (ت ٦٧١ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٧ هـ.

- تطهير الفؤاد عن دنس الاعتقاد

لشيخ الاسلام محمد بخيت المطيعي المصري، طبع مع (شفاء السقام) طبعة مصر المطبعة الأميرية بولاق ١٣١٨ هـ.

- تلخيص الحبير في تخريج الرافي الكبير

لابن حجر العسقلاني أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) دار الفكر بيروت (١٢) مجلدًا.

- التهاني في التعقب على موضوعات الصغاني

لابن الصديق الغماري السيد عبد العزيز الحسني (ت ١٤١٨ هـ) دار الإمام النووي - عمان - الأردن ١٤١٥ هـ.

- الثقات

لابن حبان التميمي البستي (ت ٣٥٤) حيدرآباد الهند ١٤٠١ هـ.

ص: ٤٢١

- الدعوات الكبير

للبيهقي، تحقيق بدر بن عبدالله البدر، مركز المخطوطات والتراث - الكويت ١٤٠٩ هـ.

- دفع الشبه عن الرسول والرسالة.

لتقى الدين الحصني (ت ٨٢٩) تحقيق لجنة من العلماء الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ.

- رفع المنارة بتخريج أحاديث التوسل والزيارة

للعلامة محمود سعيد ممدوح، دار الإمام الترمذي القاهرة طبعة ثانية ١٤١٨ هـ.

- الرفع والتكميل في الجرح والتعديل

للكنهوي عبد الحي، حققه عبد الفتاح أبو غده، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - الفرافرة، جمعية التعليم الشرعي طبعة ثانية ١٣٨٨ هـ.

- سنن ابن ماجه

محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار الفكر - بيروت.

- سنن أبي داود

لسليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنة النبوية.

- وتحقيق سعيد محمد اللحام - دار الفكر - بيروت (مجلدان)

- سنن الترمذي

لمحمد بن عيسى بن سورة (ت ٢٧٩ هـ) صححه عبدالوهاب عبداللطيف دار الفكر - بيروت.

- سنن الدارمي

لعبدالله بن عبدالرحمن بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ).

بعناية محمد أحمد دهمان - دمشق ١٣٤٩ هـ.

- السنن الكبرى

ص: ٤٢٢

للبيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) دار الفكر- بيروت (١٠) مجلدات.

- سنن النسائي

بشرح السيوطي وحاشية السندی، دار الفكر- بيروت ١٣٤٨ هـ.

- شرح كتاب السير الكبير

للشيباني محمد بن حسن (ت ١٤٠ هـ) إملاء محمد بن أحمد السرخسي تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ١٩٧١ هـ.

- شرح النووي عليصحيح مسلم

مطبوع معصحيح مسلم دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٠٧ هـ.

- الشريعة

للاجري محمد بن الحسين (ت ٣٦٠ هـ) تحقيق محمد حامد الفقي ١٤٠٣ هـ.

- شعب الإيمان

للبيهقي، دار الكتب العلمية- بيروت.

- الصارم المنكي

للحنبلي محمد بن عبد الهادي ابن قدامة المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) حققه عقيل المقطري اليمني مؤسسة الريان بيروت ١٤١٢ هـ.

- الصحاح

للجوهرى إسماعيل بن حماد، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ١٤٠٤ هـ.

- صحيح البخارى

لمحمد بن اسماعيل بن المغيرة بن بروديه، دار الطباعة العامرة استامبول، تصوير دار الفكر- بيروت ١٤٠١ هـ (٨) أجزاء.

- صحيح مسلم

ص: ٤٢٣

لمسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، دار الفكر- بيروت.

- الضعفاء الكبير

للعقيلي، تحقيق عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية- بيروت.

- الضعفاء والمتركون

لابن الجوزي البغدادي، تحقيق أبو الفداء القاضي دار الكتب العلمية- بيروت ١٤٠٦ هـ.

- طبقات الشافعية

للاسنوي، عبدالرحيم بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ) تحقيق عبدالله الجبوري مطبعة الإرشاد- بغداد ١٣٩١ هـ.

- طبقات الشافعية

لابن السبكي عبدالوهاب بن علي تاج الدين (ت ٧٧١ هـ) تحقيق الحلو والطناحي دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ١٣٩٦ هـ.

- طبقات الشافعية

لابن قاضي شهبه، أحمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٥٠ هـ) اعتنى بتصحيحه عبدالعليم خان- عالم الكتب- بيروت ١٤٠٧ هـ.

- العقد الفريد

للاندلسي ابن عبد ربه أحمد بن محمد، تحقيق الأبياري ورفاقه دار الكتاب العربي- بيروت ١٤٠٣ هـ.

- العقود الدرية

للحنبلي محمد بن عبدالهادي ابن قدامة المقدسي (ت ٧٤٤ هـ) حققه حامد الفقي- دار الكتب العلمية- بيروت.

- علوم الحديث

لابن الصلاح، عثمان بن عبدالرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) تحقيق نور الدين عتر. دار

ص: ٤٢٤

الفكر - دمشق ١٤٠٤ هـ.

- فتاوى السبكي

للإمام تقي الدين علي بن عبدالكافي (ت ٧٥٦ هـ) دار المعرفة بيروت عن طبعه مصر - مجلدان.

- فتوح الشام

للوفاقي، تحقيق عبدالله الشرقاوي، دار إحياء التراث - بيروت.

- الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط

(علوم الحديث) المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية عمان الأردن - ١٩٨٩ هـ.

- فهرس الفهارس والأثبات

للمحدث عبدالحى بن عبدالكبير الكتاني، باعتناء إحسان عباس دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦ هـ.

- كنز العمال

للهندي علي المتقي بن حسام (ت ٩٧٥ هـ) ضبطه الشيخ بكر حيانى والشيخصفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٤٠٩ هـ.

- المجروحين

لابن حبان، محمد التميمي البستي (ت ٣٥٤ هـ) تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار الوعى، حلب ١٣٩٦ هـ.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

للهميشي علي بن أبي بكر نور الدين (ت ٨٠٧ هـ) بتحريه العراقي وابن حجر، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨ هـ.

- مجمل اللغة

لابن فارس أحمد بن زكريا أبو الحسين (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق زهير عبدالمحسن مؤسسة

ص: ٤٢٥

الرسالة- بيروت ١٤٠٦ هـ.

-المجموع شرح المهذب

للنووي، يحيى بن شرف الدين (ت ٦٧٦ هـ) دار الفكر- بيروت.

-مجموع فتاوى ابن تيمية

جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد بن قاسم النجدي الحنبلي، دار عالم الكتب-الرياض ١٤١٢ هـ.

-مجموعة مؤلفات ابن تيمية (القسم الأول)

إعداد محمد بن إبراهيم الشيباني، مركز المخطوطات والتراث الكويت ١٩٩٣ هـ.

-مختصر تاريخ دمشق

لابن منظور الأنصاري، تحقيق إبراهيم صالح، دار الفكر- بيروت.

-المستدرک علی الصحيحين

للحاكم النيسابوري (ت ٤٣٠ هـ) إشراف د. يوسف عبدالرحمن المرعشلي- دار المعرفة- بيروت.

-وطبعة حيدرآباد-الهند، وبذيله (تلخيص الذهبي) في أربع مجلدات كبار.

-مسند أبي داود الطيالسي

سليمان بن داود (ت ٢٠٤ هـ) دار المعرفة- بيروت.

-مسند أبي يعلى الموصلي

دار المأمون للتراث- بيروت ١٤١٤ هـ.

-مسند أحمد

لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ). وبهامشه (منتخب كنز العمال للمتقى) دار صادر- بيروت.

-المصنّف

ص: ٤٢٦

للصنعاني، عبدالرزاق بن همام (ت ٢١١هـ). تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت ١٤١٣هـ.

- المصنّف في الأحاديث والآثار

لابن أبي شيبة عبدالله بن محمد الكوفي (ت ٢٣٥هـ) تحقيق سعيد اللحام دار الفكر - بيروت ١٤٠٩هـ.

- المعجم الكبير

للطبراني، سليمان بن أحمد الحافظ (ت ٣٦٠هـ) حققه حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت مكتبة ابن تيمية - القاهرة.

- المغني

لابن قدامة عبدالله بن أحمد المقدسي موفق الدين (ت ٦٢٦هـ) دار الكتاب العربي - بيروت (١٢) مجلداً.

- مَنَحُ المدح في شعراء الصحابة

لابن سيّد الناس محمد بن محمد بن محمد المصري (ت ٧٣٢هـ) تحقيق عفة وصال حمزة.

دار الفكر - دمشق ١٤٠٧هـ.

- الموضوعات

لابن الجوزي (ت ٥٦٧هـ) تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان دار الفكر - بيروت ١٤٠٣هـ.

وباقى المراجع منقول عنها بالواسطة، فلتلاحظ طبعتها بدقّة، ولتراجع الكتب حسب الموضوعات، ثمّ الأبواب وأرقام الأحاديث في

الطبقات المرقّمة، واللّه الموفّق للصواب.

ص: ٤٢٧

٢- فهرس المحتوى

تقديم ٧

المقدمة ٥٩

الباب الأول

فى الأحاديث الواردة فى الزيارة نصاً

الحديث الأول: «من زار قبرى وجبت له شفاعتى» ٦٥

روايته بتصغير «عبيد الله» ٦٦

متابعات و شواهد ٧٠

من رواه بتكبير «عبدالله» ٧١

رأى المؤلف بترجيح رواية التصغير ٧٢

الاعتماد على رواية «عبدالله» ٧٤

قوة الحديث بتضافر الإسناد ٧٨

دلالة الحديث ٨٠

الحديث الثانى: «من زار قبرى حلت له شفاعتى» ٨١

سند الحديث

الحديث الثالث: «من جاءنى زائراً لا يعمله حاجة إلّازيارتى، كان حقاً علىّ أن أكون له ... ٨٣

ص: ٤٢٨

سند الحديث ٨٣

دلالة الحديث ٨٩

الحديث الرابع: «من حجّ فزار قبرى بعد وفاتى فكأنما زارنى فى حياتى» ٨٩

متابعات للحديث ٩٦

الحديث الخامس: «من حجّ البيت ولم يزرنى فقد جفانى» ٩٨

وحديث آخر: من رواية ابن عمر رضى الله عنهما: ١٠١

الحديث السادس: «من زار قبرى» أو «من زارنى» «كنت شفيعاً له» أو «شهيداً» ١٠٢

الحديث السابع: «من زارنى متعمداً كان فى جوارى يوم القيامة» ١٠٤

الحديث الثامن: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى فى حياتى» ١٠٦

الحديث التاسع: «من حجّ حجّة الإسلام، وزارى قبرى، وغزا غزوة، وصلى علىّ فى بيت المقدس، لم يسأله الله عزّوجلّ فيما افترض

عليه» ١٠٧

الحديث العاشر: «من زارنى بعد موتى فكأنما زارنى وأنا حيّ» ١٠٩

الحديث الحادى عشر: «من زارنى بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً» ١١٠

الحديث الثانى عشر: «ما من أحد من امتى له سعة ثم لم يزرنى، فليس له عذر» ١١٢

الحديث الثالث عشر: «من زارنى حتى ينتهى إلى قبرى كنت له يوم القيامة شهيداً» أو قال: «شفيعاً». ١١٢

الحديث الرابع عشر: «من لم يزر قبرى فقد جفانى» ١١٤

الحديث الخامس عشر: من أتى المدينة زائراً...» ١١٥

الباب الثانى

فى ما ورد من الأخبار والأحاديث دالاً على فضل الزيارة وإن لم يكن فيه لفظ «الزيارة»

أنواع السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٢٢

فصل: فى علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمن يسلم عليه ١٢٦

سماع النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمصلى عليه عند قبره ١٣٢

الباب الثالث

فى ما ورد فى السفر إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم مصرحاً وبيان أنّ ذلك لم يزل قديماً وحديثاً

إبراد عمر بن عبد العزيز بالسلام على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ١٤٢

ص: ٤٢٩

البداءة بمكة أو بالمدينة، فى سفر الحج؟ ١٤٥

الفقهاء يقررون السفر لزيارة القبر الشريف ١٤٨

حكاية العتبي عن الأعرابي ١٥١

الباب الرابع

فى نصوص العلماء على استحباب زيارة قبر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان أن ذلك مجمع عليه بين المسلمين

نصوص الحنابلة ١٥٧

مناظرة الإمام مالك وأبى جعفر المنصور ١٦٣

عمل الصحابة والتابعين ١٦٦

استقبال القبر الشريف عند السلام عليه ١٦٩

كراهة مالك لفظ: الزيارة ١٦٩

عدم كراهة ذلك هو الحق ١٧٣

نسبة المنع من الزيارة إلى أهل البيت ١٧٤

حديث: لا تجعلوا بيتى عيداً ١٧٧

الباب الخامس

فى تقرير كون الزيارة قربة

أما الكتاب العزيز ١٨١

وأما السنة ١٨٣

وأما الإجماع ١٨٤

زيارة النساء للقبور ١٨٦

الاستدلال على استحباب زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقياس ١٨٧

أقسام الزيارة ١٩٠

اجتماع الأغراض الشرعية فى زيارة النبي خير البرية ١٩١

جهة القربة فى زيارة القبور ١٩٤

زيارة قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قربة ٢٠٠

ص: ٤٣٠

الباب السادس

فى كون السفر إليها قربه

وذلك من وجوه: أحدها: الكتاب العزيز: ٢٠٩

الثانى: السنّة: ٢٠٩

والثالث: من السنّة أيضاً: ٢١٠

الرابع: الإجماع: ٢١١

ونبدأ أولاً بالكلام على كون هذا السفر مأموراً به أمر ندب: ٢٢٠

بين المقدمة و الوسيلة ٢٢١

اعتبارات السفر فى مسألة الزيارة ٢٢١

الباب السابع

فى دفع شبه الخضم وتتبع كلماته

وفيه فصلان: الأول: فى شبهه ٢٣٣

وله ثلاث شبه:

الشبهة الاولى حديث: «لا تشد الرحال...» ألفاظه ومصادرها ٢٣٣

دلالة الأحاديث ومعناها ٢٣٤

محط البحث عند الفقهاء ٢٣٧

عنوان المسألة فى كتب الفقه ٢٤١

فتاوى مختلفة مزورة باسم علماء بغداد ٢٤٤

ابن تيمية يمنع الزيارة مطلقاً، لا شد الرحل إليها فقط ٢٤٥

نص فتوى قديمة لابن تيمية ٢٤٦

الرد على ابن تيمية فقرة فقرة ٢٤٩

مشروعية الزيارة ٢٥١

القبور والشرك ٢٥٧

الفصل الثانى: فى تتبع كلماته ٢٦١

صورة فتوى ابن تيمية التى استنكرها علماء الملة الإسلامية ٢٦٢

الرد على فتوى ابن تيمية ٢٧٠

ص: ٤٣١

الباب الثامن

فى التوسّل، والاستغاثّة، والتشفع بالنيصلى الله عليه وآله وسلم
النوع الأول: أن يتوسّل به؛ بمعنى أن طالب الحاجة يسأل الله تعالى به، أو بجاهه، أو ببركته. ٢٩٤

حديث توسّل آدم عليه السلام بالنيصلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٤

توسّل عيسى عليه السلام بالنيصلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٦

توسّل نوح وإبراهيم وسائر الأنبياء بنيصلى الله عليه وآله وسلم ٢٩٧

التعبير عن التوسّل والاستغاثّة ٢٩٧

حديث الأعمى المتوسّل بالنيصلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٠

التوسّل بالنيصلى الله عليه وآله وسلم بعد موته ٣٠٣

النوع الثانى: التوسّل به؛ بمعنى طلب الدعاء منه، ٢٠٥

حديث الاستسقاء بالنيصلى الله عليه وآله وسلم فى حياته ٣٠٥

استسقاء عمر بالعباس عم النبيصلى الله عليه وآله وسلم ٣٠٨

التفرقة بين الألفاظ! ٣١٠

التوسّل بالنيصلى الله عليه وآله وسلم فى عرصات القيامة ٣١١

التوسّل بالنيصلى الله عليه وآله وسلم فى البرزخ ٣١١

التوسّل بالنيصلى الله عليه وآله وسلم بتسببه ٣١٣

لا حرج فى الألفاظ كلها ٣١٤

الاستغاثّة ٣١٥

الباب التاسع

فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

الفصل الأول: فيما ورد فى حياة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٣٢١

الفصل الثانى: فى الشهداء ٣٣٥

حياة الشهداء: للروح أو للجسد؟ ٣٣٨

الفصل الثالث فى سائر الموتى فى السماع والكلام والإدراك والحياة وعود الروح إلى الجسد ٣٤١

أمّا السماع والكلام: ٣٤١

الفصل الرابع: فى عود الروح إلى البدن ٣٥٥

الفصل الخامس: إن هذه الأعراض مشروطة بالحياة، فكيف تحصل بعد الموت؟! ٣٦٠

ص: ٤٣٢

الباب العاشر

فى الشفاعة

اولاها: هى الشفاعة العظمى، ولم ينكرها أحد. ٣٧٠

الثانية: الشفاعة فى إدخال قوم الجنة بغير حساب. ٣٧٠

الشفاعة الثالثة: الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومن يشاء الله ٣٧٤

الشفاعة الرابعة: فيمن دخل النار من المذنبين ٣٧٤

الشفاعة الخامسة: فى زيادة الدرجات فى الجنة لأهلها ٣٧٦

من أحاديث الشفاعة ٣٧٧

والأحاديث فى الشفاعة كثيرة، ومجموعها يبلغ مبلغ التواتر. ٣٩٢

فصل التوسل بالأنبياء ٣٩٣

فصل سؤال الأنبياء قبل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ ٣٩٤

فصل عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر ٣٩٤

فصل ترتيب الشفاعات حسب الروايات ٣٩٥

فصل أهل «لا إله إلا الله» ٣٩٩

فصل السلف والشفاعة ٤٠١

فصل فى المقام المحمود ٤٠٢

فصل دعوة الرسول هى الشفاعة ٤٠٣

خاتمة نصوص الصلوات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٤٠٥

بعض ما حفظ عن الصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم: ٤١٣

سؤال المقعد المقرب يوم القيامة ٤١٥

الفهارس ١٤١٧

١- فهرس المصادر والمراجع ٤١٩

٢- فهرس المحتوى ٤٢٨

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).

قال الإمام علي بن موسى الرضا - عليه السلام: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرًا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بناذر البحار - في تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فيض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا (ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مؤسس مجتمع "القائمية" الثقافي بأصفهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذي قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبي (صلوات الله عليهم) ولاسيما بحضرة الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أسس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقة لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشيطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - و مع مساعيدته جمع من خريجي الحوزات العلمية و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: ديتيه، ثقافته و علميته...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرر الأذق للمسائل الديتية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلايتي المتبدلة أو الرديئة - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامع ثقافته على أساس معارف القرآن و اهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافته القراءة و إغناء أوقات فراغه هواه برامج العلوم الإسلامية، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة في الجامعة، و... - منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافة الإسلامية و الإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى. - من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيه و مكتبيه، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الديتية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمية" www.Ghaemiyeh.com و عدده مواقع أخرى

(ه) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق و الدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية و الاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الديتية كمسجد جمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية و دورات تربية المربى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "پنج رمضان" ومفترق "وفائي" / "بنايه" القائمية "

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الإلكتروني: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التجارية والمبيعات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتية الحالية لهذا المركز، شعبيته، تبرعته، غير حكومية، و غير ربحية، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافي الحجم المتزايد والمتسع للامور الدينية والعلمية الحالية و مشاريع التوسعة الثقافية؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حد التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولي التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

